
تاريخ المسلمين

تاريخ المسلمين

فى أفريقيا ـ ومشكلاتهم

تأليف

دكتور
شوقي عطا الله الجمل
أستاذ التاريخ بمعهد البحوث
والدراسات الأفريقية ـ جامعة القاهرة

دكتور
عبدالله عبدالرازق إبراهيم
أستاذ التاريخ بمعهد البحوث والدراسات
الأفريقية ـ جامعة القاهرة
ووكيل المعهد للدراسات العليا والبحوث



مكتبة الأنجلو المصرية

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية ، إدارة الشئون الفنية .

الجمل ، شوقى عطا الله

تاريخ المسلمين فى أفريقيا ومشكلاتهم / شوقى عطا الله الجمل ، عبد الله عبد الرازق . ــ ط١ . ــ

القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ٢٠٠٦ .

١٩٦ ص ، ١٧× ٢٤ سم

١ـ المسلمون فى أفريقيا — أ- عبد الرازق ، عبد الله (مؤلف مشارك)

ب- العنوان

رقم الإيداع : ٥٦٥٢

ردمك : ٩٧٧-٠٥-٢٢٣١-٧ — تصنيف ديوى : ٣٠١,٤٥٢٩

المطبعة : محمد عبد الكريم حسان

الناشر : مكتبة الانجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد

القاهرة ــ جمهورية مصر العربية

ت : ٣٩١٤٣٣٧ (٢٠٢) ؛ ف : ٣٩٥٧٦٤٣ (٢٠٢)

E-mail : angloebs@anglo-egyptian.com

Website : www.anglo-egyptian.com

مقدمة الطبعة الأولى

علاقات العرب بأفريقيا– قديمة تمتد جذورها إلى أقدم عصور التاريخ، وقد ساعدت العوامل الجغرافية، والظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على قيام واستمرار هذه العلاقات .

ولما بزغ نور الإسلام فى شبه جزيرة العرب كانت الحبشة – بشرق أفريقيا الدولة التى أمر الرسول ﷺ أتباعه بالهجرة إليها، فهى كانت معروفة للمسلمين، وتعددت بعد ذلك هجرة المسلمين للسهول المحيطة بالحبشة، ولغيرها من المناطق الأفريقية.

وكان فتح مصر إيذاناً باندفاع التيار الإسلامى إلى شمال القارة وغربها، وكذلك جنوباً إلى بلاد النوبة والسودان، وانتشر الإسلام بهدوء ـ دون اللجوء للقوة ـ إلى مناطق شاسعة من القارة الأفريقية، وكان للتجارة بين شمال القارة والأقاليم الواقعة جنوب الصحراء الكبرى دورها فى نشر الإسلام والثقافة العربية، تماماً كما كان لها نفس الدور حنيما مارسها التجار العرب فى المحيط الهندى بين آسيا والساحل الشرقى للقارة.

وبرزت مدن تجارية ومراكز حضارية فى غرب القارة كما برزت مدن على ساحلها الشرقى.

وساعدت جماعات ممن اعتنقوا الإسلام من هنود وباكستانيين وغيرهم فى نشر الإسلام فى إفريقيا فقد انتقلوا إليها واستوطنوا مناطق فى شرقها أو جنوبها، كما ساعدت جماعات كالبربر والطوارق ممن اعتنق الإسلام – رغم أنهم قاوموه فى البداية – فى نشر الإسلام وحملوا رايته إلى مناطق بعيدة فى القارة الأفريقية، بل منهم من ساهم فى نشر الإسلام فى خارج القارة الأفريقية وفى غيرها من القارات.

ومع الإسلام – انتشرت الحضارة الإسلامية واللغة العربية بين الزنوج وغيرهم من سكان القارة الأفريقية، فأصبح المسلمون فى أفريقيا – وقد وصل عددها إلى ما يقرب من نصف سكان القارة– أكثر شعوبها حضارة وتقدماً وأصبحوا رسل الحضارة لغيرهم من مواطنى القارة، وأصبحت العربية فى مقدمة اللغات التى يتحدث بها غالبية عظمى من سكان القارة، وقد اعترفت بذلك منظمة الوحدة الأفريقية حين

قامت فى عام ١٩٦٣م- فكانت اللغة العربية فى مقدمة اللغات التى كُتب بها ميثاقها.

والمسلمون فى أفريقيا اليوم يواجهون مشكلات- سواء فى الدول الأفريقية الإسلامية التى يمثلون فيها أغلبية أو فى الدول الأفريقية غير الإسلامية التى يمثلون فيها أقلية – ودراسة هذه المشكلات وأسبابها هى الخطوة الأولى لحلها.

وهذا الكتاب يهدف إلى إعطاء فكرة متكاملة عن تاريخ المسلمين فى أفريقيا، ومشكلاتهم.

وهو يعتمد على عدد كبير من المصادر والمراجع العربية والأجنبية، ويتبع المنهج التحليلى الذى لا يقف عند حد سرد الأحداث، كما يلتزم بالموضوعية التى يتطلبها البحث العلمى.

والله الموفق

المؤلفان

مقدمة الطبعة الثانية

ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٩٩٦م متضمنة البحث الذى قُدم لمسابقة خدمة الدعوة والفقه الإسشلامى لوقف السيد المستشار الدكتور/ محمد شوقى الفنجرى لعام ١٩٩٤م، والذى استحق الجائزة الأولى فى هذه المسابقة.

وكان طبيعياً أن تلتزم هذه الطبعة بشروط المسابقة فى عدد الصفحات وغيرها- لكن بعد ظهور هذه الطبعة تلقينا العديد من الرسائل والاتصالات ممن أسعدهم الكتاب وما احتواه من معلومات، وتمنوا لو استطعنا أن نتوسع بما اضطررنا لإيجازه تمشياً مع شروط المسابقة.

واستجابة لهذه الطلبات من الأعزاء والباحثين نقدم هذه الطبعة الثانية متضمنة العديد من الإضافات، ونرجو أن يُحقق الكتاب بصورته الحالية تطلعات ورغبات الذين دفعونا لإخراج هذه الطبعة بصورتها الراهنة، وخاصة أنها تعالج المشكلات التي يُواجهها المسلمون فى القارة الأفريقية مع الإشارة إلى المتغيرات السياسية فى دول القارة، وأثر ذلك على المسلمين فى هذه الجهات، وأيضًا تقديم بعض الحلول لهذه المشكلات، وبالتالى فإن هذه الطبعة فى ثوبها الجديد تضيف كثيراً من المعلومات عن أوضاع المسلمين فى القارة خاصة وأن الكتابات العربية تناولت هذه المشكلات بشكل سريع ولا يفى بمطالب هذه الجماعا الإسلامية.

ومن هنا تكمن أهمية هذا الكتاب الذى يضع الحلول لمشكلات تواجه المسلمين خاصة وأن القوى الأوربية تحاول التقليل من دورالمسلمين خاصة فى القارة، كما تحاول طمس هذه الحضارة الإسلامية وتشويه صورة الإسلام الذى وجد فى القارة تربة خصبة للإزدهار والتطور.

المؤلفان

فصل تمهيدى

دخول الإسلام فى شرق أفريقيا

والطرق التى سلكها فى انتشاره فى القارة

النقاط التى تناولها:

العلاقات القديمة بين العرب وأفريقية.

الاستقرار العربى على الساحل الشرقى لأفريقيا وتكوين إمارات عربية على الساحل الشرقى.

ظهور الإسلام فى شبه الجزيرة العربية يدفع بموجات عربية جديدة للساحل الشرقى للقارة.

الآثار الحضارية لهذه العلاقات العربية الأفريقية. وسنعالجها بتوسع أكثر فى فصل خاص.

الطرق التى سلكها الإسلام فى انتشاره فى القارة:

- طريق المحيط الهندى.
- باب المندب.
- البحر الأحمر.
- شبه جزيرة سيناء.
- مصر كقاعدة للانطلاق الإسلامى فى أفريقيا .
- المغرب كقاعدة للانطلاق الإسلامى فى أفريقيا .

تحديد أرض الإسلام فى القارة:

- الحدود الشمالية.
- الحدود الشرقية .
- الحدود الغربية.

* * *

تبلغ مساحة القارة الأفريقية ١١,٧٠٠,٠٠٠ ميلاً مربعاً أى ٢٢,٣ ٪ من مساحة اليابسة، ويبلغ عدد سكانها أكثر من مائتين وثلاثين مليون نسمة، أى حوالى ١٠ ٪ من سكان الكرة الأرضية[١] .

ولا يفصل قارة أفريقيا عن شبه جزيرة العرب - مهد الإسلام - إلا شُقة ضيقة من الماء متمثلة فى البحر الأحمر الذى كان عامل وصل بين القارتين أكثر منه عامل فصل، أما المحيط الهندى فكما سنوضح بعد - كأن مجالاً لنشاط العرب منذ أقدم العصور.

ولذلك فعلاقة العرب بأفريقيا ترجع إلى العصور القديمة، فمنذ زمن بعيد- يصعب تحديده بالدقة - جاء العرب إلى الساحل الشرقى لأفريقيا من الجزيرة العربية، خاصة من الأقاليم الساحلية المواجهة لهذا الساحل الأفريقى الشرقى، واستقر بعضهم فى هذه المناطق الأفريقية، وأصبحت لهم تجارة زاهرة، وكونوا إمارات عربية فى شرق أفريقيا شهد بعظمتها وبتحضرها كل من زارها من الرحالة العرب والأجانب على السواء.

وإذا علمنا أن المسافة بين زنجبار، وعدن لا تتجاوز ١,٧٠٠ ميل، وبينها أى بين زنجبار ومسقط ٢,٢٠٠ ميل تقريبًا- أدركنا أن الامتداد العربى لهذه الجهات الأفريقية - كان شيئاً طبيعياً. فالقبائل القريبة من الساحل الأفريقى الشرقى أو كما عبّر عنها كوبلاند بالجيران (Next Door Neighbours) كان لابد لها أن تمد نشاطها وتجارتها، وتنقل حضارتها إلى سواحل أفريقيا الشرقية[٢] .

وبالإضافة إلى عامل الجوار- فهناك عامل جغرافى مناخى آخر- ساهم فى هذا الوقت المبكر فى قيام هذه العلاقات بين العرب القاطنين فى الجزيرة العربية، وبين سكان السواحل الشرقية لأفريقيا، ففى ديسمبر تهب الرياح التجارية من الشمال، والشمال الشرقى، ويستمر هبوبها بإنتظام حتى نهاية فبراير، ومن أبريل إلى سبتمبر

---

(١) محمد عبد الغنى سعودى : أفريقية - دراسة فى شخصية القارة، وشخصية الإقليم (١٩٨٣م) ص ب (فى المقدمة).

(١) Coupland, R. : East Africa and its Invaders (London 1983) p. 155 .

تنعكس المسألة، فتهب رياح شديدة من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى، من زنجبار إلى مدخل خليج عدن- فقد أصبح التجار الذين يبدأون رحلتهم فى سفنهم الشراعية من الشاطئ العربى فى الشتاء يستعينون بقوة الرياح المواتية فى سفرهم جنوباً صوب الساحل الأفريقى، بينما فى أثناء عودتهم لأوطانهم فى الربيع- بعد أن يكونوا قد قضوا بضعة شهور فى التجارة- يجدون أيضًا الرياح مواتية للإتجاه صوب الوطن الأصلى، وبمضى الزمن أصبحت للتجار والبحارة العرب خبرة تامة بمواقيت الرياح واتجاهاتها، وأصبحت رحلاتهم من شبه الجزيرة إلى الساحل الأفريقى، ومدة استقرارهم بهذا الساحل تنظم تنظيماً دقيقاً تبعاً لمواسم الرياح المنتظمة المعروفة لهم.

كذلك من الأسباب الرئيسية التى دفعت سكان السواحل العربية للخروج من شبه جزيرتهم (العمانيون، والحضارمة على وجه الخصوص)- أنهم نشأوا فى بيئة بحرية مثالية فى جنوب الجزيرة العربية ظهيرها طارد، فكان طبيعًا أن يتسللوا إلى شرق أفريقيا فى مجموعات صغيرة انتشرت فى المبدأ فى بعض الجزر الساحلية مثل مافيا، وزنجبار، وبمبا، وفى المراكز الساحلية مثل سفالة، ومالندى، وكلوة، وممبسة، ودار السلام، واستطاعت هذه المجموعات أن تطبع مناطق واسعة من شرق القارة بلغتها وحضارتها، وأن تندمج فى السكان الأصليين(١).

وهكذا أصبحت السفن العربية تحمل بين الحين والحين بعض الذين طاب لهم الاستقرار بالساحل الأفريقى للإتجار، وليكونوا حلقة إتصال بين إخوانهم فى الجزيرة العربية، وبين سكات السواحل الأفريقية والجهات الداخلية فيها، وبمضى الزمن ـ زاد عدد الوافدين للاستقرار وزادتالعلاقات مع الداخل والتوغل فيه وتشعبت المصالح وأصبت للعرب إمارات عربية فى هذه السواحل الأفريقية، لها إتصال ومصالح مع الجماعات العربية فى الجزيرة العربية نفسها، وبالتجار فى القارة الأفريقية.

ولاشك فى أن الاستقرار العربى على الساحل الأفريقى المقابل للجزيرة العربية حدث بهدوء، ودون اللجوء للقوة أو العنف، فالتاريخ لا يذكر لنا حروباً أو معارك وقعت بين المهاجرين والسكان الأصليين(٢).

---

(١) محمد صفى الدين : أفريقيا بين الدول الأوربية (القاهرة ١٩٥٩م) ص ٥٢ .
(٢) شوقى عطا الله الجمل : تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها (١٩٨٠م)، ص ٤٨ .

وكان الغرض التجارى هو الغالب على هذه الجماعات العربية المهاجرة للسواحل الأفريقية فلم تكن الفكرة- فكرة استعمارية - أى الاستحواذ على الأرض ثم الانتشار منها للداخل.

ولهذا كان الاستقرار على الساحل فحسب، وفى نقط مختارة تخدم هذا الدافع التجارى، ولذا كانت تُختار هذه النقط بحيث تكون لها مزاياها التجارية، كثغر من الثغور سهل الإتصال بداخل القارة، ويسهل أيضًا الوصول إليه من الجزيرة العربية المقابلة.

فالغرض الأساسى من الاستقرار هو الحصول على الحاصلات الداخلية، ونقلها للثغور الساحلية للاتجار فيها، وكذلك استيراد ما يمكن تصريفه من البضائع من داخل القارة، ولهذا لم تقم هذه الجماعات العربية بامتلاك الأرض- إلا بالقدر الضرورى لحماية الثغر التجارى، ومن ثم كانت رقعة الممالك العربية على الساحل الأفريقى ضيقة، ولاشك فى أن عوامل طبيعية أخرى أملت إلى حد ما عدم الانتشار للداخل، منها عوائق تتمثل فى التضاريس، والمناخ، والنبات- كانت لحد ما- غير مشجعة على التوغل فى الداخل لمسافات كبيرة- لكن لاشك أيضاً فى أن الأغراض التجارية حتمت فى كثير من الأحيان- إرسال حملات للداخل لحماية القوافل، وضمان وصولها، ولعقد اتفاقات تجارية مع أمراء أفريقيين بالداخل، ولذا فقد انتقل النفوذ العربى فى ظروف كثيرة نحو باطن القارة.

ويمكن أن نتصور أن الوجود العربى فى شرق القارة قد مر بمرحلتين: فقد اقتصر فى المبدأ على الجزر الساحلية وبعض الأقاليم الساحلية، لكن انتشر العرب بعد ذلك فى شرق القارة فى المناطق المواجهة للجزر، وتوغلوا فى الداخل بقدر ما مكنتهم الظروف الطبيعية، وما استلزمته مصالحهم التجارية، وانتهى الأمر بتكوين إمارات عربية بشرق القارة تختلف مساحتها وسلطانتها باختلاف الظروف.

وأعطى ظهور الإسلام فى شبه الجزيرة العربية، وجهر النبى ﷺ بالدعوة- دفعة قوية للعرب للخروج من شبه جزيرتهم لنشر الدين الجديد والتعريف به ودعوة الناس للدخول فيه، وبالطبع كانت المناطق التى سبق أن عرفها العرب وتعاملوا مع سكانها

من أول المناطق التى انطلق إليها العرب المسلمون، وقد أصبح التجار المسلمون دُعاة الإسلام فى شرق أفريقيا، كما سيكون لهم دورهم أيضاً فى غرب القارة، وكان سلوكهم وأمانتهم ومعاملاتهم حسب تعاليم الإسلام- خير مشجع للأفارقة لاعتناق الدين الجديد الذى يدعو للمساواة بين الناس، ولا يفرق بينهم إلا على أساس التقوى، كما يدعو للأمانة ومراعاة الله فى الكيل والوزن وتحديد الربح(١).

ونشير إلى أن بعض الأحداث التى حدثت فى الجزيرة العربية- أدت لهجرة بعض القبائل أو الأحزاب من شبه الجزيرة، وكان شرق أفريقيا، ومعرفة العرب السابقة بهذه المناطق- المكان الذى لجأت إليه بعض العناصر المسلمة المهاجرة- فمثلاً حين اشتد النزاع بين أحزاب المسلمين كانت بعض الأحزاب المغلوبة على أمرها تُهاجر إلى شرق أفريقيا، وتتخذ من هذه الجهات موطناً لها، فأثناء حكم عبد الملك بن مروان مثلاً ٧٥-٩٥هـ (٦٩٥-٧١٤م) هاجر بعض العمانيين إلى (لامو) بشرق القارة، وأنشأوا إمارة إسلامية فيها(٢).

وكانت أحداث مماثلة فى الجزيرة العربية أو غيرها من البلاد العربية الإسلامية دافعاً لمزيد من هجرات المسلمين للقارة الأفريقية.

ولاشك فى أن هجرة المسلمين إلى شرق أفريقيا واستقرارهم على أرض القارة بأعداد كبيرة، وما تبع ذلك من إندماجهم فى السكان الأصليين وتزاوجهم معهم-

---

(١) دور التجارة فى نشر الإسلام من المواضيع الهامة التى تستحق الدراسة بعمق، وفيما يتعلق بغرب أفريقيا سنشير فيما بعد إلي ما كتبه (بوفل) عن دور التجار المغاربة المسلمين فى هذا المجال فى كتابه:

Bovill, E. W.: The Golden Trade of the Moors (london 1960).

(٢) سنشير فيما بعد للثورة التى حدثت فى عمان ضد الخليفة عبد الملك بن مروان وتكليف الخليفة للحجاج بن يوسف الثقفى بإخضاعها وهجرة الثوار لشرق أفريقيا .

للتفاصيل انظر:

عبد الله بن خلفان بن قيصر: سيرة الإمام ناصر بن رشد جزء من مخطوطة مصورة بالميكروفيلم بدار المحفوظات بلندن برقم ٢٣٤٣ ونشرتها سلطنة (عمان ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) . وكذلك

. Coupland, R, : Op, Cit. pp. 20-22

ترتبت عليه نتائج هامة وعميقة، فقد ترتب على ذلك مثلاً وجود جنس تبدو فيه كثير من الصفات والعادات والتقاليد العربية، بالإضافة إلى الصفات والتقاليد الأفريقية .

ولذا فقد أصبحت الإمارات التى كونها العرب بشرق أفريقيا- مزيجاً تجمع فى أنظمتها بين أشياء أفريقية وبين أشياء إسلامية، وحتى اللغة السائدة أصبحت لغة أفريقية عربية (اللغة السواحلية)، ومما لاشك فيه أن العرب المهاجرين إلى هذه الجهات قد حملوا معهم حضارتهم الزاهرة، ولاشك فى أن الإسلام بتعاليمه ومبادئه كان يمثل مصدر إشعاع قوى- والمسلمون المهاجرون لشرق أفريقيا- لم يعمدوا لتغيير أوضاع وتقاليد الجماعات التى استقروا بينها، واندمجوا فيها فى أفريقيا- طالما كانت هذه الأوضاع والتقاليد لا تتعارض مع المبادئ الأساسية للإسلام- لكنهم نقلوا لهذه الجهات حضارتهم، ولذا فقد تميزت المناطق التى كانت لها صلة بالمسلمين أو التى استقروا بها بميزات حضارية خاصة.

وقد لمس ذلك الرحالة العرب الذين زاروا هذه الجهات مثل ابن بطوطة(١).

فقد زار ابن بطوطة كلوة، وممبسة، ومقديشيو سنة ١٣٣٢م، ودهش مما كانت عليه هذه المدن من تنظيم، ومن حالة الرخاء السائدة فيها، وقد وصف الشوارع المنظمة، والمنازل بحدائقها الغناء والمساجد المزينة بالنقوش الفارسية.

كما نوه الرحالة الأوربيون الذين جاءوا مؤخراً بما لمسوه من حضارة فى هذه المناطق لا تقل عن حضارة المجتمعات الأوربية، فقد ذكر ذلك فاسكو داجاما (Vasco Da Gama) الذى وصل إلى هذه المناطق فى رحلاته المشهورة.

وشهد نفس الشهادة دورات بربوسا (Duarte Barbosa) عند زيارته لكلوة، وممبسة، ومالندى، وبمبا، وزنجبار، وعلق على ذلك كوبلاند بقوله: «إننا يجب أن لا نندهش لما ذكره هؤلاء الرحالة عن مظاهر الحضارة التى نقلها العرب لشرق أفريقيا- فإن العرب كانوا فى ذلك الوقت حملة لواء الحضارة، فلا شك فى أن مدارس بغداد،

---

(١) أحمد العوامرى بك، ومحمد جاد المولي: مهذب رحلة ابن بطوطة (مطبعة بولاق) ص ٢٠٠ .

والقاهرة، وتونس كانت حتى القرن الثالث عشر تفوق تلك التى فى أكسفورد أو التى فى أية مدينة مسيحية أخرى»[١].

وتُغنى هذه الشهادة من أجنبى استعمارى عن كل تعليق آخر– وسنشير فى فصل مستقل فى هذا الكتاب بإسهاب أكثر للإثارة التى ترتبت على هذا الاستقرار العربى فى أفريقيا.

الطرق التى سلكها الإسلام فى انتشاره فى القارة

كانت شرق أفريقيا من المناطق التى استقر فيها العرب، والتى هاجر إليها المسلمون– كما رأينا– فى وقت مبكر منذ بزغ نور الإسلام، وقد سلك المسلمون عدة طرق إلى القارة الأفريقية، وفى انتشارهم فيها، ومن أهم هذه الطرق[٢]:

١– طريق المحيط الهندى:

فالمحيط الهندى هو طريق العرب الأساسى من شبه الجزيرة العربية إلى شرق القارة، وقد أشرنا للعوامل الجغرافية وغيرها التى يسرت هجرة العرب من شبه الجزيرة العربية عبر هذه الطريق إلى شرق القارة.

٢– باب المندب:

وهو مدخل طبيعى للمناطق المقابلة له من شرق القارة، وقد سلكه العرب قبل الإسلام إلى مناطق مثل مصوع، وعصب وما وراءهما فى الداخل– فكان طبيعيًا أن يسلكه المسلمون إلى داخل القارة، ويشير د. عبد العزيز كامل إلى أن إطلاق أسماء بعض الأودية والأنهار فى إرتيريا والسودان مثل مأرب، والقاش وهى أسماء لأودية وأنهار فى الجنوب العربى– لم يكن من قبيل الصدفة، وإن استخدام العرب لمدخل باب المندب بعد ظهور الإسلام– ما هو إلا متابعة للهجرات العربية التى استخدمته من قبل[٣].

---

(١) Coupland: Op, Cit. p. 39

(٢) من الدراسات الجادة والهامة والمفيدة فى هذا المجال:
عبد العزيز كامل : جغرافيا الإسلام فى أفريقية (محاضرات ألقيت فى معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة).

(٣) عبد العزيز كامل: نفس المرجع السابق ص ٢٤، ٢٦ .

والمحيط الهندى، وباب المندب كانا طريق المسلمين إلى الحبشة القريبة من باب المندب، حيث أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أتباعه بالهجرة إلى الحبشة حين اشتد بهم الأذى(١).

كما دخل الإسلام عن هذا الطريق إلى الصومال، فأصبح دولة إسلامية، كما امتد إلى كينيا وتنزانيا الحاليتين، ووصل الإسلام إلى أعالى الكنغو حيث استطاع حميد بن محمد المرجبى الذى اشتهر باسم توتيب (Tippu Tip) تكوين دولة عربية كانت عاصمتها (كاسونجو) ظل يحكمها حتى عام ١٨٩٠م(٢).

٣- البحر الأحمر:

عبور البحر الأحمر لم يُمثل عقبة فى وجه الانتقال بين الشاطئين العربى والأفريقى، وبعد الإسلام أصبح البحر الأحمر يُمثل طريقًا هامًا للحج للمسلمين الأفارقة، وقامت على الشاطئ الأفريقى لهذا البحر موانئ هامة باعتبارها مناطق تجمع الحجاج فى طريق للأماكن المقدسة الإسلامية بالجزيرة العربية، وتطورت أهمية البحر الأحمر فقد أصبحت بعض موانيه محطات هامة على الطريق الملاحى الذى يصل المحيط الهندى بعالم البحر المتوسط خاصة بعد شق قناة السويس.

٤- شبه جزيرة سيناء:

سيناء معبر يربط آسيا بأفريقيا، ولم تكن صحراء سيناء فى أى يوم حائلاً بين القبائل العربية المنتشرة فى شمال أفريقيا وشبه الجزيرة العربية.

وستلعب شبه جزيرة سيناء دوراً هامًا كطريق لهجرة القبائل العربية إلى شمال وغرب أفريقيا، ومن أهم الهجرات التى سلكت هذا الطريق هجرة بنى هلال، وبنى

---

(١) للدكتور عبد العزيز كامل، تعليق طيب على الهجرة للحبشة – فهو يعتبرها هجرة مؤقتة ويعتبر الحبشة أرض إيواء، بينما يثرب وقبول وفدها الإسلام وهجرة المسلمين إليها – فقد أصبحت قاعدة انطلاق.

(٢) اشتهر حميد بن محمد المرجبى – بالدور الذى قام به فى معاونة الرحالة ستانلى فى كشف نهر الكنغو –ولمن يريد المزيد يرجع إلى يواقيم رزق: حميد بن محمد المرجبى والوجود العربى فى الكنغو، رسالة ماجستير من معهد البحوث الأفريقية بجامعة القاهرة ١٩٧٥م ، بإشراف د. شوقى الجمل.

سليم، وقد استقرت بعض القبائل العربية المسلمة فى سيناء كما أن بعضها اتخذها معبراً إلى الغرب، وقد دفعت هذه القبائل العربية أمامها قبائل بربرية إلى الجنوب والغرب.

وتتمثل أهمية سيناء فى أنها الطريق البرى الوحيد بين الشطر (الجناح) العربى الأسيوى، والشطر (الجناح) العربى الأفريقى.

٥- مصر قاعدة للانطلاق الإسلامى فى أفريقيا:

كان فتح مصر فى العام التاسع عشر للهجرة فى عهد عمر بن الخطاب ودخول مصر فى حوزة الأمة الإسلامية – مرحلة هامة فى تاريخ الإسلام فى أفريقيا.

فمن مصر انطلق المسلمون فى اتجاهين هامين:

(أ) اتجاه جنوبى[1] إلى بلاد النوبة وسودان وادى النيل، وإلى الجنوب الشرقى إلى إرتيريا.

(ب) اتجاه غربى- اتجه فى طريق ساحلى إلى برقة، وطرابلس، والمغرب (أفريقية)، وكان تأسيس عقبة بن نافع مدينة القيروان عام ٩٠هـ خطوة هامة فى هذا الاتجاه.

٦- المغرب قاعدة لانطلاق الإسلام فى أفريقية:

كما أثرت مصر فى انتشار الإسلام والثقافة العربية فى سودان وادى النيل وشرق أفريقية- كذلك كان أثر بلاد المغرب واضحاً فى تاريخ الإسلام فى غرب أفريقيا.

فمنذ اللحظة التى دخل فيها الإسلام بلاد المغرب بدأ يتسرب إلى غرب أفريقية، والمعروف أن عقبة بن نافع الفهرى أوغل بقواته حتى ساحل المحيط الأطلسى، وسار موسى بن نصير فى نفس الطريق، فانفتح الباب للإسلام صوب الغرب وجنوباً إلى قلب القارة التى أطلق عليها الأوربيون فى وقت من الأوقات تعبير (القارة السوداء)، وكان هذا أول اتصال بين الإسلام القادم من المغرب وبين أقاليم غرب أفريقيا،

---

(١) عن انتشار الإسلام فى النوبة انظر:
- المقريزى: الخطط (١٣٢٤هـ) جـ١ ص٣٢٢ - ٣٣٧ .
- البلاذرى: فتوح البلدان (١٩٣٢م) ص ٢٢٥ وما بعدها.

وتتابعت بعد ذلك هجرات البربر الذين اندفعوا فى موجات متعاقبة نحو الجنوب متأثرين بالأحداث السياسية التى تعرضت لها المغرب، ولعل من أبرز القبائل التى لعبت دوراً حاسماً فى نشر الإسلام فى هذه الجهات قبائل الملثمين (الطوارق) بالذات، وقد كان لها نشاط واضح فى منطقة السنغال والنيجر وغيرهما من المناطق[١].

وسنشير بتفصيل فيما بعد للدور الذى لعبته هذه القبائل فى نشر الإسلام فى غرب أفريقيا.

وقد سبق أن أشرنا إلى أن هجرة بعض القبائل العربية مثل بنى سليم، والهلاليين وتقدمها تجاه الصحراء بحثاً عن مناطق تشبه إلى حد ما فى ظروفها وأنماط حياتها- تلك التى تعودت عليها فى بيئتها الأولى فى الجزيرة العربية- أدى بدوره إلى هجرة قبائل بربرية وزنجية تجمعت فى الواحات أو على ضفاف الأنهار، وساعد ذلك بدوره على نشر الإسلام فى المناطق التى نزحت إليها هذه القبائل- ويذكر توماس أرنولد أن هذا أدى إلى تغيير أساسى فى توزيع السكان[٢].

وقد أدى ذلك إلى نشأة مدن وحواضر إسلامية كبرى فى غرب أفريقيا، بل تبع انتشار الإسلام فى غرب أفريقيا قيام ممالك إسلامية كبرى لها مكانتها وحضارتها فى غانا، ومالى، وسنغى، وبرنو، وكانم، وقد ظل بعض هذه الممالك قائماً إلى أن واجهت موجة الغزو الأوربى الاستعمارى للقارة الأفريقية.

٧- الهجرة من الملايو وشبه القارة الهندية وباكستان وأثرها فى نشر الإسلام فى أفريقيا:

هاجرت أعداد ليست قليلة من شبه القارة الهندية وباكستان إلى ساحل أفريقيا الشرقى، وإلى أقصى جنوب القارة، وانتشر هؤلاء ومنهم عدد كبير من المسلمين فى تنزانيا، وكينيا، وفى أقصى جنوب القارة، واستقر عدد منهم وأصبحوا جزءاً من

---

(١) Dubois, F. : Islam Noir (Paris 1899) p. 28 .

(٢) تومارس، أرنولد: الدعوة إلي الإسلام (معرب - القاهرة ١٩٥٧م) ص ٣٩١ وما بعدها.

التكوين السكانى فى هذه الجهات التى استقروا بها، وساهموا فى نشر الإسلام بين عدد من المواطنين فى أماكن استقرارهم(١).

بعد هذا العرض للظروف التى دخل فيها الإسلام أفريقيا والطرق التى انتشر منها فى القارة، لعل السؤال الذى يفرض نفسه علينا هو ما هى حدود أرض الإسلام فى أفريقيا، وما هى النسبة المئوية لعدد المسلمين فى القارة لعدد سكانها.

يبلغ عدد سكان أفريقية ثلاثمائة مليون نسمة، ويصل عدد المسلمين منهم نحو ١٨٠ مليون نسمة أى حوالى ٦٠٪ من السكان- ويمثلون أكبر كتلة بشرية متماسكة، ويُحيطون بالصحراء الكبرى، ويشرفون على البحرين المتوسط والأحمر، وشاطئ المحيط الهندى، والأجزاء الشمالية من سواحل أفريقية المطلة على المحيط الأطلسى، ويتوغلون فى قلب القارة بدرجات متفاوتة(٢).

تحديد أرض الإسلام فى القارة

إذا حاولنا أن نحدد أرض الإسلام فى القارة نجد:

١- الحدود الشمالية:

يُعتبر الشاطئ الجنوبى للبحر المتوسط حداً شمالياً لأرض الإسلام فى أفريقيا، ومن المغرب العربى عبر طارق بن زياد بجيوش المسلمين إلى شبه جزيرة إيبريا، وظل المسلمون سادة هذه البلاد ما يقرب من ثمانية قرون حتى سقطت غرناطة آخر معاقل العرب بها فى عام ١٤٩٢م.

وقد استطاع المسلمون أن يُسيطروا على بعض جزر البحر المتوسط كصقلية واتخذوا منها موقعاً للمحافظة على ما وراءها من أرض المسلمين- لكن البحر المتوسط لأهميته الملاحية ظل مطعماً للدول الاستعمارية، فسعت انجلترا للتحكم فى مدخله

---

(١) يرجع أصل عدد كبير من مسلمى جنوب أفريقيا إلي الملايو، وقد جاء بهم الهولنديون فى القرن السابع عشر.

- انظر: توماس، أرنولد: المرجع السابق ص ٢٩٤ وما بعدها.

(٢) عبد العزيز كامل: مرجع سابق ص ٦٣.

الغربى ومدخله الشرقى، وكانت الدول الإسلامية المطلة على هذا البحر مطمعاً للدول الاستعمارية (إنجلترا، فرنسا، إيطاليا، أسبانيا).

٢- الحدود الشرقية:

أشرنا فيما مضى إلى سيناء وأهميتها باعتبارها المعبر البرى الوحيد الذى يربط بين الجناح الأفريقى، والجناح الأسيوى من أرض الإسلام.

وقد كان لهذا المعبر أهميته فقد كان- ومازال الممر الذى تعرضت منه مصر الإسلامية بالذات لخطر الغزو.

والمنطقة الثانية من الحدود الشرقية- تتمثل فى الشواطئ الغربية للبحر الأحمر، وهذا البحر- بحر إسلامى يحيط المسلمون بشاطئه الآسيوى والأفريقى لكنه لأهميته الملاحية خاصة كطريق للهند وتجارة الشرق فى العصور الوسطى، وأوائل العصور الحديثة وكطريق هام تخترقه حالياً البواخر حاملة البترول من دول الخليج وغيرها للبحر المتوسط فأوربا- كان ميدان صراع وتعرضت الدول العربية الإسلامية، المطلة عليه لمحاولات عدوانية متعددة، وكان على القوى الإسلامية أن تتصدى لهذا العدوان.

ومر الصراع الأوربى الإسلامى سواء فى البحر المتوسط أو فى البحر الأحمر أو فى المحيط الهندى فى مراحل متعددة يضيق المجال هنا عن عرضها لكنها تمثلت فى الصليبيات، كما تمثلت فى محاولات الدول الاستعمارية الأوربية للسيطرة على الدول العربية ذاتها، أو على الأقل المنافذ والثغور الاستراتيجية كجبل طارق، وطنجة فى المغرب وقنادة السويس فى المشرق، وعدن فى الجزيرة العربية بموقعها الفريد فى مدخل البحر الأحمر، كما لعبت جزر البحر الأحمر دوراً فى هذا الصراع.

وتمتد الحدود الشرقية لأرض الإسلام لتشمل الصومال، كما تمتد جنوباً إلى كينيا وتنزانيا، وبطول الساحل الجنوبى الشرقى للقارة حيث كانت للمسلمين إمارات عربية فى العديد من النقاط الساحلية.

وقد أشرنا إليها من قبل، وذلك قبل أن يكتشف البرتغال طريق رأس الرجاء

الصالح فى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى)، واستعاد المسلمون نفوذهم فى بعض مناطق من هذا الساحل بعد ذلك فى القرن التاسع عشر، عندما نجح السيد سعيد فى أن يُصبح صاحب النفوذ على شرق أفريقية وجعل زنجبار حاضره لبلاده، وانتشر المسلمون- كما ذكرنا بعد ذلك إلى أقصى جنوب القارة.

وإن كان المسلمون فى أقطار كمصر والسودان والصومال يمثلون غالبية بين السكان، وتعتبر الدولة الإسلام دينها الرسمى، فإن المسلمين فى جمهورية جنوب أفريقيا يمثلون مجموعة دينية فقط.

٣- الحدود الغربية:

انتشر الإسلام – كما ذكرنا- من شمال القارة إلى المغرب على وجه الخصوص عابراً الصحراء، ولذا انتشر على جبهة عريضة وغمر الأجزاء الشمالية من غرب أفريقية، متوغلاً حتى شمال نيجيريا التى كانت فيها سلطنات إسلامية مثل (سلطنة سوكوتو)، ويقل تركز الإسلام كلما توغلنا نحو ساحل غانة.

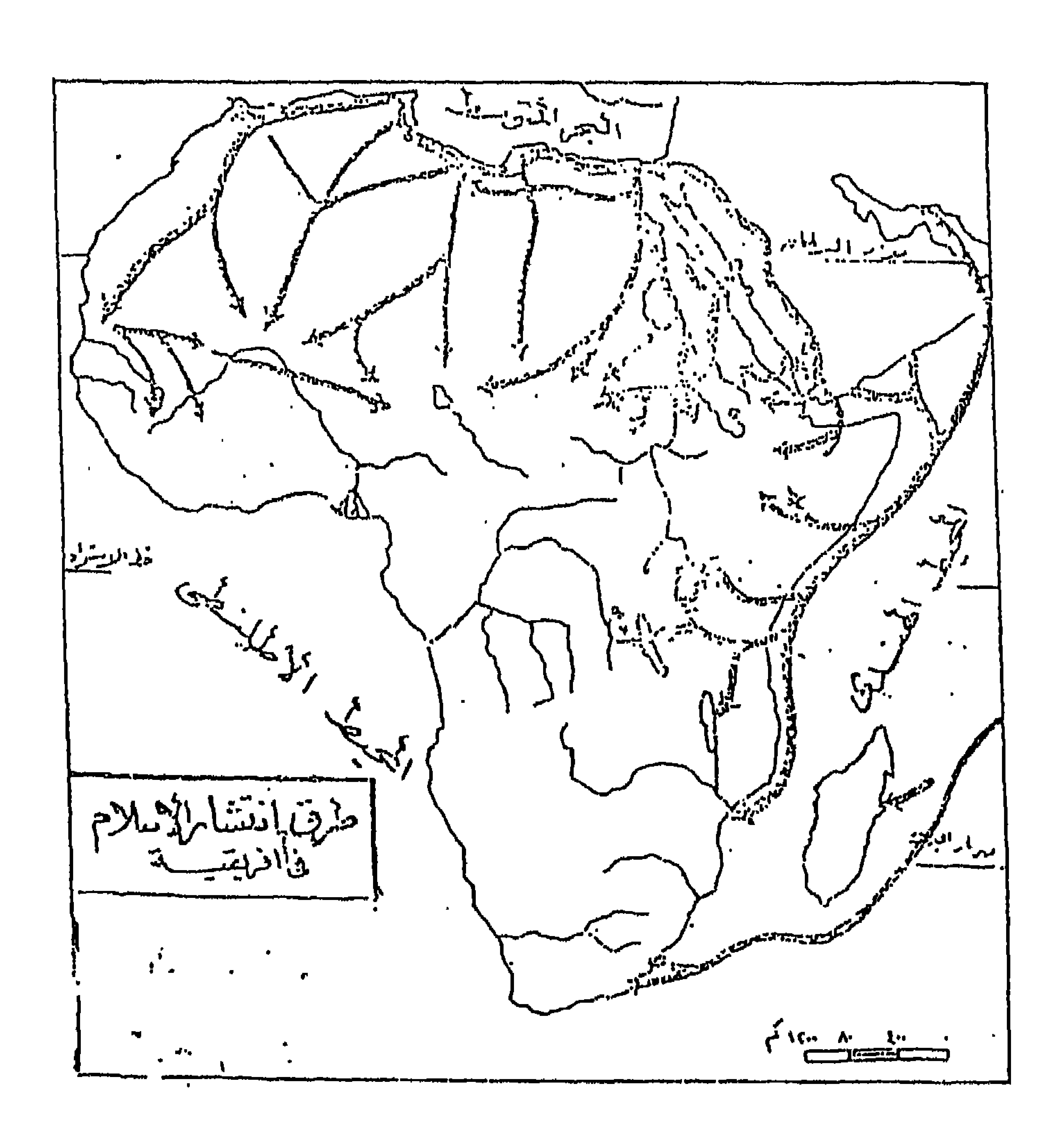
وقد يُثير الدهشة أن الإسلام انتشر فى مناطق كسيراليون وليبريا فى الأجزاء الداخلية القريبة من المؤثرات الآتية من المغرب أكثر من السواحل التى تأثرت بالمؤثرات المسيحية المصاحبة لنشاط الدول الأوربية المسيحية.

وعدد المسلمين فى أفريقيا يزداد يوماً بعد يوم، لكن هناك تقدير تقريبى للمسلمين بها:

فى أفريقيا الشمالية حوالى ٤٥ مليون نسمة تدين بالإسلام.
فى أفريقيا الغربية حوالى ٣٣ مليون نسمة. تدين بالإسلام.
فى أفريقيا الشرقية والسوادن حوالى ١٦ مليون نسمة تدين بالإسلام.
فى أفريقيا الجنوبية حوالى ٤ مليون نسمة تدين بالإسلام.

المجموع حوالى: ٩٨ نسمة تدينون بالإسلام.

وبعد هذا العرض العام لظروف دخول الإسلام وانتشاره فى أفريقيا- لعله من المناسب أن نتعرض بشىء من التفاصيل لتاريخ المسلمين فى بعض أقطار أفريقيا الهامة.


البحر المتوسط
خط الاستواء
المحيط الأطلنطي
المحيط الهندي
طرق انتشار الإسلام
في افريقية

شكل (١)

الفصل الأول
المسلمون فى شرق أفريقيا

النقاط التى تناولها:

١- الإمارات العربية على الساحل الشرقى.

٢- زنجبار.

٣- المسلمون فى الحبشة (أثيوبيا) وإريتريا .

٤- المسلمون فى الصومال.

٥- المسلمون فى أوغنده.

٦- المسلمون فى كينيا .

٧- المسلمون فى رواندا وبورندى .

٨- المسلمون فى جمهورية جنوب أفريقيا.

أولاً: الإمارات العربية على الساحل الشرقى

ذكرنا فى التمهيد أن العرب عرفوا الساحل الشرقى للقارة من وقت بعيد، وكانت لهم تجارتهم مع هذا الساحل، وقد هاجر عدد من العرب للهجرة إلى هذا الساحل واستوطنوا فيه، واندمجوا مع السكان الأصليين وتزاوجوا معهم وكونوا إمارات عربية، ولما ظهر الإسلام فى الجزيرة العربية أعطى دفعة جديدة وقوية للعرب للساحل الشرقى- لنشر مبادئ الدين الجديد، وكانت للأحداث التاريخية التى تعرضت لها الدولة الإسلامية آثارها فى زيادة الهجرة لهذه المناطق المعروفة لهم، فتوالت الهجرات العربية لساحل أفريقيا الشرقى بعد ظهور الإسلام - من البحرين، وعمان، والأحساء، واليمن، وحضرموت، وغيرها من أقاليم شبه الجزيرة العربية، وكان للعرب المسلمين فى سفالة، وكلوة، وزنجبار، وممبسة، ومالندى، وجودهم القوى، وطبعت هذه البلاد بالحضارة العربية التى أشاد بها الرحالة العرب والأجانب، وكان من مظاهرها انتشار اللغة السواحيلية التى هى مزيج من اللغة العربية واللغات الأفريقية التى كانت سائدة بين السكان على الساحل.

وظل للعرب فى هذا الساحل نفوذهم وتجارتهم الزاهرة حتى نهاية القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى)، حين وصل البرتغاليون لهذا الساحل.

ولم يقتصر الوجود العربى على الساحل، بل توغلوا للداخل، وقد سبق أن أشرنا إلى أنهم وصلوا إلى أعالى نهر الكنغو (مملكة حميد بن محمد المرجبى) .

على أن اكتشاف البرتغال لطريق رأس الرجاء الصالح ووصولهم إلى شرق أفريقيا- أدى لصراع مرير بين العرب المستقرين من وقت طويل على الساحل، وفى مناطق من الداخل بقدر ما كان نشاطهم التجارى يستلزم، وبين المستعمرين البرتغال.

وكان الرحالة البرتغالى بيدرو دى كوفيلهام (Pedro De Covilham) قد وصل إلى مصر فى عام ١٤٨٧م وسافر عن طريق البحر الأحمر لعدن والهند، وفى أثناء عودته زار أغلب المناطق العربية فى الساحل الشرقى لأفريقيا ودخل جنوباً حتى شرم سفالة (Sofala) ثم عاد إلى القاهرة[١].

---

(١) Johnston, H. : History of the Colonization of Africa by Alien Races (Cambridge 1913 p. 42).

وقد فتحت المعلومات الهامة التى جمعها هذا الرحالة- العيون إلى أهمية المناطق العربية بشرق القارة، وكانت أساساً للرحلة التى قام بها فيما بعد فاسكو داجاما (Vasco da Gama) حول رأس الرجاء الصالح، ووصل إلى الإمارات العربية بشرق أفريقيا ثم الهند.

فقد وصل داجاما عام ١٤٩٨م إلى نهاية القارة الأفريقية وعبر رأس الرجاء الصالح إلى الساحل الشرقى للقارة، وزار الإمارات العربية فى المنطقة، وقد ذُهل لما رأه فى هذه الإمارات من مستوى حضارى(١).

وتتابعت بعد ذلك رحلات البرتغال للهند عن هذا الطريق الجديد، وكان هذا بداية للصراع بينهم وبين العرب المسلمين المستقرين بشرق أفريقيا، بل بين البرتغال والقوى العربية فى العالم الإسلامى (المماليك، ثم الأتراك)، فقد كان الدافع الدينى من أهم دوافع البرتغال منذ أن نجحوا فى طرد العرب من أيبريا، وتعقبوهم بعد ذلك لشواطئ أفريقية الشمالية والغربية، ثم وصلوا إلى رأس الرجاء الصالح فشرق أفريقيا فى محاولة للوصول إلى تجارة الشرق التى كانت عصب الحياة الاقتصادية فى دولة المماليك التى كانت تبسط نفوذها على الشام ومصر والحجاز(٢).

وفى سنة ١٥٠٢م أثناء رحلة داجاما الثانية للهند نزل فى كلوة، وتحت التهديد بحرق المدينة أجبر السلطان على الاعتراف بسيادة البرتغال على المدينة، ودفع جزية سنوية رمزاً لهذه التبعية.

ويتبع ذلك خضوع زنجبار، التى يصفها البرتغاليون بأنها كانت فى ذلك الوقت عبارة عن جزيرة خضراء ناضرة تعج حدائقها بأشجار الفاكهة والخضروات.

وفى سنة ١٥٠٥م غادر لشبونة أسطول كبير من ثلاثة وعشرين سفينة تحت قيادة فرانسيسكو الميدا (Francisco De Almeida) بهدف تثبيت أقدام البرتغال فى الموانئ الواقعة على الساحل الشرقى للقارة، والقضاء على نفوذ المسلمين الذين كانت

---

(١) Duffy, James: Portuguese Africa (London 1959) p. 2

(٢) عن الدافع الدينى وراء نشاط البرتغال الاستعمارى يرجع إلي: شوقى الجمل: تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها (١٩٨٠م) ص ١٣١ وما بعدها.

لهم السيادة التامة على الطريق التجارى، ويعملون كوسطاء فينقلون منتجات الهند وغيرها من دول الشرق عبر المحيط الهندى والبحر الأحمر أو الخليج العربى إلى سواحل البحر المتوسط، حيث تجد طريقها إلى أوربا، وكانت السفن العربية قد وصلت إلى الصين، وكانوا من قرون قد احتكروا هذا العمل.

ولتحقيق هذا الهدف استولى البرتغال على سُفالة، وكلوة، التى قاومتهم بعنف، فانتقموا منها بإشعال النار فى المدينة بعد نهبها، وأقام البرتغال فى كلوة حصناً تركوا به حامية لهم.

وتقدموا إلى مالندى، وقد دافع سكانها من العرب المسلمين ومن الأفارقة دفاع الأبطال عن مدينتهم، وكان رد فعل البرتغال أنهم أشعلوا النار فى المدينة، فأتت على كل شيء، ولم يتركوها إلا بعد أن أصبحت رماداً، حتى أن شيخ المدينة المنكوبة والتى كانت قبيل مجيء البرتغال فى أوج عظمتها، كتب إلى زميله حاكم مالندى (Malin-di) يصف كيف وجدوا المدينة بعد عودتهم إليها بعد أن نهبها الغزاة البرتغاليون وتركوها للنيران، فقال: «لم يتركوا فيها أى كائن لا رجلاً ولا امرأة ولا صغيراً، ولا كبيراً، حتى الأطفال، كل الذين فشلوا فى الهروب قتلوهم أو أحرقوهم» وحذره من هذا الخطر الزاحف[١].

وبسقوط كلوة، وممبسة، سقط عمودان من أهم الأعمدة التى كانت تعتمد عليها السيادة العربية الإسلامية فى شرق أفريقيا.

وفى سنة ١٥٠٦م أرسل أسطول برتغالى آخر من أربعين سفينة لشرق أفريقيا تحت قيادة ألبوكيرك (Albuquerque) فاستولى على لامو، وبراوه، كما استولى على جزيرة سوقطره وبنى فيها البرتغاليون حصناً أصبح قاعدة هامة لعملياتهم البحرية فى المحيط الهندى.

وفى سنة ١٥٠٧ سقطت موزمبيق (Mazombique) فى يد القائد البرتغالى دوارت دا ميللو (Duarte De Mello) واستقر البرتغاليون بها، وبنوا مستشفى وكنيسة،

(١) Duffy, Op. Cit p. 28.

بالإضافة لثكنات لجيوشهم، وكان هذا بداية لمستعمرة موزمبيق البرتغالية التى ظلت تحت سيطرة البرتغال حتى عام ١٩٧٥م حين نجحت المستعمرات البرتغالية بشرق القارة وبغربها (موزمبيق، وأنجولا، وغينيا بيساو) فى أن تسترد حريتها بعد سقوط حكومة ساليزار الدكتاتورية فى البرتغال .

وزار البرتغاليون مدغشقر (مالاجاشى)، كما اكتشفوا جزيرة سنت هيلانة، وامتد نفوذهم على الساحل الشرقى حتى سفالة جنوباً، أما فى الشمال، فقد اعتمدوا فى بسط نفوذهم على صداقة شيوخ مالندى الذين استطاعوا أن يستميلوهم إلى جانبهم منذ أن قدموا لأول مرة للسواحل الأفريقية الشرقية مستغلين روح العداء التى كانت بين هؤلاء الشيوخ وشيوخ ممبسة، وأقام البرتغاليون فى ممبسة بعد سقوطها فى أيديهم قلعة حصينة كانت بمثابة اليد الحارسة للنفوذ البرتغالى فى هذا القطاع، وكان لقائد هذه القلعة وكلاء فى الموانئ المجاورة مثل كلوة، وبمبا، وزنجبار.

وفى سنة ١٥٠٩م عين البرتغال حاكماً عاماً لمستعمراتهم فى شرق أفريقيا، وبعد ذلك اتجهوا لساحل الجزيرة العربية والخليج، فهاجموا مسقط، وهرمز، وعدن.

وهذا يوضح بجلاء الارتباط القوى بين تاريخ المسلمين فى شرق إفريقيا، وفى السواحل والمناطق الهامة المواجهة لهذه السواحل فى بلاد العرب.

على أننا نشير إلى أن البرتغال لم تكن القوة الاستعمارية الوحيدة التى اتجهت بأنظارها لهذه المناطق الهامة بساحل أفريقيا الشرقى وللمحيط الهندى وجزره، فقد انفتح الطريق أمام الدول الاستعمارية الأوربية الأخرى مثل هولندا، وفرنسا، وانجلترا، والتى حلت فى هذا المجال محل البرتغال بعد أن أصاب الوهن والضعف البرتغال، خاصة بعد أن تأسست الشركات التجارية الاستعمارية التى أطلقت على نفسها اسم (شركات الهند الشرقية)[1]، وتنافست هذه الشركات فى نشاطها التجارى والاستعمارى ولعبت كل منها دوراً استعمارياً بارزاً فى الطريق المؤدى للهند، وفى

(١) تأسست شركة الهند الشرقية البريطانية سنة ١٦٠٠م .
وشركة الهند الشرقية الهولندية سنة ١٦٠٢م وشركة الهند الشرقية الفرنسية سنة ١٦٦٤م.

سبيل تحقيق مصالحها ومصالح الدول التابعة لها حاولت الاستيلاء على المواقع الاستراتيجية فى هذا الطريق[١].

على أن المسلمين فى شرق أفريقيا استطاعوا فى فترة تالية من تاريخهم أن يستعيدوا قوتهم، وأن يواجهوا الأطماع الاستعمارية فى بلادهم، وساندتهم فى ذلك القوى الإسلامية فى شبه الجزيرة العربية، وفى غيرها من الأقطار العربية، وقد لعب العثمانيون بالذات دوراً هاماً فى هذا الصراع[٢].

ثانياً: زنجبار

سبق أن أشرنا إلى أن السلطان السيد سعيد بعد أن تقلد إمامة عمان- استنجد به المسلمون فى شرق أفريقية، وقد نجح فى عام ١٨٣٧م فى الاستيلاء على ممبسة، وأصبح صاحب النفوذ على شرق أفريقيا، ونقل بعد ذلك حاضرة دولته إلى زنجبار، وأدت سياسته الحكيمة إلى ازدهار زنجبار، وتوافد عليها عدد كبير من المسلمين من شبه الجزيرة العربية، ومن الهند، ومن الأفارقة، ووفد إليها مهاجرون من أقطار إسلامية أخرى[٣].

وقد مد السيد سعيد نفوذه شمالاً حتى بلغ حدود الحبشة الجنوبية، وجنوباً حتى موزمبيق البرتغالية، بل إنه اتجه ببصره إلى جزيرة مدغشقر، فتزوج من ملكتها، وربط بذلك الدولتين بروابط المصاهرة.

ويرى ترمنجهام أن هناك ثلاث فترات متميزة للعلاقات العربية الإسلامية بشرق أفريقيا:

---

(٢) للمزيد من التفاصيل يرجع إلي:

Hoskins: British Routes to India (London 1928).

(٣) عن الصراع العمانى البرتغالى فى شرق أفريقيا يرجع إلي: (عبد النبى على أحمد على: الصراع العمانى البرتغالى فى شرق أفريقيا – رسالة دكتوراه من معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة إشراف د. شوقى الجمل).

(٤) شجع السيد سعيد الهنود المسلمين للهجرة لزنجبار فأعطاهم امتيازات، وبلغ عددهم فى عام ١٨٦٠م ما يزيد علي ٦,٠٠٠ شخص.

١- فترة الاستقرار العربى الإسلامى المبكر لشرق القارة.

٢- الفترة الشيرازية التى تمثلت فى قدوم جماعات عربية إسلامية من شبه جزيرة العرب وفارس، وكونوا سلطنات إسلامية برزت بالذات فى القرن العاشر الميلادى.

٣- الفرة التى أعقبت انهيار الاستعمار البرتغالى، وبرز فيه سلطان عمان، وأسسوا دولة زنجبار(١).

ولما أخذت عوامل الضعف تدب فى كيان زنجبار أسرعت بريطانيا عام ١٨٩٠م فشددت قبضتها عليها، وربطتها بمعاهدة حماية وسيطرت بريطانيا على تنجانيقا عام ١٩٢٠م منتدبة من قبل عصبة الأمم، واستقلت زنجبار فى ١٩٦٣م.

وفى أبريل ١٩٦٤م تألفت تنزانيا من اتحاد زنجبار وتنجانقيا- وسكان زنجبار جميعهم مسلمون، بينما ٣٣٪ من سكان تنجانيقا يدينون بالإسلام.

ثالثاً: المسلمون فى الحبشة (أثيوبيا) وارتيريا

تقع الحبشة فى شرق أفريقيا فى منطقة القرن الأفريقى بين خطى عرض ٤°، ١٨° شمالاً، وخطى طول ٣٣°، ٤٨° شرقاً.

ولهذا الموقع أهمية خاصة، فهى تُعتبر بمثابة الجسر الذى يربط بين القارتين الإفريقية والآسيوية، فلا يفصلها عن الساحل الأسيوى- إلا مسافة ضيقة تقل عن عشرين ميلاً، ويحدها من الغرب والشمال- السودان، ومن الشمال البحر الأحمر، ومن الشرق والجنوب- الصومال، ومن الجنوب كينيا(٢).

والهضبة الحبشية يتراوح متوسط ارتفاعها بين ٧٠٠٠، ٨٠٠٠ قدم فوق سطح البحر، لكن الهضبة تترك بينها وبين ساحل البحر الأحمر سهلاً ساحلياً(٣).

ونشير إلى أن اسم الحبشة (Abyssinia) اشتق من اسم قبيلة (حبشت) اليمنية،

---

(١) Trimingham, s: History of Islam in East Africa (London 1964) p.2 .

(٢) جمال الدين الدناصورى وآخرون: جغرافية العالم دراسة إقليمية (د. ت) ص ١١٥ .

(٣) فيليب رفلة : الجغرافية السياسية لأفريقيا (١٩٦٥م) ص ٣٤ .

وقد هاجرت هذه القبيلة من الجزيرة العربية قبل الميلاد بعدة قرون، واستقرت بهذه البلاد، وأعطتها اسمها[١].

ولا نستطيع أن نحدد تاريخًا معيناً لبداية العلاقات بين عرب شبه الجزيرة العربية والأحباش، فشبه الجزيرة العربية تواجه الحبشة، ولا يفصل بينهما إلا البحر الأحمر، وهو بحر ضيق، ويكاد يلتقى ساحلاه الأفريقى والأسيوى فى الجنوب عند مضيق باب المندب، بحيث يمكن القول: إن هذا البحر كان عامل وصل بين سكان شبه الجزيرة العربية، وسكان الساحل الأفريقى وما وراءه أكثر منه عامل فصل، خاصة أن الملاحة فى البحر الأحمر سهلة متيسرة طوال العام، فلا تكاد تهب زوابع أو أعاصير تعرض الملاحة فيه للخطر إلا بضعة أيام فى السنة.

وقد كانت للحبشة تجارة زاهرة، إذ كانت تصدر البن، والصمغ، والعاج، وريش النعام، والأغنام، والأبقار، والجلود، فى مقابل استيراد الأرز الهندى، والبلح، والأقمشة القطنية، والدخان، والحديد وغيرها، ولا شك فى أن العرب كانوا يلعبون دوراً هاماً فى هذا التبادل التجارى الذى كان يتم فى الغالب عن طريق المقايضة، إلى أن عُرفت العملات القديمة.

وهكذا كانت للعرب معرفة ببلاد الحبشة قبل الإسلام، فلما ظهر الإسلام فى شبه الجزيرة العربية، وجهر النبى صلى الله عليه وسلم بالدعوة وجد فيها بعض العرب هدماً لما ألفوه فى معتقداتهم، وخروجاً عما اعتادوا أن يعبدوه، كما وجد بعض أغنياء قريش فى الدين الجديد تقويضاً لسلطاتهم، ونهياً عن ملذاتهم التى اعتادوها، فناصبوا الرسول صلى الله عليه وسلم العداء، ورأوا أن يوجهوا اضطهادهم إلى أنصاره عامة، وإلى المستضعفين منهم خاصة، لاسيما مواليهم الذين وجدوا فى الدعوة الجديدة مخرجاً لهم من ذلك الأسر[٢].

(١) مراد كامل: الحبشة بين القديم والحديث (محاضرة ألقيت فى الجمعية الجغرافية المصرية، مارس ١٩٥٩م).
(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ (بولاق ١٢٧٤هـ) جـ٢ ص ٢٤ .

ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل بالمؤمنين بدعوته من إيذاء، رق قلبه لأنصاره، وخاف عليهم أن يفتنوا، فأشار عليهم أن يفروا بإيمانهم، ويهاجروا إلى بلاد الحبشة، فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لهم مخرجاً مما هم فيه(١).

وقد هاجر إلى الحبشة عشرة رجال، وأربع نسوة، ثم زاد المهاجرون للحبشة، فبلغ عددهم ثلاثة وثمانين رجلاً، وسبع عشرة امرأة، بالإضافة إلى الصبية، وكلهم من بطون قريش، وكان فيهم عثمان بن عفان، وزوجته رقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وجعفر بن أبى طالب، وامرأته أسماء بنت عميس، وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية، وأخوه خالد بن سعيد بن العاص(٢).

فلما رأى أهل قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمنوا، واطمأنوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً، استقروا فيما بينهم على أن يبعثوا منهم رجلين إلى النجاشى ليخرجهم من بلاده، فبعثوا عبد الله بن أبى ربيعة، وعمرو بن العاص، ومعهما الهدايا، فلما وصلا إلى بلاد النجاشى طلبا مقابلته، ثم قالا له: «أيها الملك، إنه قد أوى إلى بلدك منا غلمان من السفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا فى دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم، لتردهم عليهم، فهم أعلى منهم عيناً، وأعلم بما عنوا عليهم وعاتبوهم فيه»(٣).

فطلب النجاشى هؤلاء المهاجرين وسألهم عن حقيقة دينهم، فتقدم جعفر بن أبى طالب، ووصف له حالة العرب قبل الإسلام وبعده، وشرح له أن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ترمى إلى ترك الأوثان، وعبادة الله، والتخلق بمكارم الأخلاق، فقال له

(٢) نفس المرجع السابق جـ٢ ص ٢٩ . وكذلك محمد بن سعد: الطبقات الكبري، جـ١ (القاهرة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م) ص ١٣٦ .

(٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى (١٣٥٣هـ - ١٩٣٥م)، ص ١٠٦، ١٠٧.

(٣) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام: كتاب سيرة رسول الله (١٣٢٢هـ)، جـ١، ص٣٥٢ .

النجاشى: هل معك مما جاء به من الله شىء، فقال جعفر: نعم، فاقرأه علىّ، فقرأ جعفر عليه صدراً من سورة مريم، وفيها حديث عن ميلاد المسيح، فبكى النجاشى حتى اخضلت لحيته، وبكى أساقفته، حتى ابتلت مصاحفهم حين سمعوا ما تلى عليهم، ثم قال النجاشى لمبعوثى «قريش»: «إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة اتفاقاً، فلا والله لا أسلمهم إليكم»[١].

وقد بقى المهاجرون من المسلمين فى الحبشة، وقد أكرمهم النجاشى وأمنهم على حياتهم، وأصبحوا فى رغد من العيش، وقد رجع بعضهم فيما بعد إلى مكة قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وأقام بعضهم فى الحبشة إلى السنة السابقة للهجرة.

واستمرت العلاقات بين الجزيرة العربية والحبشة بعد ذلك، وأصبح العرب يترددون أكثر عليها، واستقر بعضهم هناك، وقيل: إن أول مسلم هاجر إلى الحبشة واستقر بها هو ود بن هشام المخزومى، وكان ذلك فى خلافة عمر بن الخطاب[٢].

على أن الأحداث السياسية فى الدولة الإسلامية أدت بعد ذلك إلى زيادة الهجرة إلى الحبشة والاستقرار بها- فالحبشة بموقعها الجغرافى وخصبها، واعتدال مناخها، وتنوع مواردها- كانت مغرية للراغبين فى الهجرة للعمل سواء فى الزراعة أو الرعى أو التجارة.

على أنه على الرغم من أن الصلات بين الأحباش والمسلمين – كما ذكرنا كانت فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام – طيبة وودية، فقد بدأت بعض الاحتكاكات بين الأحباش والدولة الإسلامية – بعد ذلك منذ عهد عمر بن الخطاب[٣].

فالمراجع تذكر أنه فى عام ٢٠هـ أرسل الخليفة سرية من المسلمين فى البحر بقيادة علقمة بن مُحرز المدلجى لمهاجمة الحبشة- ولا تعطينا المراجع تفسيراً لهذه

---

(١) نفس المرجع السابق ونفس الجزء ص ٣٠٤، ٣٠٥ .

(٢) زاهر رياض: تاريخ إثيوبيا (١٩٦٦م) ص ٥٦ .

(٢) فى السنة السادسة للهجرة أرسل الرسول إلي الملوك والأمراء – ومن بينهم النجاشى- كتبًا يدعوهم إلي الإسلام. انظر: الطبرى: تاريخ الأمم والملوك (القاهرة ١٣٢٦هـ)، جـ٣ ص ٨٩ .

الصدام الذى وقع بين الأحباش والعرب- لكن تذكر المراجع أن ميناء جدة تعرض لغارات الأحباش، مما اضطر المسلمين لرد هذا العدوان[١].

وتذكر المراجع أنه فى عام ٨٣هـ- اضطر المسلمون لاحتلال جزر دهلك القريبة من مصوغ، والمقابلة لميناء عدوه الأثيوبى، وذلك لضمان مراقبة تحرك الأحباش، وقد وجدت بهذه الجزر نقوش عربية، وشواهد قبور ترجع إلى منتصف القرن الثالث الهجرى، مما يدل على أن العرب المسلمين كان لهم وجود بهذه الجزر حتى هذا التاريخ، ويبدو أن دهلك أصبحت لها أهميتها كمركز مراقبة، وكمحطة تجارية بين شبه الجزيرة العربية والحبشة[٢].

ونشير إلى أن عدداً من القبائل العربية هاجرت واستقرت فى السهول الساحلية المحيطة بأرض الحبشة، وقد توالت الهجرات لهذه السهول التى كانت فى طبيعتها الصحراوية أو شبه الصحراوية شبيهة بما اعتاده العرب فى بلادهم.

وبمضى الوقت تحولت المراكز الإسلامية إلى إمارات أو ممالك إسلامية أطلق عليها البعض اسم إمارات أو سلطنات الزيلع الإسلامية، وأطلق عليها المقريزى اسم ممالك الطراز الإسلامى[٣].

ومن الشعوب التى كونت هذه الممالك أو السلطنات البجة، والأعفار (الدناكل)، والصوماليون، والجالا.

ومن أهم هذه الممالك والسلطانات: سلطنة أوفات، وسلطنة عدل، ومملكة فطجار، ومملكة دوارد، ومملكة بالى، ومملكة داره، وسلطنة شـوا، ومملكة هدية، ومملكة شرخة، وقد امتدت هذه الممالك من ميناء مصوع شمالاً إلى إقليم أوجادين جنوباً، ومن رأس غوردفواى شرقاً إلى أطراف الهضبة الحبشية غرباً.

وإن لم تتوحد هذه الممالك الإسلامية تحت سلطنة إسلامية واحدة، لكن ظهرت واحدة أو أخرى من هذه الممالك كقوة كبرى، فمثلاً ظهرت مملكة شوا الإسلامية التى

---

(١) ابن الأثير: مرجع سابق جـ٣ ص٢٨٠ .

(٢) Trimingham, Spencer: Islam in Ethiopia (London 1992) p. 45 .

(٣) المقريزى: الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام (نشرة د. رنك) ص ٣ .

بلغت أوج عظمتها فى القرن السادس الهجرى[١].

وكانت المسيحية قد وصلت إلى الحبشة فى القرن الرابع الميلادى عن طريق مصر، وأصبحت الكنيسة الأثيوبية تابعة للكنيسة المصرية الأرثوذكسية (كنيسة الإسكندرية) التى تكفلت بإرسال رجال الدين لها، وقد ظلت الصلة بين الكنيسة المصرية والكنيسة الإثيوبية إلى يومنا هذا، وإن كانت قد اختلفت نوع هذه العلاقة بين الكنيستين، وتطورت مع تطور العلاقة السياسية بين مصر وإثيوبيا[٢].

وقد سجل لنا التاريخ مراحل متعددة من الصراع بين ممالك الطراز الإسلامى ومملكة الحبشة المسيحية– فقد طمع الأحباش فى مد سلطانهم لهذه الممالك التى تتحكم ـ بحكم موقعها فى منطقة القرن الأفريقى ـ فى التجارة الخارجية عبر المحيط الهندى والبحر الأحمر.

هذا ونشير إلى أن الأحباش كانوا يتابعون أخبار الحملات الصليبية الدائرة فى بلاد الشام، وكان ملوك الحبشة يطمعون فى أن يسهموا فى هذه الحروب، وجرت اتصالات بينهم وبين ملوك أوربا بهدف قيام حلف مسيحى يكون للأحباش دور فيه بمهاجمة الدول الإسلامية من الجنوب.

ولما وصل البرتغال إلى شرق أفريقيا كان من أهدافهم الاتصال بالحبشة للاتفاق على عمل مشترك ضد القوى الإسلامية – وكانت (الملكة هيلانة) ملكة الحبشة قد أرسلت فى عام ١٥١٠م رسولاً إلى الملك عمانويل ملك البرتغال بهدف الاتفاق على هذا العمل، ومن ضمن ما جاء فى رسالة ملكة الحبشية أنها لا تعمل على مهاجمة المسلمين المتمركزين فى السهول المحيطة بالحبشة فحسب– لكنها أيضًا تنوى مهاجمة مكة، وهى فى هذا بحاجة لمساعدة الأسطول البرتغالى الذى أحرز انتصارات حاسمة على الأساطيل الإسلامية فى المحيط الهندى[٣].

---

(١) زاهر رياض: الإسلام فى إثيوبيا (١٩٦٤م) ص ٦٤ .

(٢) للمزيد من التفاصيل يرجع إلي: زاهر رياض : كنيسة الإسكندرية فى أفريقيا (١٩٦٢م).

(٣) حسن أحمد محمود: انتشار الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا، جـ١ (١٩٨٦م)، ص ٤٦١ .

ونشير إلى أن البرتغال استجابت لهذا الطلب الحبشى، والذى باركته وزكته البابوية، فأرسلت قوة على رأسها أحد أبناء فاسكوداجاما، وقد مُنيت القوات البرتغالية بخسائر فادحة وقتل قائدها، لكن لم تستطع القوات الإسلامية أن تُحقق نصراً حاسماً على الحبشة والقوات المؤازرة لها.

هذا على أن القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) شهد فصلاً جديداً فى حركة الجهاد الإسلامى بين مسلمى شرق أفريقيا والحبشة .

ففى هذه المرحلة من الصراع بين الأحباش والمسلمين ظهرت (إمارة عدل الإسلامية)– وبعض المؤرخين يُرجع التغيير الذى حدث إلى انتقال السلطة فى هذه الإمارة الإسلامية بشرق أفريقيا إلى أيدى طائفة جديدة من أمراء المسلمين اتخذت لقب (إمام).

ومن أبرز من ظهر من أئمة هذه الإمارة فى ذلك الوقت (الإمام أحمد بن إبراهيم) الذى اشتهر باسم القرين أو جرين أو جراى[١] .

وقد ولد هذا الإمام فى أحد الأقاليم بشمال هرر فى عام ٩٠٨هـ / ١٥٠٠م من أب وأم صومالية، وقد تعلم علوم الدين والفقه فى هرر حيث كانت فى ذلك الوقت من المدن الإسلامية الزاهية، كما تعلم الفروسية وبرع فى فنون القتال وتزوج ابنة الإمام محفوظ حاكم إمارة عدل.

وفى ذلك الوقت كانت الإمارات الإسلامية بشرق أفريقيا مفككة مما أتاح لملك الحبشة أن يُحكم قبضته عليها، ويفرض عليها الولاء، ودفع مبالغ من المال كدليل على تبعيتها للحبشة.

وقد كان أحمد بن إبراهيم يعمل تحت قيادة (الجراديون) قائد إمارة عدل، فلما مات هذا القائد خلفه أحمد بن إبراهيم، وقد لُقب بالإمام لتقواه وتدينه[٢].

---

(١) يُرجع البعض هذه التسمية (القرين أو الأشول) إلي أنه فعلاً كان يستخدم يده اليسري فى القتال بمهارة فائقة .

(٢) أفضل ما كُتب عن حياة الإمام أحمد وجهاده: عرب فقيه، شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن عثمان: فتوح الحبشة، جزءان (نشره رينيه باسيه، مارس ١٨٩٧م).

وكان أول عمل قام به الإمام أحمد هو توحيد الإمارات الإسلامية الواقعة على حدود الحبشة، وجمع شمل هذه الإمارات حوله، وقد تم ذلك بعد أن نقل عاصمة دولة عدل فى عام ١٥٢١م إلى مدينة هرر.

وكانت الحبشة فى ذلك الوقت تحت حكم الملك لبنى دنجل، وكانت أمه الملكة هيلانة وصية عليه إلى أن توفيت فى عام ١٥٢٥م، وكان هذا الملك الشاب يستهين بقوة المسلمين، فقد هاله إمتناع الإمام أحمد عن دفع الجزية التى كان يدفعها سلاطين عدل- فاستعد فى عام ١٥٢٧م لأن يلقن هذا الأمير المسلم درسًا - لكن الأمير أحمد كان قد استعد لقتال الأحباش، بل لغزو بلاد الحبشة ذاتها.

وفى سنة ٩٣٥هـ / ١٥٢٩م أحرز الأمير أحمد نصراً على الأحباش فى موقعة (شنبر كورى)، وأعقب ذلك فى عام ١٥٣١م بدخوله دوارو، وشوه، ومهرة، ولاستا، واستعاد إمارات بالى، وهدية، وسدامة- وهكذا لم يأت عام ١٥٣٥م حتى كان المسلمون يسيطرون على جنوب الحبشة ووسطها، مما اضطر الملك الحبشى للهروب من وجه الإمام.

وكان الأحباش قد استنجدوا بملك البرتغال ليرسل لهم قوة تساعدهم فى حربهم ضد المسلمين، وقد استجاب ملك البرتغال فعلاً، فأرسل نجدة للحبشة قوامها أربعمائة جندى من حملة البنادق، كما استنجد الإمام أحمد بالعثمانيين، فأرسلوا له تسعمائة من حملة البنادق وعشر مدافع، وقد استمرت المعارك بين الطرفين، وقد أطنب عرب فقيه فى شرح تفاصيل هذه المعارك التى اتخذت صورة حرب دينية.

ونشير إلى أن اليمن لعبت دوراً هامًا فى تزويد قوات الإمام بحاجتها من العتاد والمون، بالإضافة إلى النجدات التى زوده بها الأتراك من قاعدتهم فى زيلع[1].

وكان نجاح الإمام أحمد فى اقتحام أبواب عاصمة الملك الحبشى (أمهرا) رغم تحصينها- مرحلة حاسمة فى هذا الصراع، وقد عاد الإمام أحمد بعد هذا النصر

---

(١) زاهر رياض: الإسلام فى إثيوبيا (مرجع سابق)، ص ٢٥٠ وما بعدها، وكذلك محمد المعتصم: مهدى الصومال، بطل الثورة ضد الاستعمار (١٩٦٥م) ص ١٦ وما بعدها.

لعاصمته (هرر) للراحة والاستعداد للرحلة القادمة، بينما هرب الملك الحبشى تاركًا عاصمته وطلباً للنجاة بحياته.

وقد توفى الملك الحبشى لبنى دنجل فى عام ١٥٤٠م وخلفه ابنه كلاديوس[١]. وقد طلب الملك الحبشى الجديد نجدة جديدة من البرتغال، وقد أمده البرتغاليون بنجدة من ٥٠٠جندى مدربين تدريبًا جيداً، ومسلحين بالأسلحة النارية، كما أرسلوا له قوة بحرية استطاعت فرض حصار على شاطئ الحبشة الشرقى لتحول دون وصول نجدات من اليمن أو غيرها للإمام أحمد الذى كانت جيوشه قد بدأت تعانى من الإنهاك بسبب تعدد المعارك، وكثرة الذين استشهدوا من القادة البارزين فى هذه المعارك رغم ما أحرزته جيوش الإمام من انتصارات.

وقد جُرح الإمام أحمد جرحًا مُميتاً فى إحدى المعارك التى شارك فيها الجنود البرتغال مع الأحباش، وانتهى الكفاح البطولى للأمير أحمد جران الذى استمر حوالى خمس عشرة سنة (١٥٢٨-١٥٤٣م)، وكان لموت هذا المجاهد أثره على جيشه الذى بدأ يتقهقر أمام الأحباش والبرتغال.

وقد اختار المسلمون ابن أخت الإمام أحمد - الأمير نور الدين بن مجاهد إمامًا ليخلف خاله فى الجهاد (٩٥٩هـ / ١٥٥١م)، واستطاع هذا القائد العربى الجديد أن يشن هجومًا ناجحًا على القوات الحبشية، وقتل فى القتال الملك كلاديوس فى عام ١٥٥٩م.

لكن استطاع الأحباش بعد ذلك أن يعاودوا الكرة معتمدين على ما أصاب القوات الإسلامية من فتور بعد مقتل قائدها الأول الإمام أحمد - وانتهى الأمر بأن أُضطر الأمير نور الدين إلى اللجوء إلى حاكم مصوع التركى[٢].

على أننا نشير إلى أن جهاد الإمام أحمد قد أتى بثماره، فقد أدت انتصاراته المتتالية وإصلاحاته التى عممها فى البلاد الشاسعة التى خضعت له، لازدهار التجارة

---

(١) انظر: وصف عربْ فقيه للعاصمة وتحصيناتها وكنائسها الفخمة: عرب فقيه: مرجع سابق ص ١٨٩.

(٢) زاهر رياض: تاريخ إثيوبيا (١٩٦٦م) ص ٩٧ .

واستتباب الأمن، وانتشر الإسلام على نطاق واسع حتى أصبحت هرر مركزاً إسلامياً بارزاً للإسلام وتعاليمه فى شرق أفريقيا كلها، وقد استمرت هذه الآثار الثقافية والدينية حتى بعد انتهاء حياة هذا البطل المغوار.

ولاية الحبش الإسلامية

أشرنا عند الحديث عن هجرة القبائل العربية إلى الساحل الشرقى للقارة إلى أن هذه القبائل انتشرت فى السهول المحيطة بهضبة الحبشة وتركزت فى الموانى الساحلية مثل مصوع، وبيلول، وعصب ، واوبوك، وتاجورة، وزيلع،وبلهار، وبربرة.

وقد ساهمت هذه القبائل فى نشر الإسلام فى المناطق التى استقرت بها، بل وفى الحبشة ذاتها ـ وقد شهدت المنطقة حروباً متعددة بين حكام الحبشة وبين المسلمين المستقرين فى السهول المحيطة بها أشرنا إليها من قبل.

وقد دخلت الدولة العثمانية طرفاً فى هذه الحروب لتساند القوى الإسلامية خاصة حين دخل البرتغال كطرف فى النزاع لمساندة الحبشة مما أدى لأن تتخذ هذه الحروب صبغة الحروب الدينية.

وقد رأت الدولة العثمانية ـ بعد أن أصبحت القوة الإسلامية المسئولة إلى حد كبير عن صد العدوان عن العالم الإسلامى ـ أن تنشئ ما عُرف «بولاية الحبش العثمانية»[1].

وقد شملت هذه الولاية سواكن، ومصوع على الساحل الأفريقى، وذلك لمراقبة حركة الملاحة فى البحر الأحمر، ولتكون بمثابة (رباط) لقوة عثمانية ترقب حركة الأحباش بالذات ومن يساندهم من القوى الأوربية.

ويرجع الفضل فى تأسيس ولاية الحبش الإسلامية إلى أزدمر باشا الذى ولى شئون اليمن فى الفترة من ٩٥٦ إلى ٩٦٢هـ (١٥٤٩–١٥٥٥م) – وقد عُهد فى فترة

---

(١) عن ولاية الحبش العثمانية، وتاريخها، ودورها فى الأمن القومى العربى يرجع إلى: شوقى الجمل: ولاية الحبش العثمانية – بين أيالة جدة والإدارة المصرية ودوها فى الأمن القومى العربى (بحث قدم فى الندوة الدولية الخاصة بمصر والجزيرة العربية فى التاريخ ٣ – ٥ أبريل ١٩٩٣م بكلية آداب جامعة القاهرة).

من فترات التاريخ لوالى جدية بأمر هذه الولاية العثمانية الجديدة.

وقد أنيط بأمر هذه الولاية فى فترات متقطعة منذ عهد محمد على إلى والى مصر، وأخيراً استقرت فى أيدى الإدارة المصرية فى عهد الخديوى إسماعيل، لكى تدرأ عن هذه المناطق الهامة الأطماع التى بدت من الدول الاستعمارية الأوربية(١).

على أن التدهور الاقتصادى والسياسى الذى انتاب مصر منذ أواخر عهد إسماعيل، أتاح فرصة ذهبية للدول الاستعمارية لتحقيق أطماعها فى هذه الجهات فضغطت إنجلترا على الحكومة المصرية لإخلاء هذه الجهات(٢).

مستعمرة ارتريا

كانت إيطاليا بالذات، قد بدأت نشاطها فى منطقة عصب التى كانت تحت الإدارة المصرية، وبدأ النشاط الإيطالى على يد شركة ملاحية إيطالية - شركة روباتينو (Rubbatnio Steam Ship Comp) وبمساندة أحد رجال الدين الإيطاليين الذى كان كثير التردد فى ذلك الوقت على الحبشة، وعلى شرق أفريقيا، وهو القس جوزيب سابيتو (Giusoppe Sapetto) وانتهى الأمر بإعلان الحكومة الإيطالية فى ٥ يوليو ١٨٨٢م إنشاء ما عُرف باسم مستعمرة إريتريا.

على أن انضمام إيطاليا فى الحرب العالمية الثانية، لجانب المحور كان إيذاناً بتصفية مستعمراتها فى أفريقيا.

وكانت إثيوبيا تسعى لضم إرتيريا لها، ورغم أن غالبية سكان أرتيريا من المسلمين، فقد نجحت إثيوبيا فى تكون حزب من بعض الإرتيريين يُطالب باتحاد إرتيريا وإثيوبيا، وقد شكلت الأمم المتحدة لجنة لمعرفة رغبات أهالى إرتيريا - وبناءاً على تقرير اللجنة قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى دورتها الخامسة أن تكون

(١) يرجع للبحث السابق، والفرامانات الصادرة بإدارة هذه المناطق فى مجموعة الفرامانات الشاهانية .

(٢) لمزيد من التفاصيل يرجع إلي: شوقى الجمل: سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر (١٩٧٤م).

إرتيريا وحدة ذات استقلال ذاتى على أن تنضم مع إثيوبيا فى اتحاد فيدرالى تحت سيادة التاج الإثيوبى، وفى ١٤ نوفمبر ١٩٦٢م تحول الاتحاد الفيدرالى إلى اتحاد كامل.

وأدى اتجاه إثيوبيا لضم إرتيريا إلى قيام (حركة تحرير إرتيريا) التى تأسست فى نوفمبر ١٩٥٨م.

وقد أطلق عليها جمعية السباعية؛ لأنها فى البداية كانت منتظمة على أساس خلايا سرية كل خلية تتكون من سبعة أشخاص، وبدأت بتنظيمات للعمال والطلبة الإرتيريين فى القاهرة والسعودية والسودان، ثم انتقل نشاطها إلى داخل إرتيريا، وقد حددت أهدافها فى توحيد الشعب الإرتيرى، والعمل من أجل استقلال إريتريا، وتشكيل حكومة ديمقراطية بعد الاستقلال.

وقد تحولت الحركة إلى ما عُرف بـ (جبهة التحرير الإريترية)، وأعلنت الجبهة فى سبتمبر ١٩٦١م الثورة المسلحة، وقد ساندت البلاد العربية نضال الشعب الإرتيرى فى سبيل حقه فى تقرير مصيره.

وأخيراً أُضطرت إثيوبيا للاعتراف للشعب الإرتيرى بهذا الحق، وفى الرابع والعشرين من مايو ١٩٩١م نال الشعب الإريترى استقلاله، وأُختير الرئيس أسياسى أفورقى رئيساً للدولة الجديدة(١) .

رابعًا: المسلمون فى الصومال

تمتد سواحل الصومال مسافات طويلة على البحر الأحمر وخليج عدن والمحيط الهندى، فهى تمتد من خط عرض ٢° جنوباً إلى خط عرض ١٣° شمالاً، ويحدها شرقاً المحيط الهندى عند خط طول ٥١° شرق جرينتش، ومن الغرب خط ٣٥° شرق جرينتش، وأهمية موقع الصومال الاستراتيجى على المحيط الهندى لا تنكر، فيطل الصومال على المحيط الهندى بساحل طوله ١٨٠٠كم وعرضه يصل إلى ٤٥٠ كم،

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن تاريخ إرتيريا يرجع إلي: محمد عثمان أبو بكر: تاريخ إرتيريا المعاصر (١٩٩٤م). والمؤلف من المناضلين فى صفوف جبهة تحرير إرتيريا .

ويبلغ طول ساحله الشمالى المطل على خليج عدن ١٢٠٠ كم بعرض ١٧٠كم، ويشرف الصومال أيضًا على المدخل الجنوبى للبحر الأحمر (باب المندب)، وتبلغ مساحة الصومال كله حوالى ٣٢٠ ألف ميل مربع[١].

وقد ارتبطت الأمة الصومالية بالأمة العربية منذ فجر التاريخ، ويرجع البعض العلاقات العربية الصومالية إلى دولة سبأ، وقد كتب عن الصومال عدد غير قليل من المؤرخين والرحالة العرب المسلمين من أمثال ياقوت الحموى، والمسعودى، والإدريسى، وابن بطوطة، والقلقشندى، والمقريزى، وأبى الفداء، وابن حوقل وغيرهم.

ومنذ ظهور الدعوة الإسلامية كانت الصومال أسبق من أى دولة أفريقية أخرى أو أسيوية فى استقبال الدعوة، وذلك بحكم صلات الصومال القديمة ببلاد العرب، ووجود جاليات عربية على ساحل الصومال منذ انهيار سد مأرب فى عام ١٢٠م .

وكان اتجاه عرب عُمان – بحكم موقعهم الجغرافى – فى نشر الدعوة الإسلامية تجاه الأراضى الصومالية وشرق أفريقيا، كما أن انقسام المسلمين إلى شيع فى عهد على بن أبى طالب– دفع بعض الشيعة إلى الرحيل إلى بلاد الصومال، ولذا شهد الصومال نماذج متعددة من الفرق والمذاهب الإسلامية.

ومن أشهر دُعاة الإسلام فى الصومال خلال هذه الهجرات الإسلامية[٢].

١– هجرة سليمان وسعيد الجلنديين، ولعلها أول حركة استيطان إسلامية عربية على سواحل الصومال، وكانا ينتميان لقبيلة عُمانية حكمت عُمان من ٧٥ إلى ٩٥هـ (٥٠٧ – ٦٨٥م)، وكانت هذه هى الدعوة الأولى المنظمة للإسلام فى الصومال.

٢– الزيديون: وقد استقروا بمنطقة بنادر ونشروا الدعوة الإسلامية، والبعض يرجع بنسبهم إلى أحفاد على بن عم النبى عليه السلام.

---

(١) محمد عبد الغنى سعودى : الصومال عضو جديد فى الجامعة العربية (مجلة البحوث والدراسات العربية – العدد الخامس – يونيه ١٩٧٤).

(٢) للدراسة التفصيلية لهذه الهجرات يرجع إلي: حمدى السيد سالم: الصومال قديماً وحديثاً، جـ١ (١٩٦٥م) ص ٣٤٩ وما بعدها.

٣- الأخوة السبعة من الأحساء: وهم من قبيلة الحارث، ويرجع لهم الفضل فى إنشاء مدينة مقديشو .

٤- حسن بن على وأبناؤه الستة: وهم من المسلمين الفارسيين، وكانت هجرتهم للساحل الصومالى حوالى سنة ٩٧٥م، وقد شيدوا عدة مساجد ومبانى على الطراز الشيرازى .

٥- الشيخ آبادير: وقد وصل إلى هرر فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى)، وأصبحت بفضله قاعدة إسلامية لنشر الإسلام فى الصومال والحبشة.

٦- سلالة عقيل بن أبى طالب: استقروا بأرض زيلع فى مدينة (جبرت) فأطلق عليهم لفظ الجبرتية، وكان لهم نشاط ملحوظ فى مدينة بريرة، ثم انتشروا منها إلى بلاد الصومال المختلفة حيث قاموا بنشر الدعوة.

هذا ونشير إلى أنه انتشرت فى الصومال عدة طرق صوفية من أهمها القاردية، والصالحية، والأحمدية، والرفاعية[1].

وكان لأتباع هذه الطرق الصوفية دور هام فى نشر الإسلام فى الصومال[2].

وقد ترتب على انتشار الإسلام فى الصومال أن ظهرت مراكز متعددة للدعوة الإسلامية، لعل من أبرزها مقديشو، وبراوة، ومركة، وهرر.

وقد سبق أن أشرنا إلى العداء الذى نشأ بين مسلمى الصومال والحبشة، والدور الذى لعبه المجاهد الصومالى أحمد بن إبراهيم الذى اشتهر باسم أحمد جرى فى هذا المجال.

وكما يذكر ترمنجهام- فإن مسلمى الصومال يكونون أكبر مجموعة إسلامية فى شرق أفريقيا.

وكان من أثر انتشار الإسلام فى الصومال، وما تلاه من ظهور الطرق الصوفية، واختلاط العرب بالصوماليين، أن إنتشرت اللغة العربية، لكن بعد أن وقع الصومال

---

(١) Touval, S.: Somali Nationalism (Cambridge 1963) p.11

(٢) Trimingham, J. S.: Islam in East Africa (Oxford 1964) p. 133

فريسة للاستعمار الأوربى كما سنوضح - عمد أتباع الاستعمار- فى محاولة لإضعاف صلة الصوماليين بباقى العالم الإسلامى، لكتابة (اللغة الصومالية) بحروف لاتينية، على الرغم من احتجاجات المثقفين الصوماليين الذين نادوا بأن شعب الصومال المسلم يحتاج دائماً إلى دراسة الدين وقراءة القرآن الكريم بلغة الدين وهى العربية.

هذا ونشير إلى أنه لما بدأت أنظار الدول الاستعمارية تتجه إلى الصومال بموقعه الاستراتيجى الهام منذ منتصف القرن التاسع عشر، اتجهت مصر لمد إدارتها لهذه الجهات لحمايتها من الأطماع الاستعمارية الأوربية.

وطلب الخديوى إسماعيل من الدولة العثمانية أن تعهد لمصر بإدارة مصوع وسواكن لتدرأ عنهما أطماع الدول الاستعمارية التى كانت قد اتجهت لعقد معاهدات مع من استطاعت إغراءهم من رؤساء القبائل والمشايخ متجاهلة السلطات الشرعية[١].

وقد سبق أن أشرنا إلى أن شركة روباتينيو الإيطالية اتبعت نفس الأسلوب لشراء منطقة فى رأس عصب، وحاولت إنجلترا وضع يدها على بربرة بنفس الطريقة.

ولذا أسرعت مصر بوضع يدها على (بربرة) الميناء الهام المطل على المحيط الهندى، والذى لا يبعد كثيراً عن المدخل الجنوبى للبحر الأحمر.

كما طلبت مصر من الدولة العثمانية إحالة ميناء زيلع الذى كان تابعًا للواء الحديدة إلى الحكومة المصرية، وفعلاً صدر فى ٢٧ جمادى الأول ١٢٩٢هـ (أول يوليه ١٨٧٥م) فرمان بذلك[٢].

وشكلت مصر محافظة خاصة بسواحل البحر الأحمر، ولما كانت سلطنة هرر الإسلامية قد وصلت إلى درجة كبيرة من الضعف، فقد أرسلت حملة مصرية بقيادة رءوف باشا فتحت هرر وضمتها للإدارة المصرية، وأبقى أميرها السابق محمد عبد الشكور محافظاً لها تحت الإدارة المصرية، وقد شكلت حكمدارية مستقلة عن حكمدارية السودان أُطلق عليها اسم (حكمدارية هرر وملحقاتها)، وكان يتبعها بربرة، وزيلع، وهرر.

(١) دفتر رقم ٢١ عابدين تركو - مكاتبة رقم ٩٦ ص ٢١ فى ٧ ذى القعدة ١٢٨١هـ .
(٢) دفتر ٢٥ عابدين صادر ص ٢٥٦ رقم ٢٢ .

وقد قامت هيئة أركان الجيش المصرى بدراسة أوضاع هذه الجهات التى خضعت للإدارة المصرية، وتحديد إحتياجاتها العمرانية، وما تحتاجه من مستشفيات، ومدارس وغيرها، وبناءً على هذه التقارير قامت مصر بمشروعات متعددة لإمداد هذه الجهات بالمياه العذبة، ولنشر الأمن فيها، وتنظيم المعاملات وإقامة المدارس والمستشفيات وغيرها، مما كفل لسكانها حياة مستقرة طوال العام، فاستقروا بها بعد أن كانوا يُمارسون حياة الترحال، ولا يستقر بهم المقام إلا فى فترات محدودة من العام[١].

على أن إنجلترا بالذات – لم تنظر بعين الارتياح لسيطرة مصر على الموانئ الهامة فى البحر الأحمر كزيلع، وبربرة، وبلهار.

وبرغم ما تكبدته الحكومة المصرية من نفقات باهظة فى تأمين هذه الجهات، وفى تعميرها وإدخال وسائل المعرفة الحديثة بها، فقد ضغطت الحكومة الإنجليزية على الحكومة المصرية، لإخلاء هذه الجهات مستندة لما انتاب مصر منذُ أواخر عهد إسماعيل من تدهور اقتصادى وسياسى.

ولم يأت عام ١٨٨٤م حتى كانت الدول الاستعمارية قد **اقتسمت أملاك مصر فى هذه الجهات**، فأخذ الإيطاليون بمعاونة الإنجليز، منطقة عصب كما أشرنا من قبل، واستطاعت إيطاليا أن تتفق مع صديقتها إنجلترا، فاحتلت مناطق الصومال الجنوبية ووضعت يدها على موانئ براوة ومقديشو وكونت منها ما يسمى (**بالصومال الإيطالى**) .

ووقع اختيار إنجلترا على الجهات المقابلة لعدن على البر الثانى، فأجبرت مصر على إخلاء بربرة، وبلهار، وزيلع، واحتلتها هى وكونت ما يسمى (**بالصومال الإنجليزى**)، واتفقت مع إيطاليا فى عام ١٨٩١م على رسم حدود منطقة نفوذ كل من الدولتين.

---

(١) للدراسة المستفيضة: لأوضاع هذه الجهات قبل الإدارة المصرية وما أدته الإدارة المصرية بها من خدمات يرجع إلي:

شوقى الجمل: سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ١٩٧٤م – وكذلك شوقى الجمل: الوثائق التاريخية لسياسة مصر فى البحر الأحمر.

أما هرر فقد أجبرت إنجلترا مصر على إخلائها فى عام ١٨٨٥م وتسليمها للأمير عبدالشكور ابن أمير هرر السابق، ويبدو أن إنجلترا كانت تعتبر هذا الإجراء إجراءً مؤقتاً حتى تتاح لها الفرصة لوضع يدها عليها، لكن فى عام ١٨٨٧م زحف منليك ملك شوا على هرر واستولى عليها، ولا تزال فى يد الأحباش إلى اليوم.

ولم تخرج فرنسا صفر اليدين من هذه القسمة، فقد تذكر الفرنسيون أن فرنسيًا اشترى أو على الأقل ادعى أنه اشترى من أحد مشايخ القبائل ميناء (أوبك) فى عام ١٨٦٢م، ولم تهتم فرنسا فى ذلك الوقت بالأمر، لكن فى عام ١٨٨٢م حين فتحت مدافع الإنجليز التى كانت تضرب الإسكندرية آذان الفرنسيين وأبصارهم إلى التغيير المترقب حدوثه فى هذه المناطق الهامة، بادرت فرنسا إلى احتلال (أوبوك) والتوسع فيها للداخل، فاستولت على تاجورة وعلى جيوبى وغيرها من الجهات الساحلية القريبة، وفى سنة ١٨٩٦م صدر مرسوم فرنسى يضم هذه الجهات تحت اسم (**الصومال الفرنسى**)[١]. وبعد انتصار الأحباش على الإيطاليين فى معركة عدوة سنة ١٨٩٦م اتجهت أنظار الأحباش لإقليم الأوجادين الصومالى، ونجحت القوات الحبشية فى السيطرة على الإقليم.

على أن أبناء الصومال لم يستكنوا للوضع الذى آلت إليه بلادهم بعد أن مزقتها أربع دول استعمارية، فلم تلبث أن اندلعت الثورة فى عام ١٨٩٩م، وظلت مشتعلة أكثر من عشرين عاماً. وتزعم حركة المقاومة ضد الاستعمار (محمد بن عبد الله حسن)، وهو فى الأصل من قبيلة عربية هاجرت لهذه المنطقة فى القرن السابع الميلادى واستوطنتها، وقد لُقب هذا الزعيم بمهدى الصومال تشبهاً بمهدى السودان[٢].

ونادى محمد بن عبد الله حسن بتكتل الصوماليين للوقوف فى وجه المستعمر، واستطاع أن يوقع بالقوات الإنجليزية هزائم حتى لقبوه بلقب (The Mad Mvillah)،

---

(١) للتفاصيل يرجع إلي:
شوقى الجمل: الوثائق التاريخية لسياسة مصر فى البحر الأحمر (١٩٥٩م) .
(٢) للتفاصيل يرجع إلي:
Lewis, L.M.: The Modern History of Somali Land (London 1961) p. 46 .

وقد أنهكت حرب العصابات التى شنتها قوات الصوماليين الثائرين – الإنجليز حتى اضطروا للجلاء عن الداخل والاقتصار على المناطق الساحلية التى تكون فى حماية السفن الحربية– وحين نشبت الحرب العالمية الأولى، واشتبكت القوات العثمانية فى الحرب ضد الخلفاء – أعلن المجاهد الصومالى – الجهاد ضد دول الحلفاء الغربيين، واستمر يناظل حتى انتهت الحرب، واستطاعت قوات الحلفاء بعد ذلك أن تتفرغ لإخماد ثورة الصوماليين[١] ، وانتهى الأمر بقتل الزعيم الصومالى فى عام ١٩٢٠م بعد أن رسم للصوماليين طريق الجهاد وحدد أهدافه، وهى الحرية والوحدة لأرض الصومال كلها[٢] .

ولاشك فى أن حركة محمد عبد الله حسن كانت خطوة هامة فى تاريخ الصومال أدت فى النهاية لقيام جمهورية الصومال المستقلة عام ١٩٦٠م .

تعداد المسلمين حالياً فى الصومال ومذاهبهم:

يدين الصوماليون بالإسلام فقط ونسبة المسلمين فى الصومال ١٠٠ ٪ أما من حيث المذاهب فهم كلهم سنة على المذهب الشافعى– لكنهم يختلفون فى الانتماء إلى الطرق الصوفية، إذ انتشرت بينهم الطريقة القادرية التى تنسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلانى فى العراق، والأحمدية التى تنسب إلى الشيخ أحمد بن إدريس الفاسى، والصالحية والرفاعية وغيرها من الطرق الصوفية.

أوضاع الصوماليين فى ظل الاستعمار:

حاول المستعمرون تهميش دور المسلمين الصوماليين فى الحياة الاقتصادية والسياسية أثناء الاستعمار.

---

(١) عن تاريخ حياة محمد بن عبد الله حسن يرجع إلي: محمد المعتصم سيد: مهدى الصومال بطل الثورة ضد الاستعمار (د.ت) ص ٢٢ .

(٢) عن تفاصيل المعارك بين البطل الصومالى وبين الإنجليز يرجع إلي: عبد الله المشد، محمود خليفة: تقرير عن أحوال المسلمين فى بلاد الصومال، وإرتيريا، وعدن، والحبشة (القاهرة ١٩٥١م) ص ٩٠ وما بعدها.

فقد استنزف الإيطاليون والإنجليز موارد البلاد، واحتكروا التجارة، وظل الصوماليون يشتغلون بالرعى والزراعة بالطريقة البدائية.

وقد منعت السلطات الاستعمارية تشكيل الأحزاب السياسية، وقد قاوم الشعب الصومالى هذه السياسة الاستعمارية.

وكان المجتمع الصومالى يعانى من الأوضاع المتدنية التى يعيش فيها الصوماليون- فقد انتشرت فيه الأمراض الفتاكة مثل الدرن الرئوى، والحميات، والطاعون، والكوليرا، وأمراض سوء التغذية.

ولما استقل الصومال فى عام ١٩٦٠ بدأ الاهتمام بالتعليم، وساهمت مصر فى النهضة الثقافية فى الصومال بعدد من المدرسين المصريين، وكان للأزهر الشريف دوره فى هذا المجال، فزود المدارس الصومالية بحاجتها من المدرسين والكتب والأدوات المدرسية.

وأشير إلى أنه جاء فى دستور الجمهورية الصومالية فى البند الأول من المادة ٦١ «أن الإسلام دين الدولة».

وفى المادة الخمسين نص على أن «الفقه الإسلامى مصدر أساسى لقوانين الدولة»، والصوماليون يحتلفون بالأعياد الدينية الإسلامية.

التعليم الدينى بالصومال:

هناك ثلاثة مراحل للتعليم الدينى فى الصومال:

المرحلة الأولى:

فى الكتاتيب وتسمى (الدوكسى) باللغة الصومالية، ويتعلم فيها الدارس القرآن، وتستخدم الألواح الخشبية لذلك،وفى مقديشيو وحدها حوالى ٣٠٠ دوكسيا، وعدد التلاميذ فى كل دوكسى حوالى ٨٠ تلميذاً، وفى مدينة (هرجيسا) حوالى ٥٠ دوكسياً.

المرحلة الثانية:

التعليم فى المساجد، حيث يتعلم التلاميذ علوم الدين من فقه وتفسير وحديث، واللغة العربية ضرورية لمعرفة علوم الدين.

وعلوم الدين تدرس فى المساجد، وهذا النوع من التعليم ليس له منهج معين، ولا زمن محدد، ولا عدد معين من السنين.

وبعض المثقفين ينتقلون بين البلاد فى البوادى يعلمون التلاميذ تحت الأشجار.

المرحلة الثالثة:

الدراسة بالمعاهد الدينية – وقد تعددت المعاهد الدينية فى الصومال، وهناك ثمانية معاهد أزهرية (معهد مقديشيو الدينى، ومعهد برعو الدينى، ومعهد بلدوين الدينى، ومعهد بيدو الدينى، ومعهد جلكاعيو الدينى، ومعهد كسمايو الدينى، ومعهد بريمو الدينى، ومعهد هرجيسا الدينى)، وفى عام ١٩٥٣م أنشئ فى مقديشيو (معهد الدراسات الإسلامية).

أما مراحل التعليم الحكومى:

فهى ثلاثة: المرحلة الابتدائية، والمرحلة الإعدادية، والمرحلة الثانوية، ومدة الدراسة بكل مرحلة أربع سنوات.

وبالصومال معهد جامعى (معهد صوماليا الجامعى) من كليتين إحداهما للاقتصاد، والأخرى للحقوق، وهناك كلية للمعلمين تُخرج مدرسين للمدارس الابتدائية.

وبالصومال مدارس تابعة لجاليات أجنبية:

ففى مقديشيو، وفى بيدوه، وفى جرارة، وفى بلدوين، وفى كسمايو مدارس تابعة للجالية الإيطالية أو لغيرها من الجاليات، ويتعلم فيها الطلبة وتعدهم للعمل بالمصالح الحكومية أو لإتمام تعليمهم فى إيطاليا.

أثر الطرق الصوفية فى نشر الإسلام فى الصومال:

لعبت الطرق الصوفية كالقادرية، والطريقة الأحمدية (الإدريسية)، والصالحية، والرفاعية، والمرغينية (الختمية)، وغيرها من الطرق الصوفية دوراً هاماً فى نشر الإسلام ومبادئه فى الصومال وفى محاربة الاستعمار.

وقد تعددت المساجد فى الصومال، ففى مقديشيو وحدها أكثر من ١٥٠ مسجداً بالإضافة إلى الزوايا، لكنهم يحرصون على تجميع أكبر عدد من المصلين فى مسجد واحد لصلاة الجمعة، إذ إنهم جميعاً شافعيون.

وقد وجدت المساجد فى الصومال قبل أن يعرفوا المدارس، وعلى هذا فالمساجد كانت مكاناً للتعليم.

وقد كان لخطبة الجمعة التى هى بالعربية أكبر الأثر فى الحفاظ على اللغة العربية، وعلى تعاليم الإسلام ونشره فى سائر جهات الصومال.

وفى عام ١٩٥٩م أنشئ مكتب لبعثة الأزهر فى مقديشيو. وإذا ما أحصيت مساجد الصومال وقارنتها بعدد السكان فستجدها تمثل أكثر نسبة فى العالم الإسلامى بالنسبة لعدد السكان، ويدل هذا على عمق التدين فى قلوب الصوماليين(١).

وبعد أن نال الصومال استقلاله فى يوليه سنة ١٩٦٠م تضاعف عدد المدارس الابتدائية كما أنشأت الحكومة العديد من المدارس المتوسطة.

وفى عام ١٩٦١م افتتحت بمدرسة الشهيد كمال الدين صلاح، فصول الجمعية الخيرية الإسلامية للمرأة الصومالية لنشر التعليم بين النساء.

وفى ٢١ أكتوبر ١٩٦٩م قامت بالصومال ثورة بقيادة اللواء سياد برى الذى تولى حكم البلاد.

الحرب الأهلية فى الصومال وآثارها:

ظل سياد برى يحكم الصومال أكثر من ٢٠ عامًا حتى قام المؤتمر الصومالى الموحد فى يونيو ١٩٩١م بحركة نجحت فى إجبار سياد برى على الفرار، وعقد فى يوليو ١٩٩١م فى جيبوتى مؤتمر تقرر فيه تعيين (على مهدى محمد) رئيساً مؤقتًا للصومال إلى أن تجرى انتخابات عامة يُنتخب فيها رئيس دائم.

---

(١) الشيخ عبد الرحمن النجار: الإسلام فى الصومال (١٩٧٣م) ص ٨٦ .

لكن حدث خلاف بين على مهدى والجنرال محمد فارح عيديد رئيس المؤتمر الصومالى الموحد، وأدى الصراع بين قوات الطرفين إلى أكثر من ٥٠,٠٠٠ قتيل، وجرح أكثر من ٦٠,٠٠٠، واضطرت أعداد كبيرة من الصوماليين للنزوح للدول المجاورة (كينيا، وإثيوبيا، وجيبوتى، وإريتريا) كما لجأت أعداد منهم إلى اليمن وإلى الدول العربية الأخرى، وقد قدرت بعض الإحصاءات عدد هؤلاء اللاجئين بما يزيد عن مليون لاجئ صومالى يعيشون حياة قاسية، فهم يعانون من نقص المواد الغذائية وتتفشى فيهم الأمراض، وقد غرق عدد منهم فى أثناء محاولات الفرار فى سفن غير معدة لنقل الأعداد الغفيرة التى استقلتها فى هذه الرحلات غير الآمنة.

وبسبب هذا الصراع على السلطة سيطرت قبائل الأسحق على المناطق الشمالية، وأعلنت الانفصال عن بقية الصومال مكونة ما أطلق عليه اسم (جمهورية أرض الصومال).

وقد أرسلت الأمم المتحدة قواتها تتقدمها قوات أمريكية فيما أطلق عليه (بحملة إعادة الأمل) بهدف وضع حد للصراع فى الصومال، لكن اصطدمت هذه القوات بقوات الجنرال محمد فارح عيديد حين حاولت نزع أسلحة هذه القوات، وترتب على هذا قتل عدد من أفراد القوات الدولية، واضطرت هذه القوات فى مارس ١٩٩٤م للإنسحاب بعد فشلها فى تحقيق أهدافها.

وحاولت الجامعة العربية – ومنظمة الوحدة الأفريقية – ومنظمة المؤتمر الإسلامى التدخل السلمى للوصول لإتفاق بين الفصائل الصومالية يؤدى لحقن الدماء.

وفى عام ١٩٩٦م توفى الزعيم الصومالى محمد فارح عيديد إثر جرح أصيب به فى المعارك الدائرة بين الأطراف المتصارعة، وحل محله ابنه حسين عيديد فى رئاسة المؤتمر الصومالى الموحد.

وعقدت عدة مؤتمرات أفريقية فى أديس أبابا – وفى مقديشيو حاول رؤساء أفارقة فى مقدمتهم الرئيس زيناوى، والرئيس دانيال آرب موى التدخل للوصول لاتفاق بين رؤساء الفصائل الصومالية المتصارعة.

ومن المؤتمرات الهامة التى عُقدت لحل الأزمة الصومالية (مؤتمر سودرى) الذى اتفق فيه على تشكيل مجلس للإنقاذ الوطنى من ٤١ عضواً ولجنة تنفيذية من ١١ عضواً وهيئة خماسية.

وكان لمصر دور واضح فى مساندة الصوماليين سواء أثناء كفاحهم ضد المستعمرين أو بعد استقلالهم، فقد استشهد على أرض الصومال الشهيد (كمال الدين صلاح) ممثل مصر فى اللجنة الثلاثية التى شكلتها الأمم المتحدة لإعداد الصومال للاستقلال.

كما اشتركت مصر بكتيبة مع قوات الأمم المتحدة التى أُرسلت للصومال وكان للكتيبة المصرية دور بارز فى معاونة الصوماليين بمختلف فصائلهم سواء فى مواجهة الأمراض أو علاج المصابين أو مواجهة المجاعات التى اجتاحت البلاد.

ودعت مصر الزعماء الصوماليين بالقاهرة حيث عقدوا مؤتمراً انتهى فى ديسمبر ١٩٩٧م بالوصول إلى اتفاق على مبادئ أساسية للمصالحة، واتفق على أن يُعقد مؤتمر آخر فى (بيدوا) بالصومال فى فبراير ١٩٩٨م للاتفاق على النقاط المعلقة، وعلى الخطوات التنفيذية لوضع اتفاق القاهرة موضع التنفيذ.

لكن تأجل عقد مؤتمر بيدوا مرات، ومازالت مشكلة الصومال معلقة رغم ما تعانى منه البلاد بسبب الجفاف والسيول التى اجتاحت الصومال، فنقص الزرع، ونفقت الآلاف من رؤوس الماشية.

هكذا يعانى المسلمون الصوماليون من هذه المحنة التى قوضت أركان الدولة وشتت جهود المواطنين وأدت لبعثرة حبات عقدهم.

خامساً: المسلمون فى أوغنده

تقع أوغنده فى شرق أفريقيا وتحدها تنزانيا، ورواندا من الجنوب، وكينيا من الشرق، والسودان من الشمال، وتضم جزءاً من بحيرة فيكتوريا، ويبلغ عدد سكانها أكثر من ٢١ مليون نسمة.

وقد دخل الإسلام أوغنده فى وقت مبكر عن طريق التجار العرب الذين اختلطوا بسكان أوغنده وصاهروهم.

وقد أسس أول مسجد فى أوغنده فى قرية (كاسوبى) غربى كمبالا فى عهد الملك أمنيسه الأول ملك بوجنده الذى اعتنق الإسلام.

ولما مدت الإدارة المصرية - فى عهد الخديوى إسماعيل - سلطانها إلى ما عُرف بالمديرية الاستوائية عُين غوردن مديراً لهذه المديرية وذلك فى الفترة من ١٨٧٤م إلى ١٨٧٦م.

وقد أمرت الحكومة المصرية غوردن بإقامة سلسلة من المحطات العسكرية على النيل الأبيض من غندكرو حتى منابع النهر فى أوغنده، وأن يضم أوغنده ذاتها، وأن يطلق البواخر فى بحيرة ألبرت، وأن يعمل لاكتساب مودة القبائل الضاربة على سواحل البحيرات[١].

وقد أُختير شايى لونج (Chaillé Long) - وهو ضابط أمريكى- ليكون فى صحبة غوردون- وكان قد دخل فى خدمة الجيش المصرى سنة ١٨٧٠م وهو من الأجانب القلائل الذين دافعوا عن حقوق مصر المغتصبة[٢].

ونشير إلى أن الخديوى إسماعيل استدعاه وأخبره أنه وقع عليه الاختيار كرئيس أركان حرب للجنرال غوردون لعدة أسباب أهمها حماية مصالح الحكومة المصرية، وذكر له أن الإنجليز على وشك أن يرسلوا حملة بقيادة ستانلى (Stanley) بحجة تقديم المعونة للدكتور لفنجستون (Leving Stone) بينما الهدف الحقيقى لهم هو رفع العلم البريطانى على أوغنده، ولهذا فعلى شايى لونج بعد أن يذهب إلى غندكرو ألا يضيع الوقت، بل يتجه فى الحال إلى أوغنده ليعقد مع ملكها محالفة ليسبق جهود إنجلترا.

---

(١) عمر طوسون: تاريخ مدرية خط الاستواء ١٣٥٥هـ / ١٩٢٧م . ج١ ص١١٠ وما بعدها.
(٢) من أهم كتبه:

(a) Chaille Long: Les Trois Profetes, le Mahdi, Gordon, Arabi, (1881).

(b) Chaille Long: L' Egypte et ses Provinces perdues (1892).

(c) Chaille Long: Mylife in four continents, 2 vols (1912).

وقد ذهب شايى لونج إلى أوغنده، ومعه حرس مؤلف من جنديين فقط حتى لا يستشم من زيارته رائحة حملة عسكرية، والجنديان هما سعيد نقارة، وعبد الرحمن الفورافى، وهما من الأورطة السودانية التى سبق أن قاتلت فى المكسيك لمساعدة فرنسا.

وفى ٢١ يونيو ١٨٧٤م وصلوا إلى عاصمة أوغنده (روباجا)، وزار شايى لونج ملك أوغنده فى قصره المقام على تل مرتفع، وقدم إليه الهدايا.

وقد أقام شايى لونج فى ضيافة الملك الأوغندى حتى ١٤ يوليو، ثم زار بحيرة فيكتوريا ورجع بعد ذلك.

وذكر شايى لونج فى كتابه مصر ومديرياتها المفقودة - إنه بعد وصوله إلى عاصمة أوغنده - عقد مع الملك معاهدة قبل الملك بمقتضاها وضع مملكته تحت حماية مصر، وأن هذه المعاهدة أرسلت إلى الخديوى إسماعيل الذى قام بإبلاغ الدول بمقتضى هذه المعاهدة أن مصر ضمت إليها جميع البلاد الواقعة حول بحيرة فيكتوريا وبحيرة ألبرت[١].

وذكر شايى لونج أن الملك طلب أن ترسل له بعض العقاقير الطبية، ويرى أن تقدم له جميع الوسائل التى تيسر دخول رعاياه فى الدين الإسلامى، فأرسلت له نسخة من القرآن الكريم داخل صندوق من الخشب الفاخر، كما أرسلت له بعثة من العلماء لتوقفه على المبادئ الصحيحة للإسلام[٢].

هذا وإتماماً لمأمورية شايى لونج أرسلت الحكومة المصرية وفداً آخر على رأسه أرنست لينان إلى بلاط ملك أوغنده- وقد ذكر أرنست ليئان (Ernst Linant) أنه فى يوم ١٢ أبريل ١٨٧٥م قابل ملك أوغنده - وفوجئ أثناء الزيارة أنه كان فى زيارة الملك الرحالة ستانلى.

وفى ٧ مارس ١٨٧٦م أرسلت بعثة أخرى بقيادة رومولو جيسى (Remolo Gessi) ارتادت سواحل بحيرة ألبرت[٣].

---

(١) Challe Long: L' Egypte et ses Provinces perdues (Paris 1892).

(٢) برقيةعربى جهات سايره ص ٩٣- خطاب بتاريخ ١٩ رجب ١٢٩١هـ - من خديوى مصر إلى شايى لونج فى أوغنده.

(٣) Gessi, R. : Seven Years in the Sudan (London 1892) p.p. 99-136 .

وبناءاً على رسالة من ملك أوغنده يطلب أن تُقام فى عاصمته روباجا الثكنة العسكرية التى كان غوردون ينوى إقامتها فى أورند وجانى - أرسل غوردون ١٦٠ جندياً ثم عزز هذه القوة بـ ٦٠ جندياً آخر بقيادة نور أفندى محمد مدير جبهة (فاتوكه) ووكيله محمد أفندى إبراهيم- وقد أقامت القوة محطات عسكرية فى كل من أورند وجانى، وروباجا عاصمة أوغنده ورفع عليها العلم المصرى، وقد نشرت الوقائع المصرية أخبار طلب ملك أوغنده عساكر للإقامة فى عاصمة ملكه(١).

كما قامت بتبليغ قناصل الدول رسمياً بضم البلاد الواقعة حول بحيرة فيكتوريا وألبرت(٢).

وقد ترتبت على هذه العلاقات المصرية الأوغندية انتشار الإسلام فى أوغنده، فقد بادرت مصر - كما ذكرنا - بإرسال بعض رجال الأزهر إلى أوغنده لتوضيح وشرح تعاليم الإسلام للملك وحاشيته ورعيته.

على أننا نشير إلى أن النفوذ المصرى لم يستقر طويلاً فى أوغنده، فقد أدركت إنجلترا أهمية هذه المناطق التى تتحكم فى منابع النيل.

فقد أرسل غوردون بعثة إلى أوغنده برئاسة الدكتور إدوارد شنتزر (Edward Sehnitzer) الطبيب الألمانى الذى دخل فى خدمة الحكومة المصرية، وأسلم وسمى نفسه أمين أفندى- وقد قام أمين أفندى- حسب تعليمات غوردون له - بسحب الجنود المصريين الموجودين فى عاصمة أوغنده- وذلك فى ٩ سبتمبر ١٨٧٦م، وعلل غوردون هذا العمل بأنه علم أن الملك الأوغندى رفع العلم البريطانى الذى تركه له ستانلى على عاصمته، وأنه بدأ يضيق على الحامية المصرية، ولذا قرر سحب الحامية المصرية، ووضعها على بعد خمسة عشر كيلو متراً شمال أورند وجانى وأنه يراقب مجرى الأحداث.

على أنه من المعروف أن بريطانيا وألمانيا كانتا تتنافسان منذ ١٨٨٥م على النفوذ فى هذه المنطقة، وإن الدولتين اتفقتا على اقتسام المنطقة بينهما، ونجحت بريطانيا فى أن تحتل أوغنده وتجعلها تابعة لها - وظل النفوذ البريطانى فى هذه الجهات وحصلت أوغنده على الحكم الذاتى، وفى ٩ أكتوبر ١٩٦٢م حصلت على الاستقلال، وأصبحت

دولة مستقلة فى نطاق الكومنولث، وأصبح ملك باجندا (أوكا باكا موتيسا) رئيساً لأوغنده حتى أطاح به رئيس الوزراء (ميلتون أوبوتى) فى فبراير ١٩٦٦م، وأعلن قيام الجمهورية.

وفى يناير عام ١٩٧١م انتهز الجنرال (عيدى أمين) القائد العام للقوات المسلحة غياب (ميلتون أوبوتى) خارج البلاد فأطاح بحكمه.

وفى عام ١٩٨٠م حدث تدخل عسكرى من تنزانيا أنهى حكم عيدى أمين وتمكن أخيراً (يورى موسيفنى) من السيطرة على الحكم فى أوغنده.

والمسلمون فى أوغنده معظمهم على المذهب الشافعى، ويتراوح عدد المسلمين فى أوغنده نحو ثلث عدد السكان.

وقد انتشرت فى أوغنده عدة مدارس ابتدائية وثانوية للمسلمين- كما أنشئ فى فبراير ١٩٨٩م مركز للتراث الإسلامى، وقامت الجامعة الإسلامية فى أوغنده التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامى بإنشاء كلية للتراث الإسلامى.

وهذه الكلية تضم أقساماً للدراسات الإسلامية، واللغة العربية، والشريعة.

والجامعة الإسلامية فى أوغنده تضم خمس كليات (كلية التراث الإسلامى، وكلية التربية، وكلية الآداب والعلوم الاجتماعية، وكلية الدراسات الإدارية).

ونشير إلى أن الأزهر الشريف خصص منحاً دراسية لأبناء المسلمين فى أوغنده، كما يوفد بعض الأئمة والرعاة والعلماء لتدريس العلوم الإسلامية بالجامعة الإسلامية فى أوغنده.

كما قام الأزهر الشريف فى عام ١٩٩٧م بإنشاء معهد أزهرى فى أوغنده، وقد أدت هذه الجهود إلى انتشار اللغة العربية بالإضافة إلى الدين الإسلامى فى أوغنده.

* * *

سادساً: المسلمون فى كينيا

تقع كينيا فى منطقة شرق أفريقيا، أو ما كان يُعرف باسم شرق أفريقيا البريطانية (كينيا، وأوغنده، وتنزانيا)، وهى على المحيط الهندى بين نهر أومبا ورأس دك، وتمتد صوب الداخل حتى بحيرة فيكتوريا، ويحدها من الشمال إثيوبيا، والسودان، ومن الغرب أوغندا، ومن الجنوب تنزانيا، ومن الشرق المحيط الهندى، وتقع الصومال إلى الشمال الشرقى منها.

وتضم كينيا مجموعة من الجبال، والبحيرات، والأنهار الصغيرة.

وينتمى سكان كينيا إلى أعراق مختلفة وقبائل متعددة امتزجت منذ آلاف السنين، وقد كان للعرب صلات قديمة مع الساحل الكينى، فقد كانوا وسطاء فى التجارة.

وبظهور الإسلام فى القرن السابع الميلادى بدأ فصل جديد من العلاقات العربية الأفريقية، فقد تدفقت هجرات عربية إسلامية إلى الجزر والمدن الساحلية فى شرق أفريقيا، ولم يكن ذلك بسبب التجارة فحسب، بل أيضاً بسبب الصراعات المذهبية والسياسية التى قامت بين المسلمين فى بلادهم.

وقد أدت الهجرات العربية إلى قيام عدد من المراكز الهامة على ساحل أفريقيا كما شرحنا سابقاً، وقد أبرزنا أثر الهجرات الشيرازية الفارسية لشرق أفريقيا.

وإذا كانت قد قامت إمارات عربية إسلامية مستقلة فى مقديشيو، وبراءة، وكيسمايو، وباتى، وزنجبار، ومافيا، وكلوه، وسفالة- لكن كان لإمارة منها أو أخرى فى بعض الأحيان السيادة على عدد من الإمارات المجاورة- فكلوه مثلاً أصبحت لها السيادة على الجزء الحيوى من ساحل أفريقيا الشرقى.

الأسرة النبهانية فى شرق أفريقيا:

فى مستهل القرن الثالث عشر (١٢٠٣) تزوج أحد سلاطين مسقط من أميرة سواحيلية هى ابنة إسحاق حاكم باتى إحدى جزر أرخبيل لامو، ثم ورث الملك وأصبح أميراً شرعياً، ونقل قاعدة ملكه من عمان إلى شرق أفريقيا، وبذا تأسست الأسرة النبهانية فى مدينة باتى، وقد استطاعت هذه الأسرة أن تبسط نفوذها، بالإضافة إلى باتى على العديد من مدن الساحل الشرقى طوال القرنين الثالث عشر والرابع عشر

الميلاديين، فقد ضمت كيسمايو وبراوة، ومقديشيو، وظل نفوذها قائمًا حتى عام ١٧٤٥م[١].

اليعاربة فى عمان وكفاحهم ضد البرتغال:

استطاع ناصر بن مرشد بن سلطان أن يقود عرب عمان نحو الوحدة الوطنية، ونبذ الصراع القبلى، ولذا يعتبر مؤسس دولة اليعاربة التى حكمت عمان من ١٠٣٤هـ إلى ١١٦٢هـ (١٦٢٤-١٧٤٩م)، ويرجع لهذه الأسرة الفضل فى مواجهة البرتغال الذين كانوا قد سيطروا على النشاط التجارى فى المحيط الهندى بعد أن كشفوا رأس الرجاء الصالح، ووصلوا عام ١٤٩٨م إلى الهند، وانطلقوا إلى شرق القارة الأفريقية وإلى الخليج العربى وسواحل عمان.

وقد اشترك عرب عمان مع الأفارقة فى إنهاء السيطرة البرتغالية على شرق أفريقيا (١٥٠٠-١٦٩٨م).

ويمثل عام ١٦٥٠م العام الذى نجح فيه سلطان اليعاربة السلطان بن سيف الأول ١٠٥٩-١٠٩١هـ (١٦٤٩-١٦٧٩م) فى عام ١٦٥٠م من تحرير مسقط من سلطان البرتغال، كما نجح سيف بن سلطان الأول ١١٠٤-١١٢٣هـ (١٦٩٢-١٧١١م) من تحرير حصن ممبسة من سيطرة البرتغال - وبنهاية عام ١٧٣٠م انتهى الصراع العثمانى البرتغالى فى شرق أفريقيا.

لكن دولة اليعاربة فى عمان قد أصابها الوهن، كما أن البرتغاليين كانوا هم أيضاً قد أصبحوا فى حالة شديدة من الضعف، وأصبحوا مشغولين أكثر بفتوحهم فى العالم الجديد.

وفى عام ١٧٤٩م كان أحمد بن سعيد قد نجح فى تأسيس دولة جديدة فى عمان هى دولة مسقط - وقد حرصت هذه الدولة على إنعاش العلاقات التجارية بين عمان وشرق أفريقيا، ونجحت دولة بوسعيد فى عهد السلطان سعيد بن سلطان (١٨٠٦-١٨٥٦م) فى تقوية سلطانها فى زنجبار بشرق أفريقيا.

وفى عام ١٨٣٢م انتقلت العاصمة من مسقط إلى زنجبار، وفى عام ١٨٩٠م وضعت بريطانيا زنجبار تحت حمايتها، وانتهت هذه الحماية البريطانية عام ١٩٦٣م، ونشأت الدولتان الحديثتان كينيا، وتنزانيا .

---

(١) عبد الرحمن زكى: الإسلام والمسلمون فى أفريقيا (القاهرة ١٩٧٠م) ص ٢٤٨ وما بعدها .

ونجح جومو كينياتا فى حكم كينيا فى الفترة من ١٢ ديسمبر ١٩٦٣م إلى ٢٢ أغسطس ١٩٧٨م وخلعه الرئيس دانيال آراب موى، وجدد انتخابه عام ١٩٨٨م .

والإنجليزية والسواحيلية لغتان رسميتان فى كينيا، ويمثل المسلمون حوالى ١٠٪ من السكان الذين يبلغ عددهم ٢٩,٠٠٠,٠٠٠ نسمة تقريباً.

أثر الإسلام على حياة ومجتمع الكينيين:

أثر الإسلام والحضارة الإسلامية فى حياة الكينين ومجتمعهم، ولم تقتصر هذه الآثار على معتنقى الديانة الإسلامية.

فقد حدث تطور اجتماعى وثقافى وحضارى فى شرق أفريقيا نتيجة الاحتكاك العربى والإسلامى مع الوطنيين الأفارقة.

وقد تطورت المساكن فأصبحت تُبنى بالأحجار - وانتشرت مبادئ الشريعة الإسلامية فغيرت الكثير من تقاليد وعادات الأفارقة، وأصبحت قبائل عديدة أبوية النسب بعد أن كان الأطفال ينسبون لأمهاتهم.

وانتشرت مبادئ الوراثة الإسلامية، فأصبح للنساء حق فى الإرث عكس ما كان سائداً عند البانتو، ولما كان الإسلام يسمح بالملكية الفردية فقد أصبح الاعتراف بالملكية الفردية بدلاً من الملكية الجماعية .

كذلك انتشر الزى العربى، وسواء اعتنق الفرد الإسلام أو لم يدخل فى الإسلام، فقد انتشر الإيمان بخالق واحد أو على الأقل بقوة عظمى تدير شئون هذا الكون.

وبالطبع المسلمون أكثر تمسكاً بأصول الشريعة، وبما ينادى به دينهم من أوامر ونواهى.

واتصال المسلمين فى كينيا وتفاعلهم مع مسلمى تنزانيا وغيرهم من مسلمى شرق أفريقيا، ومسلمى العالم العربى يساعد على تأصيل وانتشار مبادئ الإسلام وتعاليمه فى كينيا وفى غيرها من أقطار شرق أفريقيا.

* * *

سابعًا: المسلمون فى رواندا وبورندى

رواندا دولة حبيسة فى وسط أفريقية تحدها أوغنده شمالاً، وتنزانيا شرقًا، وبورندى جنوبًا، وزائير غربًا.

وقد كانت محمية ألمانية منذ ١٨٩٩م – لكن بعد الحرب العالمية الأولى وضعت تحت الانتداب البلجيكى.

يبلغ سكانها حوالى ٩مليون نسمة، ٩٠ ٪ منهم من قبائل الهوتو المزراعين، ١٠ ٪ من التوتسى الرعاة. ويبلغ عدد المسلمين ١٠ ٪ من السكان.

وقد وصل الإسلام إلى رواندا عن طريق زنجبار، وتنجانيقا، وأوغنده، ويذكر أنه فى عهد الملك روابويحيرى الرابع وفد على قصر الملك تاجر عربى، وتقرب للملك وصاهره وعرف رجال القصر تعاليم الإسلام ومبادئه .

وفى عهد الاستعمار الألمانى جاء لرواندا مع الجيش الألمانى من تجانيقا وزنجبار عدد من المسلمين وساهموا فى نشر الإسلام فى رواندا.

وفى ظل الاستعمار البلجيكى لعب العرب المسلمون الذين استعان بهم البلجيك – نفس الدور.

ويتواجد المسلمون فى رواندا بكثرة فى مدن معينة مثل مدينة موجاندا مورى (Muganda Mure) ومدينة رواما جانا (Rwama Gana)، وفى مدينتى بوجاراما، وكامبمى، وفى نجوما Ngoma.

وقد بنى المسلمون فى رواندا بعض المدارس لتعليم أبنائهم القراءة والكتابة والمبادئ الإسلامية.

وقد بنى الليبيون فى رواندا بالاشتراك مع دولة الإمارات العربية المتحدة مركزاً للعلوم الإسلامية عبارة عن جامع، ومعهد للعلوم الإسلامية، ومدارس متخصصة فى العلوم الدينية.

وقد ساهم هذا المركز الإسلامى فى بناء المدارس الإسلامية فى مختلف المدن الرواندية التى يتواجد فيها أعداد من المسلمين– ويدرس فى بعض هذه المدارس مشايخ من خريجى الجامعات والمعاهد الإسلامية فى السعودية وليبيا والأزهر الشريف.

والمسلمون فى رواندا على المذهب السنى - وإن وجد بعض الشيعة .

ومنذ الثمانينيات من القرن العشرين بدأ المسلمون يبرزون فى المجتمع الرواندى، ويتولون مناصب رسمية عالية .

وبالإضافة إلى المركز الإسلامى فى رواندا هناك تجمعات إسلامية أخرى تباشر نشاطها الدينى والتثقيفى والاجتماعى فى المجتمع الرواندى كجمعية مسلمى رواندا، ولها مقر رئيسى فى العاصمة كيجالى.

أما بورندى:

فتقع على الساحل الشمالى الشرقى لبحيرة تنجانيقا فى وسط أفريقية، وتحدها رواندا شمالاً، وتنزانيا شرقاً، وزائير غرباً.

وقد انضمت بورندى مع رواندا إلى أفريقيا الشرقية الألمانية، لكن بعد هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى صارت تحت الحكم البلجيكى فى ظل نظام الانتداب.

وصارت بورندى دولة مستقلة فى أول يوليه عام ١٩٦٢م، وعانت من الصراع بين الهوتو الذين يكونون ٨٠٪ من السكان والتوتسى، ومنذ عام ١٩٦٦م أعلنت الجمهورية فيها.

وغالبية سكان بورندى ٦٢٪ مسيحيون كاثوليك، والمسلمون نسبة بسيطة من السكان.

* * *

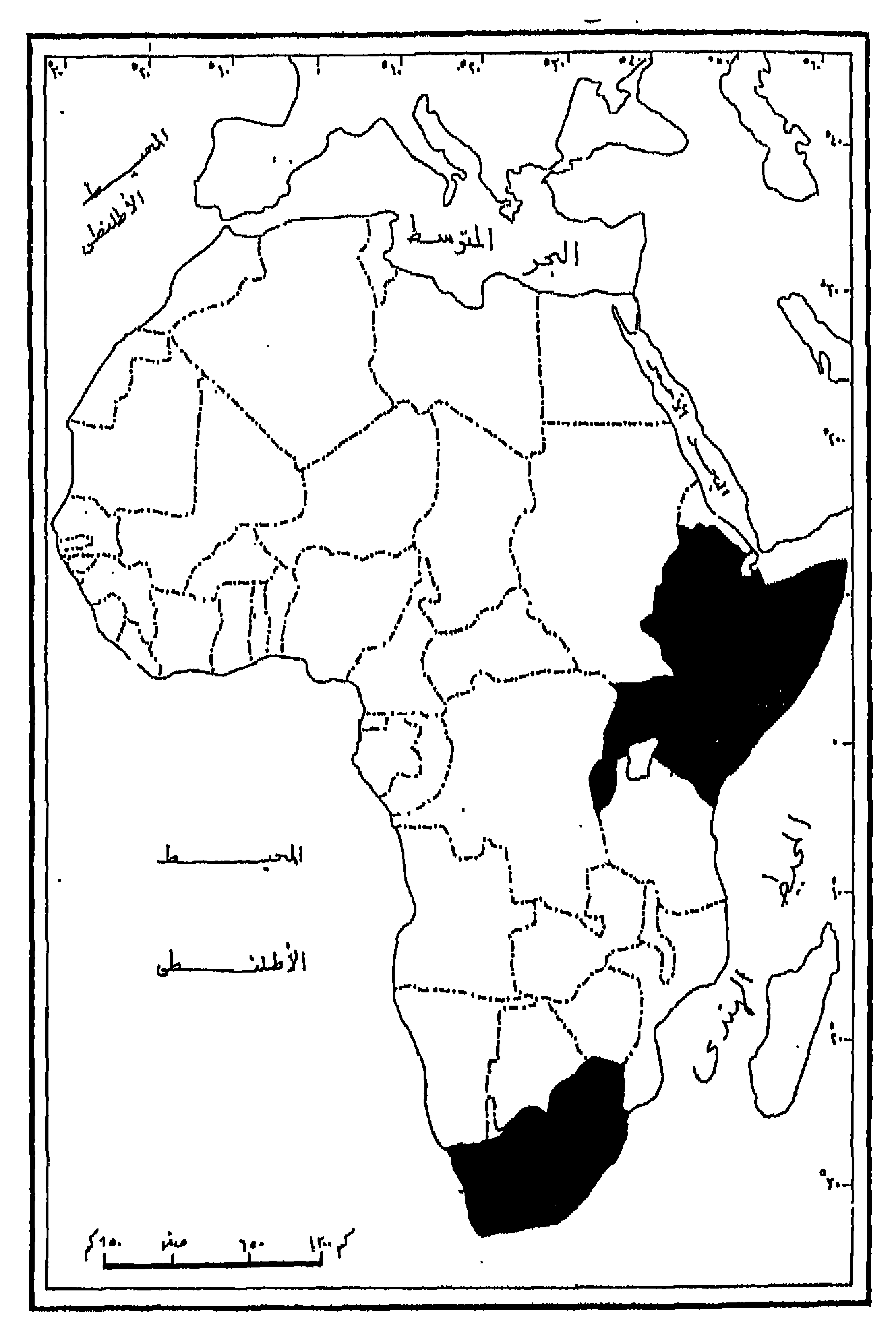
ثامنًا: المسلمون فى جنوب أفريقيا

بعد أن استقر المسلمون فى شرق أفريقيا، وكونوا إمارات إسلامية على الساحل الشرقى للقارة- وفى الجزر القريبة- أخذ الإسلام يتسرب لجنوب القارة.

وقد وفد لجنوب أفريقيا عدد من الهنود المسلمين فى ظل الحكم البريطانى.

وليست لدينا إحصائيات دقيقة عن عدد الهنود المسلمين الذين وفدوا لجنوب أفريقيا واستوطنوها- لكن الإحصائيات تفيد أن ما يقرب من ربع عدد الآسيويين الذين وفدوا لجنوب أفريقيا واستقروا بها للعمل كانوا مسلمين - وكان لهؤلاء دور كبير فى نشر الإسلام بين السكان هناك.

* * *



شكل (٢) المسلمون فى شرق أفريقيا

الفصل الثانى
انتشار الإسلام فى مصر والمغرب

المحتويات :

أولاً: انتشار الإسلام فى مصر.

ثانياً: امتداد النفوذ الإسلامى إلى المغرب.

ثالثاً: قيام دولة إسلامية مستقلة بالمغرب العربى.

كان استيلاء المسلمين على مصر عام ٣١٣هـ/ ٦٤١م إيذاناً بامتداد سلطانهم غرباً صوب الشمال الأفريقى، وجنوباً صوب بلاد النوبة والسودان.

فقد توالت حملات المسلمين – بعد فتح مصر– غرباً حتى دخل الشمال الأفريقى كله فى كنف الدولة العربية الإسلامية العظيمة، وأصبح يمثل الجناح الغربى فى جسم العالم العربى الإسلامى المتكامل.

كما توالت حملاتهم جنوباً حتى دانت لهم ممالك النوبة المسيحية، وسنمر سريعاً بالأحداث الهامة التى انتهت بهذا العمل الكبير.

أولاً: انتشار الإسلام فى مصر

كانت مصر فى النصف الأول من القرن السابع الميلادى تحت الحكم البيزنطى، وكان الشعب فى حالة سيئة، فمنذ استولى الرومان على مصر سنة ٣٠ق.م جعلوها مخزناً يمد روما بحاجتها من الغلال، وقد تفنن الرومان فى جباية الضرائب، فكانت تجبى على الرؤوس والصناعات، وفرض على المصريين إيواء من يمر بهم من موظفى الحكومة الملكيين والعسكريين[1].

وقد دخلت المسيحية مصر على يد القديس مرقس الذى بنى أول كنيسة فى الإسكندرية حوالى عام ٦٩م– وعلى الرغم من أن المسيحية أصبحت الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية منذ عام ٣٨٥م فى عهد الإمبراطور ثيودوسيوس Theodo-sius فقد استمر اضطهاد أقباط مصر[2] إذ كان مذهب الكنيسة المصرية يختلف عن مذهب الكنيسة البيزنطية، ولذا عانى أقباط مصر الكثير من اضطهاد الحكام البيزنطيين.

وقد ترتب على حركة الاضطهاد التى عانى منها أقباط مصر هجرة عدد كبير من المصريين نحو الجنوب، فلجأ كثيرون إلى الصحراء والأماكن النائية وإلى أسوان وما حولها، وأمعن كثيرون منهم فى الهجرة جنوباً، واستقر بعضهم فى بلاد النوبة، وقد عاش كثيرون منهم فى الأماكن النائية عيشة الرهبان، وتكونت تجمعات منهم فى

---

(١) عن أوضاع مصر قبل الفتح العربى الإسلامى – انظر:

Graftan, Milne: History of Egypt Under Roman Rule (London 1913).

(٢) حدث خلاف مذهبى بين المسيحيين فظهر مذهبان:

أ– المذهب الملكى . ب– المذهب اليعقوبى الذى اعتنقته الكنيسة المصرية.

هذه الأمـاكن، وأدى ذلك إلى قيـام (نظام الديرية) فى مصـر، ولا يزال عـدد من الأديرة المصرية فى الواحات الخارجة وفى غيرها من واحات مصر- تعطى فكرة عن هذا النظام الفريد الذى نشأ نتيجة الضغوط التى لاقاها هؤلاء المصريين.

وقد اتجهت أنظار العرب -بعد أن أوقعوا الهزيمة بالجيوش البيزنطية فى الشام- إلى أن يتوجوا هذا النجاح بفتح مصر بما لها من موقع هام على البحر المتوسط، وباعتبارها الطريق لفتح الغرب.

ومهد العرب لفتح مصر بالاتصال بالقبائل العربية التى كانت تُقيم على حدود فلسطين، وتمتد بعض بطونها إلى مديرية الشرقية بمصر، كذلك الاتصال بالمصريين الذين لم يكونوا على وفاق مع السلطات البيزنطية الحاكمة التى كانت تسيء معاملتهم.

وفى عام ١٨هـ / ٦٣٩م طلب عمرو بن العاص من الخليفة عمر بن الخطاب أن يأذن له بفتح مصر، وظل يهون عليه أمر فتحها، ويعدد له المزايا التى يجنيها المسلمون من هذا الفتح حتى أذن له الخليفة .

وسار عمرو بن العاص بجنده إلى العريش وفتحها من غير مقاومة تذكر، ومنها وصل إلى مدينة (الفرما) وحاصرها حتى تم له فتحها، وتقدم عمرو حتى وصل إلى بلبيس واستولى عليها، وسار عمرو إلى أم دنين، وطلب من الخليفة المدد، فأمده بأربعة آلاف مقاتل على رأسهم بعض مشاهير الصحابة هم الزبير بن العوام، وعبادة ابن الصامت، ومسلمة بن مخلد، والمقداد بن الأسود، وتقدم صوب (حصن بابليون) وحاصره، وقد امتد الحصار إلى سبعة أشهر حتى طلب المقوقس حاكم الروم من عمرو الصلح، وكتب للإمبراطور هرقل بذلك، لكن الإمبراطور رفض الصلح، وأرسل قوة لتدعيم الحامية الرومانية المدافعة عن العاصمة (الإسكندرية) التى كانت قوات المسلمين تحاصرها، وأخيراً اضطر المقوقس لقبول شروط الصلح التى فرضها المسلمون، وبموجبها تقرر أن ترحل الحامية الرومانية بأسلحتها على ألا يحاول الروم استرداد مصر مرة أخرى[1].

---

(١) عن مراحل الفتح يرجع إلي:

Butler, Alfred: The Arab Conquest of Egypt (Oxford 1902);

- ويرجع لخط سير الحملة .

- وعن شروط الصلح يرجع إلي: ابن عبد الحكم: فتوح مصر (القاهرة ١٩١٤م) .

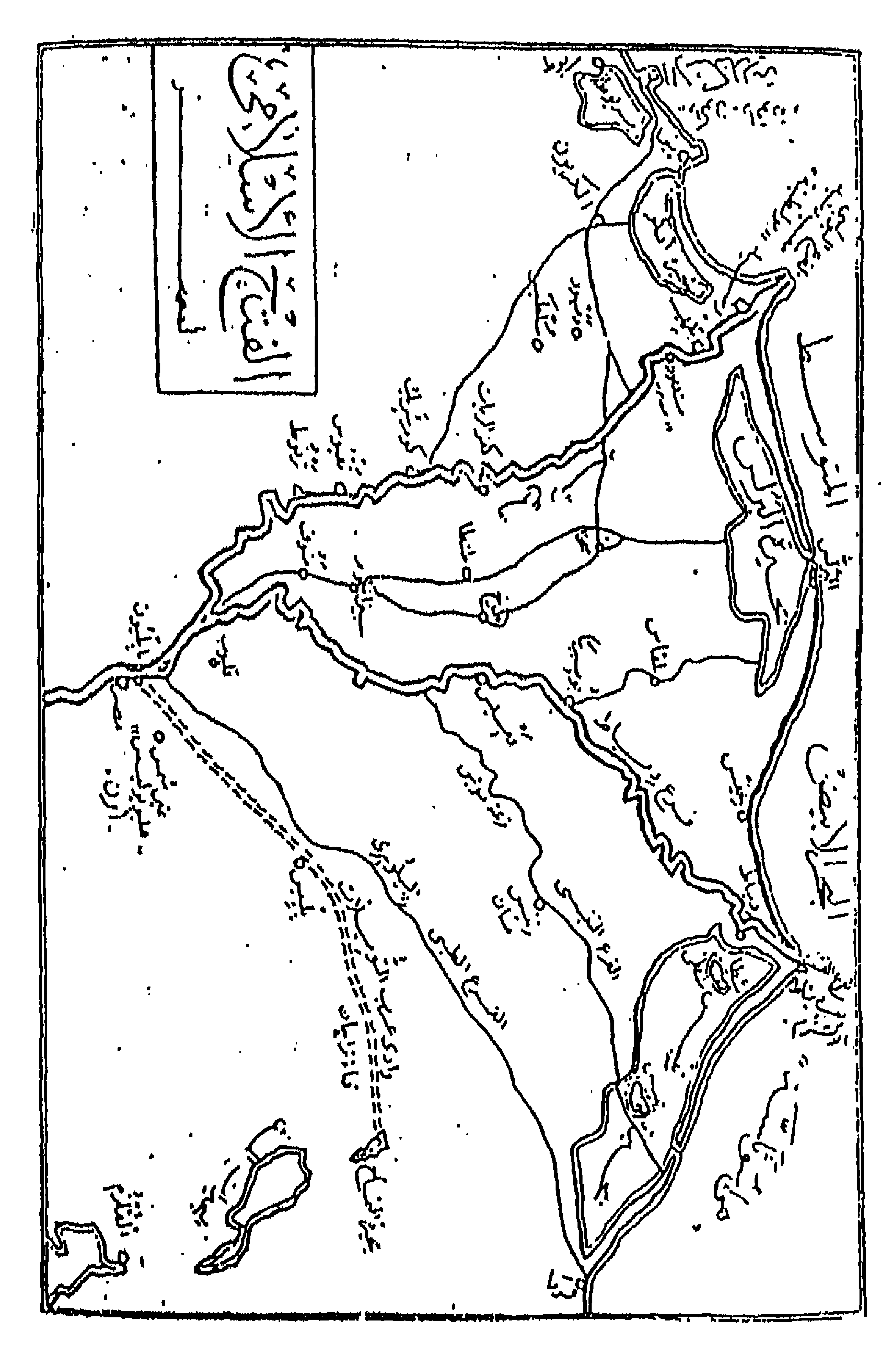
وقد عامل المسلمون قبط مصر بمنتهى اللين- فخيروهم بين الإسلام أو البقاء على دينهم، فمن أسلم منهم صار له ما للمسلمين من حقوق وعليه ما عليهم من واجبات، ومن بقى على دينه فرضت عليه جزية مقدارها ديناران على من بلغ الحلم من الرجال فقط.

ولما استتب الأمر للمسلمين بمصر نظموا الإدارة بها، وعنوا عناية كبرى بالأعمال العامة الخاصة بالرى وغيره من أمور الدولة، وقد تحسنت حال القبط فى ظل الإدارة الإسلامية، وأمنوا على حياتهم وأموالهم وتخلصوا من ظلم الروم واضطهادهم، ومن الضرائب الفادحة، والالتزامات التى أثقل الرومان بها كاهلهم(١).

وكان فتح مصر خطوة هامة نحو امتداد التيار الإسلامى إلى شمال القارة وغربها، وإلى جنوب مصر فى بلاد النوبة والسودان كما سنوضح بعد.

---

(٢) للمزيد من التفاصيل يرجع إلي:
حسن إبراهيم حسن: تاريخ عمرو بن العاص (القاهرة ١٩٢٦م).
- اتهم بعض الكتاب عمرو بن العاص بحرق مكتبة الإسكندرية، وهذا الاتهام ثبت بطلانه، ومن يريد المزيد عن هذه التهمة وبطلانها يرجع إلي:
حسن إبراهيم حسن: نفس المرجع السابق ص ١٠٦ - ١١٨.
- وكذلك حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى (١٩٣٥م) ص ٣١٤ وما بعدها.



شكل (٣)

ثانياً: امتداد النفوذ الإسلامى إلى المغرب

كان استيلاء المسلمين على مصر إيذاناً بامتداد سلطانهم غرباً صوب الشمال الأفريقى، فتوالت حملاتهم على هذه البلاد حتى دخل الشمال الأفريقى كله فى كنف الدولة الإسلامية.

وسنمر سريعاً بالأحداث التى انتهت بهذا العمل العظيم الذى ترتب عليه أن صُبغ الشمال الأفريقى كله بالصبغة العربية، وأصبح يمثل جزءاً من جسم العالم الإسلامى المتكامل(١). ففى عهد خلافة عثمان بن عفان أُرسلت حملة عبد الله بن سعد بن أبى السرح عامل مصر فى ذلك الوقت فاستطاعت أن توقع الهزيمة بجيوش قرطاج، لكن تم الصلح بين الطرفين بعد أن غنم المسلمون غنائم كثيرة.

وفى خلافة معاوية بن أبى سفيان جهز جيشاً ضخماً من عشرة آلاف مقاتل التقى مع البيزنطيين، وتوغل الجيش الإسلامى فى تونس.

وفى عام ٥٠هـ / ٦٦٦م أُعطيت قيادة الجيش العربى فى شمال أفريقية لعقبة بن نافع، فبنى مدينة (القيروان) فى قلب البلاد التونسية، وذلك ليطبع الفتح العربى بطابع الاستقرار، فكانت هذه هى الخطوة الأولى نحو ظهور ولاية إسلامية بهذه البلاد(٢).

وقد أحاط عقبة مدينته هذه بسور، وجعل وسطها الجامع الذى نُسب إليه، وبنى بها دار الإمارة، لكن الخليفة استدعاه إلى الشرق.

وقد أُعيد عقبة بن نافع مرة أخرى لإمارة أفريقية فى خلافة يزيد بن معاوية، فتدارك أمر القيروان بعد أن كان قد أصابها الإهمال، واتجه عقبة بعد ذلك لإتمام مد النفوذ الإسلامى إلى باقى الشمال الأفريقى فاستولى على تلمسان، ثم على طنجة فى المغرب الأقصى وخلصها من أيدى الرومان، وتقدم عقبة فى بلاد المغرب فوصل إلى

---

(١) للدراسة التفصيلية يرجع إلي:
شوقى الجمل : المغرب العربى الكبير فى العصر الحديث (القاهرة ١٩٧٧م).

(٢) ولد عقبة فى أوائل الهجرة النبوية، فعد بذلك صحابى المولد، وقد تولي إمارة جيش أفريقية مرتين.

القيروان: لفظ فارسى، دخل فى العربية ومعناه محط الجيش، ومناخ القافلة، وموضع اجتماع الناس فى الحرب.

السوس الأدنى، والسوس الأقصى، واستولى على ميناء أسفى، ووصل بذلك إلى المحيط الأطلسى ودخل فيه بفرسه حتى بلغ الماء لب الفرس، وشهر عقبة سيفه ورفع بصره إلى السماء وهو يقول: «اللهم لولا هذا البحر لمضيت فى البلاد أقاتل الكفر، حتى لا يُعبد أحد سواك»(١).

وهكذا خضع الشمال الأفريقى كله للدولة الأموية، وانتشر الإسلام فى ربوعه.

لكن ثار البربر بقيادة زعيمهم كسيلة على عقبة وقتلوه فى عام ٦٣هـ / ٦٨٢م، وقامت دولة بربرية جديدة فى هذه البلاد استمرت حوالى ست سنوات، بينما انسحب الجيش العربى إلى طرابلس.

وفى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ندب أحد قواده (حسان بن النعمان الغسانى) لمتابعة الفتح، واصطدمت قوات حسان بقوات البربر الذين اجتمعوا ناحية جبال أوراس تحت لواء امرأة بربرية تدعى دهب بنت ثابت (الكاهنة)، وقد ظنت الكاهنة أن المسلمين يطمعون فى ثروة مدن شمال أفريقية، فعمدت إلى تخريب المدن، مما نفر الأهالى منها، وقد يسر ذلك مهمة حسان وجيشه، وانتهى الأمر بقتل الكاهنة فى عام ٨٤هـ.

بعد ذلك دخل البربر فى الإسلام، وكان منهم اثنى عشر ألف مجاهد مع جيوش المسلمين، وانصرف حسان بعد ذلك لتعمير البلاد التى خضعت له.

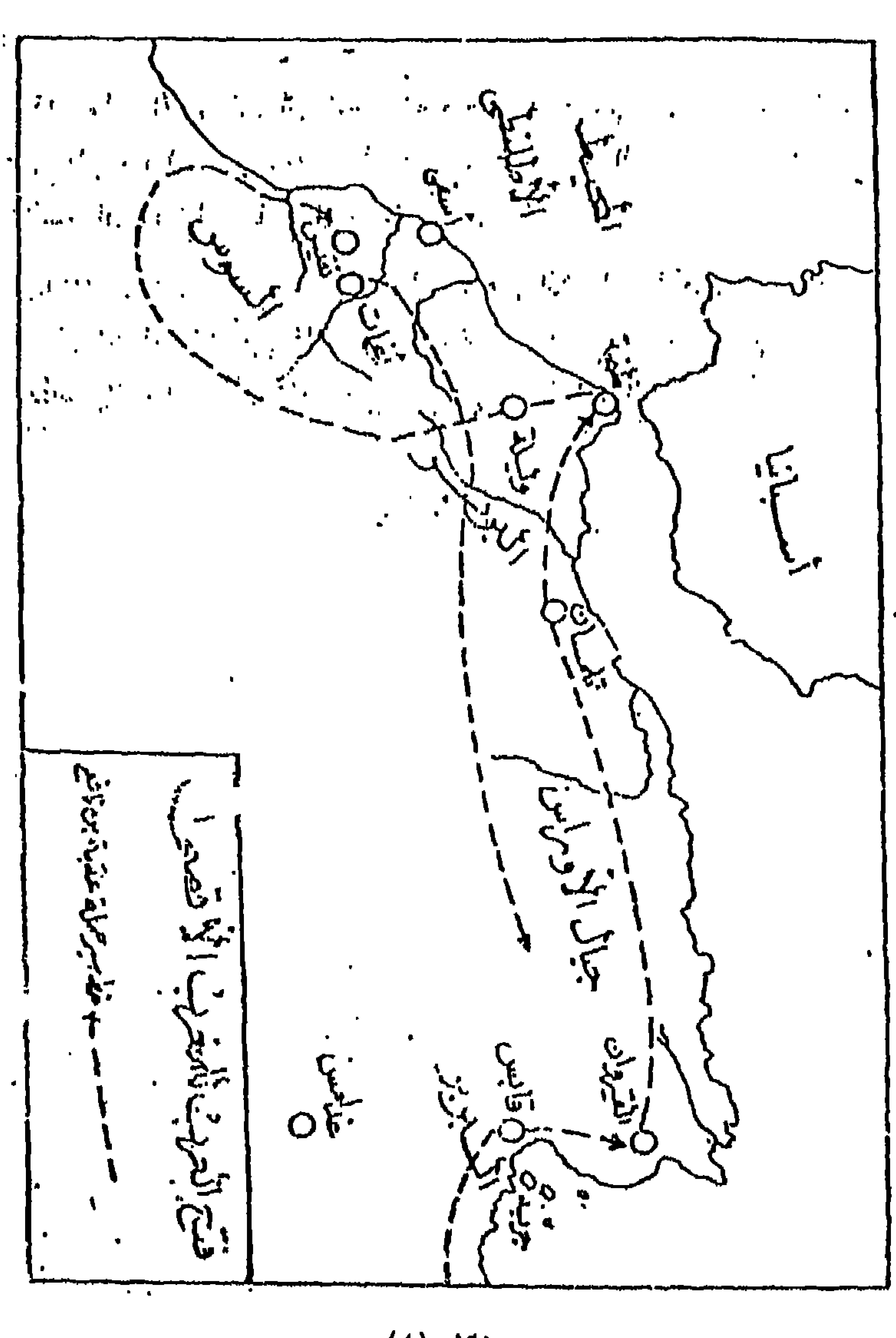
ولما تولى موسى بن نصير الأمر فى أفريقية سنة ٨٥هـ أجاز مولاه طارق بن زياد إلى بلاد الأندلس فى جيش عظيم من البربر والعرب، فاجتاز البحر ونزل المكان الذى عرف باسمه (جبل طارق)، وفتح الأندلس، وقدم موسى بن نصير بعد ذلك إلى الأندلس ليشارك فى هذا العمل العظيم، وبعد ذلك عاد إلى القيروان فالشرق.

وقد تولى الأمر فى أفريقية ولاة متعددون منهم عبد الله بن الحبحاب الذى قدم إليها فى عام ١١٦هـ، ويذكر له فتوحه فى بلاد السوس، والصحراء الكبرى، وأرض السودان، وإنشاء جامع الزيتونة بتونس.

---

(١) المنجى الكعبى: تحقيق وتقديم لقطعة من كتاب الرفيق القيروانى – تاريخ أفريقية والمغرب (تونس ١٩٦٨م) ص ٤٥ .

وبذلك استقرت الأمور للمسلمين فى الشمال الأفريقى كله، وأصبحت هذه البلاد تُمثل الجناح الغربى للدولة العربية الإسلامية، وبالطبع أصبحت هذه البلاد شديدة التأثر بالأحداث المختلفة التى تعرض لها العالم الإسلامى.



شكل (٤)

ثالثاً: قيام دول إسلامية مستقلة بالمغرب العربى

أدى الانقلاب الذى ترتب عليه زوال دولة بنى أمية وظهور العباسيين إلى خروج الشمال الأفريقى كله من نفوذ الخلافة العباسية- فقامت به دول إسلامية مستقلة - يستثنى من ذلك تونس التى قامت بها دولة الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ) والتى ظلت على ولائها للعباسين.

وقد وجدت الدعوة الشيعية فى الشمال الأفريقى بيئة صالحة للظهور، فقامت دولة الأدراسة الشيعية بالمغرب الأقصى.

ويُرجع للأدراسة الفضل فى تأسيس مدينة (فاس)[١] واتخذوها عاصمة لهم، كما أسسوا فى عام ٤٢٥هـ / ٨٥٩م جامع القيروان الذى أصبح منارة للإسلام ومركزاً هاماً للدراسة فى العالم الإسلامى.

وقد ظهرت بالشمال الأفريقى دولة شيعية أخرى هى الدولة العبيدية (الفاطمية) التى ظهرت فى البداية فى الجزائر حوالى ٢٧٩هـ، وانتسبت إلى فاطمة الزهراء زوجة على بن أبى طالب وابنة الرسول ﷺ.

وفى عهد المعز لدين الله- أرسل قائده جوهر الصقلى إلى المغرب الأقصى فاستولى عام ٣٤٢هـ على فاس عاصمة الأدارسة، وسيَّر المعز لدين الله قائده جوهر فى جيش كثيف إلى مصر فاستولى عليها، وبنى مدينة (القاهرة)، وجاء الخليفة الفاطمى المعز لدين الله للقاهرة، واتخذها مقراً لحكمه.

وفى ٢٤ جمادى الأولى سنة ٣٥٩هـ (أبريل ٩٧٠م) وضع جوهر الصقلى حجر الأساس للجامع الأزهر، وقد تم بناؤه فى ١٧ من رمضان ٣٦١هـ (٢٢ يونيه سنة ٩٧٢م) أى أن البناء استغرق عامين، ومنذ ذلك التاريخ غدا الأزهر منارة للمسلمين، ولم يقتصر أثره على الناحية الدينية، بل أصبح قلعة من قلاع العلم والمعرفة يفد إليها الطلاب من شتى الديار والأقطار[٢].

---

(١) عن تأسيس فاس يُرجع إلي: على بن أبى زرع الفاسى: الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس (الرباط ١٩٧٣م).

(٢) للمزيد من التفاصيل يرجع إلي:
- شوقى الجمل: الأزهر ودوره السياسى والحضارى فى أفريقيا (١٩٨٨م).
- عبد العزيز الشناوى - الأزهر جامعاً وجامعة - جزءان (١٩٨٣، ١٩٨٤م).

واستطاع الخلفاء الفاطميون بعد ذلك مد نفوذهم إلى الشام والحجاز، واليمن، وهكذا أصبحت الدولة الإسلامية منقسمة إلى:

١- الخلافة العباسية بالمشرق، وقاعدتها بغداد.

٢- الخلافة الأموية المجددة بالأندلس، وقاعدتها قرطبة.

٣- الخلافة العبيدية الفاطمية بأفريقية، ثم بمصر، والشام، والحجاز، واليمن، وأصبحت قاعدتها القاهرة.

وظهرت بعد ذلك بالمغرب الأقصى دولة المرابطين أو (الملثمين) التى أسسها يوسف بن تاشفين(١).

وقد زحف المرابطون على المغرب فى عام ٤٤٧هـ تحت قيادة عبد الله بن ياسين، وفى عام ٤٦٢هـ أسسوا مدينة (مراكش) واتخذوها مركزاً لدولتهم.

وأدى انحلال دولة بنى أمية فى الأندلس، وانشغال الحكام بالمنازعات فيما بينهم إلى إتاحة الفرصة للأسبان للإيقاع بهم فشنوا عليهم الحرب التى أطلقوا عليها تعبير حروب الاسترداد (Reconqucsta)، فاضطر يوسف بن تاشفين للسير بجيشه إلى الأندلس فى عام ٤٧٩هـ، حيث أوقع الهزيمة بجيوش ألفونس السادس ملك قشتالة فى واقعة (الزلاقة) فى يوم الجمعة ١٥ رجب ٤٧٩هـ، وتكررت حملات يوسف بن تاشفين لنجدة ملوك الطوائف بالأندلس- كما أُطلق عليهم- واضطر أخيراً للضرب على أيدى هؤلاء الملوك وعزلهم، وأسند إلى قائده ولاية الأندلس كما أشرنا من قبل.

وبذلك أصبحت الإمبراطورية المغربية المرابطية تجمع بين المغربين الأقصى والأوسط شرقًا، وبلاد الأندلس شمالاً، وتمتد إلى بلاد السودان والسنغال فى غرب أفريقيا.

وقد خلفت الدولة الموحدية - التى أسسها محمد بن تومرت - دولة المرابطين فى حكم المغرب- وقد نجح يعقوب المنصور الموحدى فى أن يوقع الهزيمة بجيوش المسيحيين بالأندلس فى معركة (الأرك) فى شمال قرطبة فى ٩ شعبان ٥٩١هـ / يوليو ١١٩٥م، وقد أعادت هذه الواقعة ذكرى موقعة الزلاقة المرابطية.

---

(١) أطلق عليهم اسم المرابطين - لأنهم تتلمذوا علي عبد الله بن باديس فى الرباط الذى أنشأه فى صحراء المغرب فى جزيرة بالسنغال.

وقد كانت لأمير المؤمنين يعقوب المنصور - مواقع أخرى مع ملوك الأسبان واضطرهم لطلب الصلح(١).

وقد كانت دولة الموحدين بالمغرب معاصرة للدولة الأيوبية فى مصر. وحين ذاع صيت الموحدين أرسل صلاح الدين الأيوبى فى عام ٥٨٥هـ يطلب من يعقوب المنصور مساعدته بالأسطول المغربى ضد الصليبيين الذين كانوا يحاصرون المسلمين فى عكا.

ويُقال: إن يعقوب المنصور فكر فى الاستيلاء على مصر؛ لتتم له وحدة أفريقية الشمالية من شرقها إلى غربها، إلا أن المنية عاجلته سنة ٥٩٥هـ، فحالت دون تحقيق مطامعه بعيدة المدى(٢).

ويرجع الفضل إلى يعقوب المنصور فى إتمام بناء مدينة (الرباط) عام ٥٩٣هـ، وجامعها العظيم المعروف اليوم باسم (صومعة حسان)(٣).

ومن آثار يعقوب المنصور بمراكش قصبتها، والجامع الأعظم، ومنار الكتبية، وفى أسبانيا جامع أشبيلية، وصومعة الجيرالدا الشاهقة التى تدل على عظمة الفن المعمارى فى عهد الموحدين.

وأدى ضعف دولة الموحدين بعد يعقوب المنصور إلى تفتيت وحدة الشمال الأفريقى، وقيام دول إسلامية منفصلة فى أقطاره فقامت:

- الدولة الحفصية فى تونس.
- الدولة المرينية فى المغرب الأقصى.
- الدولة الزيانية فى المغرب الأوسط.

على أن هذا التفتت والانقسام فى المغرب العربى شجع الدول الأوروبية الاستعمارية الطامعة فى هذه البلاد لأن تعمل على بسط نفوذها عليها.

---

(١) القرطاس - مرجع سابق ص ٢٢٨ .

(٢) عبد الواحد المراكشي: المعجب فى تاريخ المغرب (١٩٤٩م) .
(عاصر المؤلف دولة الموحدين، وقد عالج كتابه تاريخ المغرب الكبير، والمؤلف من مواليد مراكش فى عام ٥٨١هـ).

(٣) القرطاس، مرجع سابق ص ٢٢٩ .

فقد تعرضت البلاد العربية الإسلامية فى شمال أفريقيا للأطماع الاستعمارية البرتغالية والأسبانية، فاستولت البرتغال على شواطئ المغرب الأقصى، بينما استولت أسبانيا على الشواطئ من الجزائر غرباً إلى طرابلس شرقًا- فكان الأمر يستلزم وجود دولة فتية تظاهرها قوة بحرية لمواجهة هذا الخطر المحدق ببلاد الإسلام فى الشمال الأفريقى، والذى لم يكن أقل خطراً من الخطر الصليبى الذى تعرضت له بلاد المشرق العربى ومصر.

وكانت الدولة العثمانية قد غدت فى أوائل القرن السادس عشر- أعظم قوة فى الشرق الأدنى وفى الحوض الشرقى للبحر المتوسط- وكانت تمثل القوة الإسلامية الفتية خاصة بعد أن نجحت فى الاستيلاء على أملاك الدولة المملوكية فى الشام، ومصر، والحجاز، واليمن، فكان على هذه القوة الإسلامية أن تواجه هذا الخطر المحدق بالبلاد الإسلامية فى شمال أفريقيا، ونجحت الدولة العثمانية فى أن تمد سلطانها إلى الجزائر وتونس وليبيا[١].

أما المغرب الأقصى فقد كان نفوذ (السعديين) قد بدأ فى بلاد درعة والسوس الأقصى، فكان عليهم أن يواجهوا الأطماع البرتغالية والأسبانية – فى وقت كانت فيه الدولة الوطاسية التى تحكم المغرب- قد وصلت إلى درجة من الضعف بحيث أصبحت عاجزة عن رد الأعداء.

وقد كانت معركة (وادى المخازن) بين الجيش المغربى، والجيش البرتغالى، وعلى رأسه الملك البرتغالى الشاب دون سبستيان (D. Sebastian) فى متم شهر جمادى الثانية ٩٨٦هـ (٤ أغسطس ١٥٧٨م) حاسمة، فقد انتهت بهزيمة الجيش البرتغالى الغازى وفراره أمام الجيش المغربى المدافع عن بلاده، ووجد البرتغال

---

(١) للمعلومات التفصيلية عن الظروف التى مدت فيها الدولة العثمانية نفوذها إلي الجزائر، وتونس، وليبيا يرجع إلي:

– عبد الرحمن محمد الجيلالى: تاريخ الجزائر العام، جـ٢ (١٩٥٥م) .

– صلاح العقاد: الجزائر المعاصرة (١٩٦٤م) .

– إحسان حقى: تونس العربية (د. ت).

– جلال يحيي: المغرب العربى الكبير، جـ٢ (القاهرة ١٩٦٦م).

– مجيد خدورى: ليبيا الحديثة (ترجمة نيقولا زيادة – بيروت ١٩٧٧م).

– محمود الشنيطى: قضية ليبيا (القاهرة ١٩٥١م).

– شوقى الجمل (المغرب العربى الكبير (١٩٩٨).

الجسور وقد قطعها الجيش المغربى المدافع، فلم يبق أمامهم إلا الاستسلام أو الموت، فكانوا بين مستسلم وغريق، وكان من بين قتلى المعركة وغرقاهم سبستيان، وأبو عبد الله المتوكل الذى كان يطمع فى حكم المغرب، لكن نجح عمه أبو مروان عبد الملك - المنتصر بالله - فى أن ينتزع منه الحكم فلجأ المتوكل إلى البرتغال وشجعهم على غزو المغرب فلقى مصرعه مع الملك دون سبستيان ملك البرتغال(١).

وقد حدث أثناء معركة وادى المخازن أن توفى أبو مروان عبد الملك فتولى الأمر بعده أخوه أحمد الذى لُقب بعد هذه المعركة باسم أحمد المنصور(٢).

وقد ترتبت على المعركة نتائج هامة وحاسمة، فقد ارتفعت سمعة المغرب، وتغيرت نظرة الدول الأوروبية لها، أما البرتغال فقد فقدت ملكها ومعظم جيشها، ولم يكن هناك وريث للعرش البرتغالى - فانتهز فيليب الثانى ملك أسبانيا الفرصة- فضم البرتغال وممتلكاتها الأفريقية ومنها سبتة ومليلة إلى ممتلكاته.

وبعد هذا الانتصار الحاسم اتجه المنصور بأنظاره إلى بلاد السودان الواقعة جنوب المغرب فبعث إليهم جيشه فى فاتح محرم سنة ٩٩٩هـ بقيادة جوذر باشا، وقد بلغ هذا الجيش عشرين ألفًا بالإضافة إلى ألفين من البحرية والطبجية، فيكون إثنين وعشرين ألفا(٣).

وكتب المنصور إلى عمر بن محمود بن عمر قاضى تنبكتو يأمره بحض الناس على الطاعة(٤).

---

(١) عن تفاصيل معركة وادى المخازن يرجع إلي:
محمد الفاسي: معركة وادى المخازن الحاسمة (مجلة البحث العلمى التى يُصدرها المركز الجامعى للبحث العلمى بالرباط - العدد التاسع، ديسمبر ١٩٦٦م).

(٢) يطلق البعض علي معركة وادى المخازن ـ معركة الملوك الثلاثة ـ فقد مات فيها ثلاثة ملوك.

(٣) أحمد بن خالد السلاوى، الناصرى: الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصي (الدار البيضاء ١٩٥٤-١٩٥٦م)، جـ٥، ص١٢١.
ملاحظة: حين عزم المنصور علي غزو السودان - جمع مجلسه الاستشارى، وحدث نقاش حاد حول غزو هذه البلاد الإسلامية، لكن نجح المنصور فى إقناع المجتمعين بوجهة نظره.

(٤) الفشتالى: منهل الصفاء فى مآثر موالينا الشرفا (تحقيق: د. عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية والثقافية بالرباط) ص١٣١.
والفشتالى: هو وزير القلم والإعلام فى دولة المنصور، وقد قام بتدوين أخبار الدولة السعدية منذ نشأتها من مطلع القرن السادس عشر، وهذا الكتاب الذى نشرته وزارة الأوقاف والشئون ـ

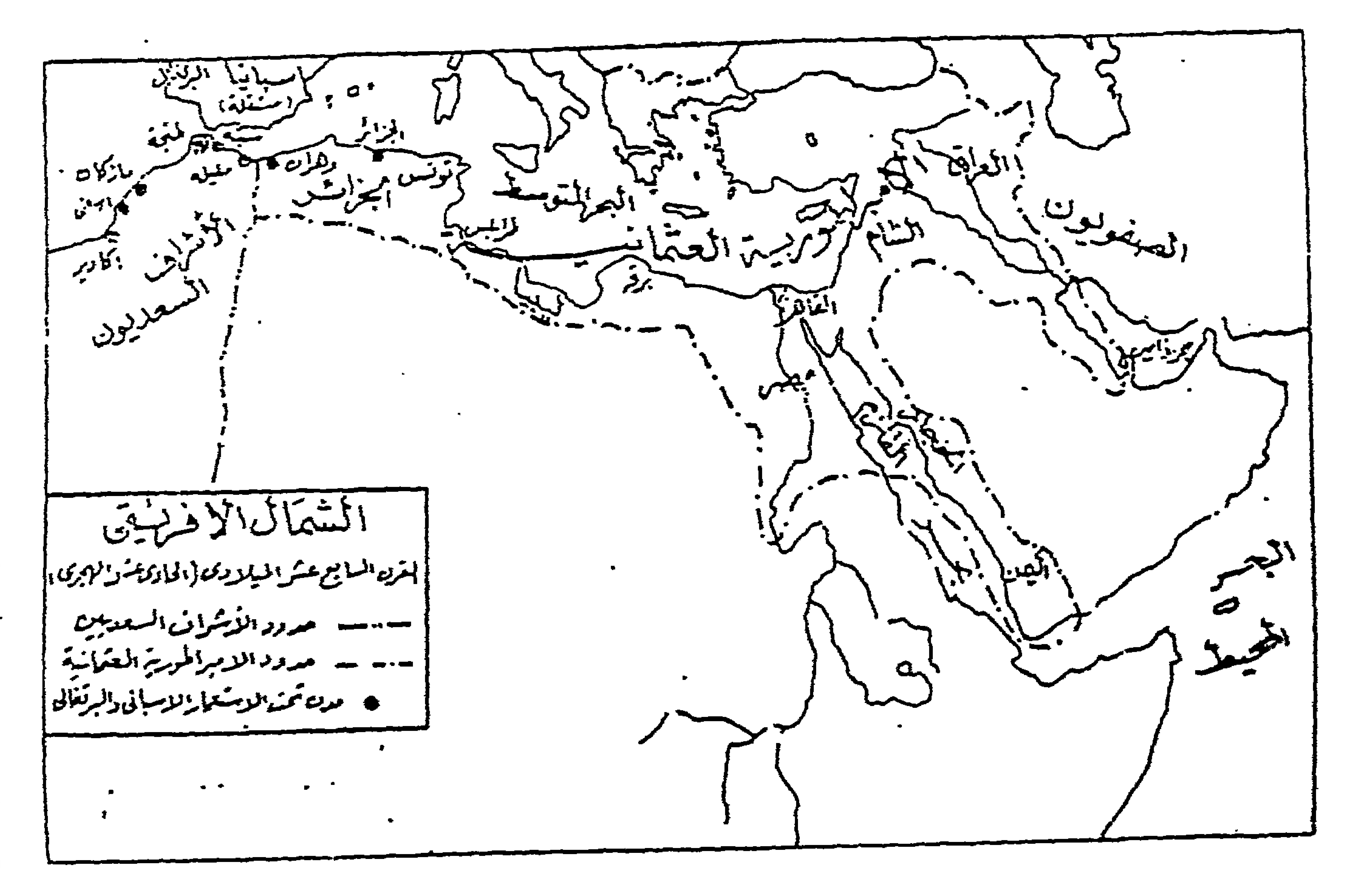
وقد وصل الجيش إلى تنبكتو واستولى عليها، وخرج إليهم إسحاق سكية، حاكم إمارة كاغو- لكن انهزم السودان وولوا الأدبار، وطلب إسحاق الصلح على أن يدفع للمغرب ضريبة سنوية، وأجابه القائد المغربى لذلك وعاد بالجيش المغربى إلى تنبكتو لكن المنصور لما علم بأمر الصلح- أرسل قائداً آخر هو محمود باشا أخو جؤدر- بقوة جديدة، ونجح الجيش المغربى فى إيقاع الهزيمة مرة أخرى بجيش إسحاق سكية، وقد احتفل المغرب بهذا النصر، وهكذا أصبحت كلمة المنصور نافذة فى بلاد السودان (تيكورارين، وبورنو، وكاغو) بالإضافة إلى المغرب(١).

هذا وكانت وفاة المنصور فى عام ١٠١٢هـ / ١٦٠٤م إيذاناً بانتهاء دور عظمة الدولة السعدية التى كانت فى الحقيقة دولة حربية، قامت للجهاد ضد الأطماع الأوربية فى الثغور المغربية.

فقد تنازع أفراد الأسرة السعدية بعد وفاته إلى أن هيأت العناية الإلهية للشعب المغربى فى هذه الفترة الحرجة من تاريخه من ينقذه ويأخذ بيده، ففى سلجماسة كانت (الدولة العلوية الشريفة) قد أخذت تعمل لتمسك بدفة الأمور لتسير سفينة المغرب فى فترة هامة من تاريخه.

- الإسلامية بالمغرب ملخص، ويعتمد على النسخة المخطوطة المحفوظة بخزائن القصر الملكى بالرباط تحت رقم ٢٧٤ .

(٢) مؤرخ مجهول: تاريخ الدولة السعدية، الدرعية التاكمادرتية (نشره جورج كالان ١٩٣) ص٦٤


الشمال الإفريقي
القرن السابع عشر الميلادي (الحادي عشر الهجري)
حدود الأشراف السعديين
حدود الإمبراطورية العثمانية
مدن تحت الاستعمار الإسباني والبرتغالي
إسبانيا
البرتغال
طنجة
مازكان
مليلة
وهران
الجزائر
تونس
الأشراف السعديون
البحر المتوسط
الإمبراطورية العثمانية
برقة
القاهرة
الشام
العراق
الصفويون
اليمن
البحر المحيط

شكل (٥)

الفصل الثالث
انتشار الإسلام فى بلاد النوبة
وسودان وادى النيل

النقاط التى تناولها:

أولاً: انتشار الإسلام فى بلاد النوبة.

- بلاد النوبة قبيل انتشار الإسلام بها.
- انتشار الإسلام والثقافة العربية فى بلاد النوبة.
- أسباب انتشار الإسلام بسرعة فى بلاد النوبة.

ثانيًا: انتشار الإسلام فى سودان وادى النيل وتكوين سلطنات إسلامية به.

- أهم القبائل التى وفدت للسودان.
- الممالك والسلطنات السودانية قبل التنظيم المصرى.

ثالثًا: السودان تحت الإدارة المصرية.

- ما قامت به الإدارة المصرية من أعمال.
- الحركة المهدية بالسودان.
- اتفاقية الحكم الثنائى ونظام الحكم بالسودان.
- الحركة الوطنية السودانية.
- اتفاق الحكم الذاتى وتقرير المصير للسودان.
- الإسلام فى السودان فى ظل المتغيرات السياسية السابقة.

أولاً: انتشار الإسلام فى بلاد النوبة

١ - بلاد النوبة قبيل انتشار الإسلام بها:

دخلت المسيحية بلاد النوبة عن طريق مصر - وكما سنرى بعد - أنه عن طريق مصر انتشر الإسلام بالنوبة، وكان عدد كبير من المصريين قد هاجر للجنوب (لبلاد النوبة) بسبب اضطهاد الرومان للمسيحيين المصريين، ويرى بعض المؤرخين أن المسيحية دخلت من مصر إلى بلاد النوبة منذ القرن الأول للميلاد على يد مصريين ممن اعتنقوا هذه الديانة من قبل، ونزحوا لبلاد النوبة فى القرنين الأول والثانى هرباً من الاضطهاد الذى كان موجهًا إليهم لاسيما فى عهد تراجان ودقلديانوس.

فقد هرب المسيحيون المصريون إلى هذه المناطق الواقعة بين الشلالين الثانى والرابع حيث كانت قبضة الرومان ضعيفة، وحيث تكثر الجزر فى النيل فيمكن للقادمين أن يجدوا بالإضافة إلى الأمان متسعًا للرزق، وقد كُشف عن بقايا للكنائس والأديرة فى هذه المنطقة[١].

ولاشك فى أنه فى القرنين الثانى والثالث الميلاديين كان أفراد من النوبة قد اعتنقوا المسيحية، على أن انتشار المسيحية فى النوبة السفلى على نطاق واسع كان فى النصف الأول من القرن السادس الميلادى فى عهد الملك سلكو (Silko) حين وفد على هذه البلاد القس اليعقوبى جوليان (Julian) ونصّر الملك والأعيان وأدخلهم فى المسيحية على المذهب الأرثوذكسي، وبقى فى بلاد النوبة ما يقرب من عامين.

وفى عام ٥٦٥ وصل إلى بلاد النوبة أسقف آخر يدعى لونجينوس (Longinus) وبنى كنيسة فى دنقلة العجوز تابعة لكنيسة الإسكندرية، وبقى هذا الأسقف فى منصبه ببلاد النوبة ست سنوات - وبذا أصبح بطريرك الإسكندرية بطريركًا لمصر، والنوبة، والخمس مدن الغربية[٢].

---

(١) Budge, E. A. Wallis: The Egyptian Sudan, Its History and Monuments Vol. 2 (London 1901) p. 291 .

(١) زاهر رياض: كنيسة الإسكندرية فى أفريقيا (١٩٦٢م) ص ٤١٦، والخمس مدن الغربية هى مستعمرات يونانية قامت فى شمال أفريقية فى إقليم برقة، وسميت بالخمس مدن الغربية تميزاً لها عن خمس مدن أخري قامت علي الساحل الشرقى للبحر المتوسط فى لبنان الحالية.

هذا عن النوبة السفلى، أما النوبة العليا التى عُرفت باسم (مملكة علوة) والتى كانت تمتد من الشلال الرابع إلى النيل الأزرق – فقد دخلتها المسيحية عن طريق النوبة السفلى.

هكذا انتشرت المسيحية فى بلاد النوبة، وكان بطريرك الأقباط بالإسكندرية يُرسل للنوبة المطارنة من مصر.

وقد زاد انتشار المسيحية ببلاد النوبة بسبب هجرة الأقباط من مصر لبلاد النوبة إثر الغزو الفارسى لمصر، واضطهاد الملكانيين لأقباط مصر بعد ذلك – بعد استرداد البيزنطيين لمصر(١).

ويقول أبو صالح الأرمنى – إنه كانت فى مملكة علوة أربعمائة كنيسة ودير على جانبى النيل. وقد بنى عدد من الكنائس فى مناطق التجمعات السكانية مثل إبريم، ودنقلة، وفرس، وبوهين، وغيرها من الأماكن، لكن بنى أغلبها بالطين، لذا اندثرت.

كما حُولت بعض المقابر الفرعونية مثل معبد إيزيس فى جزيرة فيلة إلى كنيسة.

وكانت الصلوات والأدعية فى الكنائس والأديرة بالنوبة باللغة الإغريقية – لكن أخذت الكلمات القبطية تدخل العبادات فى النوبة خاصة بعد القرن السابع الميلادى حين ضعف استخدام اللغة اليونانية فى مصر.

على أننا نشير إلى أن المسيحية فى النوبة لم تتخذ لها جذوراً عميقة فهى لم تُمثل اتجاهاً قومياً، كما أن الكنيسة المصرية ظلت تعامل الكنيسة النوبية كطفل صغير، وكثيراً ما كانت الظروف فى مصر تؤدى إلى امتناع البطاركة عن إرسال مبعوثين مصريين، فتظل الوظائف الدينية خالية، وهكذا وجدت فى النوبة مملكتان(٢).

أ– مملكة النوبة السفلى (مقرة) وعاصمتها دنقلة العجوز.

ب– مملكة النوبة العليا (علوة) وعاصمتها سوبة.

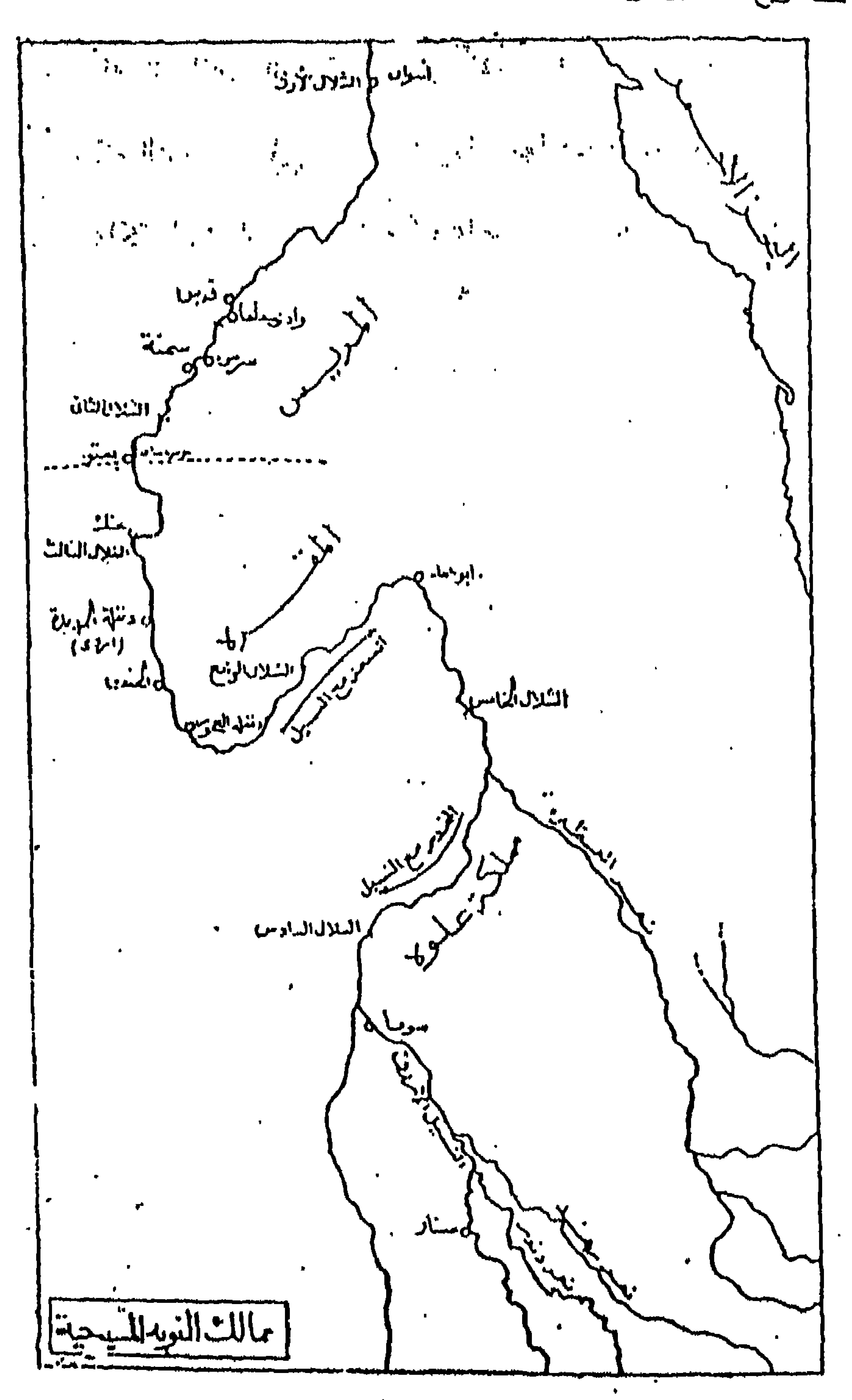
---

(٢) مصطفي محمد مسعد: الإسلام والنوبة فى العصور الوسطي (١٩٥٦م) ص ٦٦، ٦٧ .

(١) نستقى معلوماتنا عن بلاد النوبة قبل الإسلام من مصدرين هامين:

– المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر (توفي ٣٤٦هـ / ٩٥٨م).

– عبد الله بن سليم الأسوانى: أخبار النوبة، والمقرة، وعلوة، والبجة، والنيل.



شكل (٦)

٢- انتشار الإسلام والثقافة العربية فى بلاد النوبة

لما دخل عمرو بن العاص مصر سنة ٢٠هـ - ٦٤١م أرسل عبد الله بن سعد بن أبى السرح لبلاد النوبة، فلم يقدر على فتحها لكنه عقد صلحاً مع ملكها.

وقد أرسل عمرو بن العاص بعد ذلك عُقبة بن نافع أخى العاص لأمه للنوبة مرة أخرى[١].

وحين أصبح عبد الله بن سعد بن أبى السرح واليًا لمصر سنة ٣١هـ أرسل أهل النوبة سراياهم إلى صعيد مصر فخربوا وأفسدوا فغزاهم عبد الله بن سعد سنة ٣١هـ وضرب دنقلة ورمى كنيستها بالمنجنيق. فاضطر ملكها قليدور لطلب الصلح- وقد اشتهر هذا الصلح باسم (البقط)، وهى كلمة فرعونية قديمة بمعنى عهد[٢].

ومعاهدة البقط هذه نظمت العلاقات بين مصر وبلاد النوبة، وقد ظلت سارية لأكثر من تسعمائة سنة، أى حتى قيام الدولة المملوكية فى مصر.

على أن الإسلام أخذ ينتشر تدريجياً فى بلاد النوبة بسبب:

١- هجرة القبائل العربية إلى بلاد النوبة.

٢- الأحداث السياسية فى بلاد المغرب - فعندما انتقلت الخلافة من بنى أمية إلى بنى العباس فر مروان الثانى - آخر خلفاء الأمويين لمصر مع عدد كبير من أنصاره، وانتهى الأمر بقتل مروان الثانى عند قرية بوصير - فاضطر أنصاره للتقدم جنوباً واستقر عدد كبير منهم ببلاد النوبة وكانوا من أسباب انتشار الإسلام بين سكان هذه البلاد.

٣- ضعف سلطة ملوك النوبة فأصبحوا لا يستطيعون حماية رعاياهم، وفى عهد الدولة العباسية كانت فى أسوان قبائل كثيرة من العرب من قطحان، وربيعة، ومصر، وقريش، وكانت لهم ضياع اشتروها فى بلاد النوبة.

---

(١) البلاذرى: فتوح البلدان (ليدان ١٩٣٢م) ص ٢٣٧ .

(٢) عن شروط هذا الصلح يرجع إلي:

المقريزى: المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار، جـ١ ص ٣٢٣ .

ومصطفي مسعد: الإسلام والنوبة (١٩٦٠م) ص ١٠٨ .

ومن القبائل التى كانت فى المناطق الأفريقية الواقعة على ساحل البحر الأحمر- قبائل (البجة)، وقد كانوا كثيرى الإغارة على تجار المسلمين وعلى العاملين فى المناجم فى صحراء مصر الشرقية، فأرسل الخليفة المأمون لهم جيشاً حاربهم وانتصر عليهم وعقد معهم صلحاً(١).

وقد كثر إخلال البجة بالصلح الذى عقدوه مع المسلمين حتى دخلوا فى الإسلام، ولعل ذلك تم فى نهاية القرن السابع الميلادى.

وفى عهد الطولونيين والإخشيديين أُرسلت أكثر من حملة لتأديب القبائل الموجودة فى الجنوب التى كانت كثيرة الإغارة على حدود مصر الجنوبية.

وحين جاء جوهر الصقلى قائد الخليفة المعز لدين الله الفاطمى لمصر، أرسل بعثة إلى بلاد النوبة على رأسها (أحمد بن سليم الأسوانى) يدعو ملك النوبة للإسلام، وقد رحب به ملك النوبة لكنه بقى على مسيحيته، وقد ذكر ابن سليم الأسوانى أن المسلمين الذين هاجروا لبلاد النوبة، واستقروا فى المنطقة من أسوان إلى الشلال الثالث لهم نفوذهم واحترامهم فى هذه البلاد، وأنه حضر احتفالهم بعيد الأضحى، فقد ألفوا بهذه المناسبة موكباً دينياً طاف بالمدينة مع قرع الطبول، وأصوات الأبواق(٢).

وأشار المقريزى أيضاً إلى أنه فى عهد الأيوبيين أرسل صلاح الدين أخاه توران شاه سنة ١٨٧٣م على رأس حملة لإخضاع قبائل (الكنوز) الذين كانوا قد استقروا فى أسوان وكونوا شبه إمارة بها وكانت لهم علاقات مع النوبة، وذلك لأنهم ظلوا على ولائهم للفاطميين(٣).

وقد استمرت الهجرات العربية لبلاد النوبة سواء من مصر أو من شبه الجزيرة العربية بشكل منتظم، وكانت هذه الهجرات تتم بطريقة لا تُثير أى اضطراب فى هذه المنطقة، فلم يجد ملوك النوبة سبباً لمنع هذه الهجرات، وبالطبع كانت النتيجة الطبيعية هى انتشار تيار الهجرة وبالتالى انتشار الإسلام فى هذه البلاد(٤).

---

(١) عن هذا الصلح انظر:
ابن عبد الحكم: فتوح مصر (القاهرة ١٩٤٥م).
(٢) المقريزى: الخطط، جـ١ ص ١٩٨ .
(٣) نفس المرجع السابق ص ١٩٩ .
(٤) Trimingham, S.: Islam in the Sudan (1949) p. 617 .

وفى العهد المملوكى تعددت الحملات التى أُرسلت لبلاد النوبة – خاصة بعد أن حاول ملوك النوبة التأثير على التجارة المملوكية بتعرضهم للتجارة المارة بالصحراء الشرقية عن طريق ميناء عيذاب، وكان أحد أفراد البيت المالك النوبى ويسمى شكندة قد لجأ لمصر فأرسل معه السلطان الظاهر بيبرس جيشًا نجح فى هزيمة النوبيين وفر ملكهم داود، ونُصب شكندة محله وعقد اتفاقًا مع المسلمين تعهد فيه بدفع نصف خراج بلاده، وأن يدفع ديناراً ذهباً عن كل ذكر بالغ من أهل بلاده، وقد وصلت أخبار الحملة العربية إلى مملكة علوة جنوباً فأثارت الرعب لدرجة أن ملك علوة حين لجأ إليه الملك داود يطلب نصرته قبض عليه وأرسله إلى بيبرس حيث أُعتقل فى القلعة إلى أن مات(١).

وهكذا أصبحت (مملكة مقرة) المسيحية جزءاً من السلطنة المملوكية يدفعون الجزية للسلطان المملوكى، ولهذا أنشأ بيبرس فى مصر ديواناً سماه (ديوان النوبة) للإشراف على جمع الجزية والخراج الخاصة بالنوبة.

وقد توالت الحملات المملوكية على بلاد النوبة كلما حاول ملوكها نقض الاتفاق المعقود مع السلطان بيبرس.

وقد أخذت جموع من عرب (جهينة) وغيرهم من القبائل العربية تهاجر من مصر لبلاد النوبة، وأدى هذا إلى انتشار الإسلام، وانتشار المساجد بهذه البلاد.

ولم يقتصر الأمر على مملكة مقرة فقد اندفعت القبائل العربية جنوباً من مصر ومن شبه الجزيرة العربية.

ومن أشهر هذه القبائل التى جاءت من شبه الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر إلى بلاد النوبة، قبيلة الكواهلة التى تُنسب إلى (كاهل بن أسد بن خزيمة) – وقد بنى المسلمون المهاجرون مسجداً فى (سوبا) عاصمة مملكة علوة .

وقد قوى نفوذ القبائل العربية المهاجرة حتى استطاعت فى مستهل القرن السادس عشر بالتحالف مع الفونج القادمين من الجنوب أن تقضى نهائياً على مملكة علوة.

---

(٢) أشار لشروط هذا الاتفاق:
المقريزى: الخطط ، جـ١ ، ص ٣٢٦ .

ويمكن أن نجمل العوامل التى شجعت العرب للهجرة لبلاد النوبة والتى أدت لسقوط ممالك النوبة المسيحية فيما يلى:

١- الظروف السياسية فى مصر وفى الدولة الإسلامية عامة- شجعت مزيد من الهجرة للجنوب.

٢- عندما حكم مصر ولاة غير عرب منذ الدولة الطولونية - فضّل كثير من العرب الهجرة للجنوب.

٣- البحر الأحمر لم يكن فاصلاً يمنع هجرة عرب الجزيرة للمناطق الأفريقية المطلة على البحر الأحمر.

٤- حملات سلاطين مصر المتتالية على بلاد النوبة.

٥- ضعف ملوك النوبة، وضعف الترابط بين مملكتى النوبة العليا والسفلى.

٦- ما أصاب بلاد النوبة من تدهور اقتصادى نتيجة الحروب المستمرة.

ثانياً : انتشار الإسلام فى سودان وادى النيل وتكوين سلطنات إسلامية به

هاجرت إلى بلاد النوبة - كما رأينا - عناصر عربية، وانتهى الأمر بإسلام بلاد النوبة السفلى المجاورة لمصر- وبلاد النوبة العليا الواقعة جنوبها واندفعت العناصر العربية جنوباً على جانبى النيل.

ولم يكن هذا هو المصدر الوحيد الذى أمد بلاد سودان وادى النيل بالعناصر العربية الإسلامية، فعن طريق البحر الأحمر وفدت من شبه الجزيرة العربية أيضًا قبائل عربية للسودان.

ويرى (ماك مايكل) إن مصر غذت السودان بقبائل عربية أكثر ما وصله عن طريق الشرق عبر البحر الأحمر، فهو يرى أن هناك أسباباً دفعت بالعرب للهجرة بأعداد غفيرة من مصر إلى الجنوب- فى مقدمتها أنه عندما انتقل الحكم فى مصر من أيدى ولاة عرب إلى أسرات تركية غير عربية - شعر العرب بمصر بضيق

فهاجروا للجنوب، كما أن العرب جاءوا من بيئة رعوية، وأنهم وجدوا فى الجنوب ما يلائم أكثر بيئتهم الرعوية الأصلية[١].

ويعارض بعض المؤرخين هذا الرأى، على أن المهم أن العرب وفدوا للسودان من جهات متعددة .

وأهم القبائل العربية التى وفدت للسودان[٢]:

١- ربيعة: نزلوا فى البداية فى الصحراء الشرقية واتبعوا وادى العلاقى إلى جوار النهر واندفعوا جنوباً بعد ذلك.

٢- الجعليون: نزلوا على النيل من دنقلة حتى جنوب الخرطوم الحالية واتجه بعضهم غربًا نحو كردفان، وقد كان لهم أثر واضح فى نشر الثقافة العربية فى السودان[٣].

٣- جهينة: قبائل قطحانية ، وفدت إلى مصر ثم هاجرت بعد ذلك إلى السودان، وانتشرت على جانبى النيل الأزرق.

٤- الكواهلة: سكنوا المنطقة الممتدة من سواكن إلى عيذاب، وانتقلوا بعد ذلك غرباً.

٥- الفونج: قيل: إنهم عرب أمويون وهم الذين أسسوا سلطنة الفونج بالسودان.

٦- العابدلاب: يرجع نسبهم إلى عبد الله الجماع، وقد تركزوا فى حلفاية (الخرطوم بحرى).

٧- الهمج: وزراء الفونج، وبعد فتح محمد على للسودان رحلوا إلى جبال الفونج.

٨- التعايشة: انتشروا فى غرب السودان، ووصلوا إلى قرب حدود بحر الغزال، ومنهم الخليفة عبد الله التعايشى.

وقبل امتداد التنظيمات المصرية للسودان فى عهد محمد على كانت جماعات

---

(١) Mac, Michael: A. History of The Arabs in the Sudan (Cambridg 1922).

(٢) للتفاصيل يرجع إلي: محمد عوض محمد: السودان الشمالى سكانه وقبائله (١٩٥١م).

(٣) محمد ضيف الله بن محمد الجعلى (و د. ضيف الله): الطبقات فى خصوص لأولياء الصالحين والعلماء والسفراء فى السودان (١٩٣٠م).

من هذه القبائل قد نجحت فى أن تكون لها السلطة والسيادة فى مناطق معينة مما أدى لقيام دويلات وممالك وسلطنات إسلامية لها نظمها وتقاليدها، ومن أهمها:

(أ) سلطنة الفونج فى سنار.

(ب) سلطنة الفور فى دارفور.

(جـ) سلطنة تقلى فى جبال النوبة ووديانها بجنوب كردفان.

ويلاحظ أن العرب توغلوا فى السودان صوب الجنوب، لكن لم يستطيعوا بسبب قسوة المناخ، وقسوة مظاهر السطح بالإضافة لضراوة مقاومة العناصر الزنجية التوغل إلى أقصى جنوب السودان.

وسنلقى بعض الضوء على بعض هذه الممالك والسلطنات الإسلامية فى السودان التى وجدت قبل التنظيم المصرى فى عام ١٨٢٠م.

(أ) سلطنة الفونج (سنار):

مد الفونج سلطانهم من الجندل الثالث شمالاً حتى فازوغلى جنوباً، كما خضعت لهم الأقاليم الشرقية حتى ساحل البحر الأحمر، وامتد سلطانهم فى الغرب حتى إقليم كردفان.

وقد تحدث بعض الرحالة عن التنظيمات الاجتماعية التى وُجدت فى بعض الحواضر التابعة لهم مثل بربر، وشندى، وذكروا أنه وجدت بيوت مالكة فى بعض هذه الحواضر كبيت الملك نمر فى شندى[1].

وقد ذكر بعض المؤرخين أن الفونج الذين استقروا فى هذه الجهات وكونوا أسرة حاكمة بها يرجع أصلهم إلى بعض القبائل العربية التى هاجرت إلى شرق أفريقيا فى القرون الثلاثة التالية لظهور الإسلام، وتحركت إلى قرب طوكر الحالية، ثم دخلت أرض الجزيرة وانتشروا فى المناطق الممتدة من الجندل الثالث إلى فازوغلى[2].

والفونج أنفسهم يدعون أنهم من نسل الأمويين وأن استقرارهم فى مناطق بالسودان يرجع لعام ١٣٢هـ حين هرب مروان الثانى آخر خلفاء الأمويين لمصر.

---

(١) بوركهارت، جون لويس: رحلات بوركهارت فى بلاد العرب والسودان، ترجمة فؤاد أندراوس ١٩٥٩م (نشرته الجمعية التاريخية المصرية).

(٢) الشاطر بوصيلى عبد الجليل: معالم تاريخ سودان وادى النيل (١٩٥٥م) ص ٢٣ .

وقد اتخذ الفونج مدينة (سنار) عاصمة لهم، ويختار الفونج (سلطانهم) من بين رجال السلطان السابق، ذلك بواسطة مجلس من كبار رجال الدولة، وتقام مراسيم لتتويجه.

وللسلطان وزير يُلقب بسيد القوم، كما أن لرجال الدين الإسلامى وأصحاب الطرق الصوفية مكانة خاصة فى مجتمعهم، ويتبع سلطنة الفونج عدة مشيخات منها مشيخة العابدلاب، خشم البحر، وبنى عامر، والحلانقة، والشنابلة، والجعليون، والميرفاب، والمناصير، والشايقية[١].

وقد استمرت سلطنة الفونج حتى دخول الحملة التى أرسلها محمد على للسودان حين تنازل (بادى) آخر سلاطينهم عن ملكه، واعترف بتبعية منطقتهم للسلطان العثمانى وسلم إدارة البلاد لوالى مصر.

(ب) سلطنة الفور (فى دارفور):

ترجع هذه السلطنة إلى العرب الذين وفدوا للسودان الغربى من مراكش، وتونس، ومصر، ونشروا نفوذهم على القبائل بغرب السودان.

ويرجح د. حسن أحمد محمود أن القبائل التى كونت هذه السلطنة اندفعت إلى دارفور فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر من المغرب عبر المسالك الصحراوية التى تنحدر من طرابلس نحو الجنوب، وأهم هجرة - من وجهة نظره - كانت نتيجة ضغط قبائل العرب الهلالية - وأن هذه القبائل المهاجرة لم تصبح لها مهابتها وقوتها، إلا بعد أن اعتنقت الإسلام وصبغت المنطقة التى يسكنونها بالصبغة الإسلامية الواضحة، وقد تم ذلك فى عهد السلطان سليمان سولان[٢].

وقد زار هذه السلطنة - الرحالة محمد بن السيد عمر التونسى، وتحدث عن نظام حكمهم وتقاليديهم[٣]، فالسلطان - صاحب السلطة العليا، وكانت السلطنة مقسمة إلى

---

(٣) للمزيد من التفاصيل يرجع إلي:
أحمد بن الحاج أبو على (كاتب الشونة): تاريخ مدينة سنار (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٨).

(١) حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية، مرجع سابق ص ٣٢٤ .

(٢) محمد بن عمر التونسى: تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان (نشره الأستاذان خليل عساكر، ومصطفى مسعد).

أربعة وعشرين قسماً، على كل قسم رئيس يُعرف (بالملك) له حاشية، والسلطان يوزع الأرض على المكوك لزراعتها مقابل الجزيرة السنوية.

ويعاون السلطان الوزير، وهناك مجلس للسلطان.

وهم يعملون بزراعة الخضروات والقمح، والذرة والسمسم.

ولهم تجارة واسعة مع مصر، ومنذ أيام السلطان عبد الرحمن (١٧٨٥-١٨٠٢م) أصبحت الفاشر عاصمة لهم.

ودخلت سلطنة الفورفى فى ظل الإدارة المصرية فى عهد الخديوى إسماعيل.

(جـ) سلطنة تقلى:

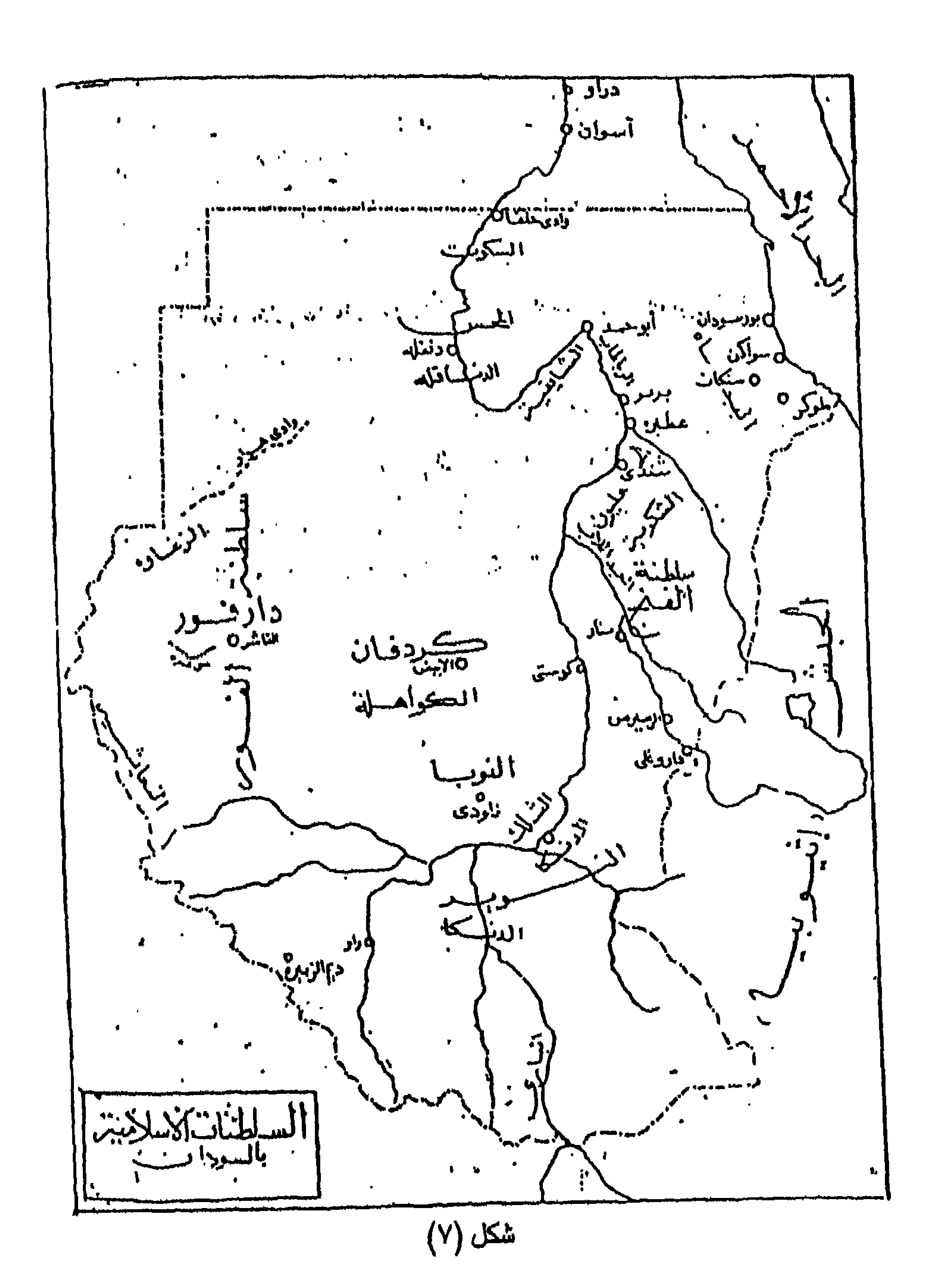
تقع غرب النيل الأبيض جنوب كردفان- فى منطقة جبلية، لكن تتخلها وديان خصبة، وكان يسكنها الزنوج، لكن اختلطت بهم قبائل عربية، فانتشر الإسلام بينهم، ومن أشهر سلاطينهم المسلمين (أبو جريدة).

وقد بنى مسجداً فى سلطنته وشجع القبائل العربية على الهجرة لبلاده والاستقرار بها.

وكان لسلطنة تقلى علاقات وارتباطات مع سلاطين الفور الذين كانوا يساهمون فى إقامة المساجد وعمارتها بسلطنة تقلى.

وسلطان تقلى يتمتع فى منطقته بنفوذ مطلق، لكن يعاونه الوزير، والقاضى المسئول عن شئون الشريعة، وكان يتبع السلطنة عدد من الملوك.

وعاصمة سلطنة تقلى هى مدينة (كومية) ولم تخضع سلطنة تقلى تماماً للإدارة المصرية إلا بعد استرداد السودان من حكم التعايشى.


دراو
أسوان
وادى حلفا
السكوت
المحس
دنقله
الدناقله
أبوحمد
بربر
عطبره
شندى
بورسودان
سواكن
سنكات
طوكر
الشكرية
سلطنة الفنج
سنار
كوستى
الرصيرص
دارفور
الفاشر
الزغاوه
كردفان
الأبيض
الكواهلة
النوبا
تاودى
واو
دم الزبير
الدنكا
السلطنات الإسلامية بالسودان

شكل (٧)

السودان تحت الإدارة المصرية

أرسل محمد على باشا فى عام ١٨٢٠م حملة للسودان على رأسها إسماعيل بن محمد على، ومحمد بك الدفتدار صهر محمد على، ونجحت الحملة فى فتح سنار وكردفان(١).

وبعد هذه الحملة وضع نظام إدارى لحكم الجهات التى خضعت للإدارة المصرية، فجعل على رأس الإدارة حاكم عام (حكمدار)، وقسم السودان إلى مديريات يخضع لكل منها عدد من النظار.

وقد حاول محمد على تكوين جيش كامل من السودانيين، لكن ثبت عدم نجاح هذه المحاولة، ولذلك لجأ إلى تجنيد المصريين .

ومن أهم ما تم فى هذه الفترة إنشاء وتعمير (الخرطوم) التى كانت مجرد قرية للصيادين لا يوجد بها إلا عدد من مساكن الأهالى من القش (تُكلات)، فتحولت إلى مدينة عامرة، وأصبحت عاصمة للسودان.

وقد زار محمد على السودان فى سنة ١٨٣٨م ليشاهد الأحوال بنفسه، ومن أهم ما تحقق فى أثناء زيارته الترتيب لرحلات البكباشى (محمد سليم قبطان) الضابط المصرى، للكشف عن منابع النيل العليا، وقد قام بها فى الفترة من ١٨٣٩م إلى ١٨٤٢م، وفتحت الباب للكشف عن المنابع الاستوائية للنهر.

وفى عام ١٨٥٧م زار سعيد باشا- الذى تولى حكم مصر (١٨٥٤-١٨٦٣م)- السودان، وأصدر عدة أوامر وتعليمات، وهو فى الخرطوم؛ لتطوير الإدارة وغيرها من شئون السودان عرفت باسم (مراسم الخرطوم) .

ولاشك فى أنه فى ظل الإدارة المصرية فى هذه الفترة استتب الأمن فى ربوع المناطق التى خضعت للإدارة المصرية؛ وزادت هجرة القبائل العربية للسودان واستقرارها فيه، خاصة بعد أن نشطت الحركة الإقتصادية من زراعة وتجارة.

وفى عهد إسماعيل (١٨٦٣-١٨٨٩م) امتدت الإدارة المصرية إلى مناطق جديدة، فقد ضم بحر الغزال ودارفور للإدارة المصرية.

---

(١) عن خط سير الحملة وتفاصيل عملية الفتح يرجع إلي: شوقى الجمل: تاريخ سودان وادى النيل وعلاقاته بمصر، جـ٢ (١٩٦٩م).

ويرجع الفضل فى تحقيق هذا إلى جهود الزبير رحمت، الذى فتح هذه الجهات، ووضعها تحت تصرف الإدارة المصرية.

كما تم فى عصر إسماعيل ضم سواكن ومصوع للإدارة المصرية، كما امتدت الإدارة المصرية إلى بربرة، وزيلع، وتم فتح هرر(١).

وفى عام ١٨٨٥م أرسلت حملة بحرية مصرية لبعض مناطق شرق أفريقية (رأس حافون، وبراوة، وقسمايو)، كان الهدف منها الاستيلاء على هذه المناطق بهدف اتخاذ نقط على الساحل الإفريقى تمهد منها طرق للداخل باعتبار أن هذا أيسر وسيلة للاتصال بالأقاليم الداخلية، لكن اعترضت انجلترا على هذه الحملة وعقدت معاهدة مع مصر فى عام ١٨٧٧م اعترفت فيها انجلترا بسيادة مصر على الأقاليم الواقعة على ساحل البحر الأحمر والساحل الإفريقى، حتى رأس حافون على أن تسحب مصر حامياتها من المناطق الواقعة جنوب ذلك(٢).

كذلك كلفت الحكومة المصرية صموئيل بيكر ومن بعده غوردون بإنشاء ما أُطلق عليه اسم (مديرية خط الاستواء)، وساهمت هذه الجهود فى الوصول إلى المنابع الاستوائية للنيل.

وهكذا نجحت الإدارة المصرية فى مد سلطانها إلى حدود السودان الطبيعية شرقاً وغرباً وجنوباً.

الحركة المهدية بالسودان

لم يستقر الأمر للإدارة المصرية فى السودان، فمنذ عام ١٨٨٠م بدأت حركة دينية ضد الحكم المصرى العثمانى بالسودان، وتطورت الحركة.

ولم تنجح الجهود التى بذلتها الحكومة المصرية لإخمادها، فقد سقطت الأبيض فى ١٩ يناير ١٨٨٣م فى يد قوات المهدى.

---

(١) لمعرفة تفاصيل ضم إقليم بحر الغزال، ودارفور للإدارة المصرية – يرجع إلي: نعوم شقير: تاريخ السودان الحديث وجغرافيته ج٣ (١٩٠٣م) ص ٦٠ وما بعدها، وكذلك:
Budge: Op. Cit vol. 2. 232 .

(٢) عن تفاصيل هذه الحملات والإجراءات يرجع إلي: شوقى الجمل: سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر (١٩٧٣).

ونجحت قوات المهدى فى هزيمة القوات التى أرسلتها الحكومة المصرية بناءاً على نصيحة من الحكومة البريطانية بقيادة الجنرال هكس باشا (Hicks)، وهو ضابط إنجليزى كان قد قدم من الهند، فأبيدت معظم القوة التى كان يبلغ عددها حوالى ١٠,٠٠٠ رجل فى معركة (شيكان)، وانتشرت الثورة بعد ذلك فى السودان الشرقى، كما فشلت حملة أرسلت برئاسة الجنرال فالنتين بيكر الذى كان رئيساً للبوليس المصرى[١].

ولما وصلت الأحوال فى السودان إلى هذا الحد أرسل غوردون (Gordon) لسحب الجنود المصريين، والموظفين من السودان، لكن انتهت مهمة غوردون بقتله فى ٢٦ يناير ١٨٨٥م، وسقوط الخرطوم فى أيدى أتباع المهدى[٢].

وقد تبع سقوط الخرطوم قيام حكومة مهدية فى السودان اتخذت (أم درمان) عاصمة لها، فقد كانت الخرطوم قد خربت.

وقد كان التقشف والزهد محور المجتمع الذى نادى به المهدى، واعتقد أن هذا هو العلاج الناجح لمختلف المشكلات والحالة التى تردى إليها العالم الإسلامى، لكن مع ذلك فقد كان لابد أن يكون للدولة نظام إدارى.

فقد عين المهدى أربع خلفاء على غرار الخلفاء الراشدين، وكان هؤلاء الخلفاء هم عبدالله التعايشى، وعلى ودحلو، والمكان الثالث خصص للسيد محمد المهدى السنوسى، وقد رفض أن يشغله، والرابع هو الخليفة محمد الشريف[٣].

---

(١) لتفاصيل هذه المعارك يرجع:

-Wingate, Major: F. R.: Mahdism and the Egyptian Sudan (London 1891).

- Slatin, R.: Fer et Feu au Soudan (Traduit de L' Edition Alemande par G. Bettex - Le Caire 1898).

(٢) عن مهمة غوردن يرجع إلي: شوقى الجمل: تاريخ سودان وادى النيل وعلاقاته بمصر جـ٣ (١٩٨٠).

(٣) أبو سليم، محمد إبراهيم: الحركة الفكرية فى المهدية (١٩٧٠م) ص ٥٣ وما بعدها.
للدكتور أبو سليم عدد من الكتب عن ملكية الأرض فى المهدية، والخلافة فى المهدية – وعن الإدارة المهدية فى السودان يرجع إلي:

Holt, P. M. : The Mahdist State in the Sudan 1881 - 1890 (Oxford 1988).

وقد توفى محمد أحمد المهدى فى ٢٢ يونيه ١٨٨٥م، لذا كان على خليفته عبدالله التعايشى أن يسوس أمور الدولة، ويضع نظاماً إدارياً لها.

وقد استعان الخليفة عبدالله فى تصريف شئون الدولة بأخيه (يعقوب) الذى كان عالماً بالقراءة والكتابة ويحفظ القرآن، فأصبح له من المركز ما كان للخليفة نفسه فى عهد المهدى.

وقد ظل الخليفة التعايشى يُدير شئون السودان حوالى ١٣ عاماً إلى أن قررت انجلترا إرسال حملات مصرية لاسترداد السودان تحت قيادة سردار الجيش المصرى السر هربرت كتشنر (H. Kitchener).

وقد نجحت هذه الحملات فى استرداد دنقله فى مارس ١٨٨٦م وتتابعت الانتصارات فسقطت بربر فى يد قوات كتشنر فى ٦ سبتمبر ١٨٩٨م، وفى أبريل ١٨٩٨م حدثت معركة العطبرة، ودحر فيها جيش الدراويش.

وفى ٢ سبتمبر ١٨٩٨م وقعت معركة أم درمان وهزم جيش الخليفة، وقتل أكثر من إحدى عشر ألفاً من رجاله، وبعد دخول كتشنر أم درمان قام بعمل يتنافى مع كل مبادئ الإنسانية، فقد أمر بإخراج جثمان المهدى من ضريحه، وأمر بإرسال رأس المهدى إلى بارنج بالقاهرة، لكن أعيدت الجمجمة حيث دُفنت سراً فى مقبرة فى وادى حلفا.

وقد منح كتشنر لقب (لورد الخرطوم) (Lord Kitchener of Khartoum)، وقد رفع كتشنر العلمين المصرى والبريطانى على سراى الحكومة المخربة بالخرطوم وفقاً لتعليمات تلقاها من كرومر[١].

وتابع كتشنر السير فى النيل الأبيض إلى (فاشوده) حيث كانت قد وصلت قوة فرنسية بقيادة مارشان (Marchand)، وقبل مارشان بعد مناقشات مع كتشنر، رفع العلم المصرى على بعد ٧٠٠ ياردة من العلم الفرنسى، واضطرت فرنسا لأن ترسل الأوامر لرجالها بالانسحاب من فاشوده.

---

(١) لتفاصيل المعارك يرجع إلي:

- Churchill, W.: The River War, An account of the Reconquest of the Sudan (London 1933).
- Alford and Sword: The Egyptian Sudan, Its Loss and Recovery 91898).

وبعد معركة أم درمان هرب الخليفة فى اتجاه الأبيض، وانتهى الأمر بإرسال حملة بقيادة الكولونيل (ونجيت) لتعقب قوات الخليفة وحلفائه، ونجحت الحملة فى قتل الخليفة عبدالله التعايشى، وعلى ودحلو، والأمير أحمد فضيل، والصديق بن المهدى، وهارون محمد شقيق الخليفة فى معركة (أم دبيكرات) على بعد سبعة أميال جنوب شرق أبار جديد[1].

اتفاقية الحكم الثنائى ونظام الحكم بالسودان (١٩ يناير ١٨٩٩م)

بعد استرداد السودان وضع كرومر ورجاله المختصون مشروع الاتفاق الذى عُرف باسم (اتفاقية الحكم الثنائى)، والذى وقع فى ١٩ يناير ١٨٩٩م، وقعه عن الحكومة المصرية وزير خارجيتها بطرس غالى، وعن الحكومة البريطانية اللورد كرومر؛ لتحديد نظام الإدارة الجديدة للسودان.

والاتفاق من مقدمة واثنى عشر مادة[2].

وقد وُضعت السلطات التنفيذية والتشريعة والقضائية فى يد (حاكم عامٍ للسودان)، اشترط أن يعينه الخديوى بعد أخذ رأى الحكومة البريطانية، وأن يرفع العلمان البريطانى والمصرى فى جميع أنحاء السودان، وألا تسرى القوانين المصرية على السودان، وألا تسرى سلطة المحاكم المختلطة على السودان.

وقد كان هذا الاتفاق العجيب والنظام الغريب الذى وضع السلطة كلها فى يد إنجلترا، فلم يكن اشتراك مصر فى الإدارة والحكم إلا صوريا، موضع نقد واعتراض من المصريين، فقد اعترض عليه الحزب الوطنى وزعيمه مصطفى كامل، كما نقدته بشدة الصحف الفرنسية[3].

وظل معمولاً بهذه الاتفاقية حتى عام ١٩٢٤م حين انفردت إنجلترا بإدارة السودان رسمياً، بعد مقتل سردار الجيش السيرلى ستاك فى القاهرة فى ١٩ نوفمبر ١٩٢٤م، فأمرت إنجلترا بانسحاب الجيش المصرى والوطنيين من السودان، وانفردت

---

(١) يرجع إلي تقرير (Wingate) عن المعركة.

(٢) عن هذه الاتفاقية ونقدها يرجع إلي:
شوقى الجمل: سودان وادى النيل وعلاقاته بمصر – مرجع سابق، جـ٣، الفصل السابع.

(٣) لم يعين طوال مدة سريان العمل بالاتفاق مصرى واحد حاكماً عاماً للسودان.

إنجلترا بالإدارة، واستمر ذلك الوضع كذلك حتى عقدت معاهدة ١٩٣٦م بين مصر وإنجلترا، فتقرر العودة للعمل باتفاقية ١٨٩٩م، فأعيدت وحدات من الجيش المصرى إلى السودان، وأعيد بعض الموظفين المصريين.

الحركة الوطنية السودانية

شعر السودانيون بالغُبن الواقع عليهم نتيجة الإدارة البريطانية لبلادهم، وقد تمثل رد فعل السوادنيين فى المنشورات السرية التى انتشرت على نطاق واسع فى مختلف أنحاء السودان، ثم تطور الأمر فاتخذت جمعيات أدبية (كجمعية الاتحاد السودانى)، و(جمعية اللواء الأبيض)[1].

وقد تعددت المظاهرات والاصطدام بين الوطنيين السودانيين والسلطات الحاكمة، ومن هذه المظاهرات مظاهرة طلبة المدرسة الحربية بالخرطوم فى أغسطس ١٩٢٤م، ومظاهرة فرقة السكك الحديدية بعطبرة فى ٩ أغسطس ١٩٢٤م، ومن الشخصيات الوطنية التى برزت فى هذا المجال شخصية (على عبد اللطيف) الضابط السودانى.

وقد لجأت السلطات البريطانية لقمع هذه الحركة التى وصلت فى عام ١٩٢٤م لثورة عنيفة، واعتقلت السلطات الشخصيات السودانية البارزة، وعمدت هذه السلطات البريطانية لإلغاء الوجود العربى فى السودان، إذا اتهمت المصريين بالسودان بالتحريض على هذه الانتفاضات، ووجدت بريطانيا فرصة سانحة لتحقيق مآربها فى مقتل السير لى ستاك، كما ذكرنا.

اتفاق الحكم الذاتى وتقرير المصير للسودان

ظلت المفاوضات بين مصر وبريطانيا مستمرة بخصوص جلاء الجيوش البريطانية نهائيًا عن مصر، وقضية السودان منذ تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م الذى اعترفت فيه إنجلترا باستقلال مصر مع تحفظات أربعة، منها الوضع فى السودان.

---

(١) سليمان كشة: اللواء الأبيض (الخرطوم ١٩٦٩م)، ولتفاصيل الأحداث يرجع إلى:
- حلمى جرجس غبريال: موقف الإدارة فى السودان من الحركة الوطنية خلال الحربين العالميتين (رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة، ١٩٧٦م).
- عبد الكريم السيد: اللواء الأبيض، وثورة ١٩٢٤م (الخرطوم ١٩٧٠م).

وكانت المفاوضات عادة تتحطم أمام صخرة السودان، لإصرار إنجلترا على أن تبقى على وضعها فيه[1].

وقد عرضت مصر فى عام ١٩٤٧م قضية السودان على مجلس الأمن، فقد تقدمت بعريضة إلى المجلس مؤرخة ٨ يونيه ١٩٤٧م ذكرت فيها: إن احتلال القوات البريطانية غير المشروع لمصر سنة ١٨٨٢م، واحتلال الجزء الجنوبى من وادى النيل أى السودان بعد ذلك، مكن حكومة المملكة المتحدة منذ سنة ١٨٩٩م من أن تفرض على مصر اشتراكها معها فى إدارة السودان[1].

وإن إنجلترا انتهزت وجودها فى السودان لبذر بذور التفرقة بين المصريين والسودانيين، وعرض النقراشى باشا رئيس وزراء مصر القضية أمام مجلس الأمن، لكن المجلس لم يصدر حكمًا ينصف مصر وينهى مشكلة الوجود البريطانى فى السودان.

ولما قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م فى مصر، رأت الثورة أن تحل قضية السودان قبل حل قضية الجلاء، واتجهت حكومة الثورة فى مصر اتجاهاً جديداً، فقد رأت حكومة الثورة أن بريطانيا تتستر خلف حق السودانيين فى تقرير مصيرهم بأنفسهم، لتجد من ذلك حجة لاستمرار سيطرتها على دفة الحكم والإدارة فى السودان، وتشوه صورة المصريين فى أعين السودانيين، لذلك قدمت حكومة الثورة فى نوفمبر ١٩٥٢م للحكومة البريطانية مذكرة توضح فيها إيمان مصر بحق السودانيين فى تقرير مصيرهم، وأن مصر ترى تمكين السودانيين من اختيار نوع الحكم الذى يرونه.

ولم تجد إنجلترا بُداً من الدخول فى مفاوضات مع مصر بشأن السودان، وترتب على ذلك توقيع الحكومتين المصرية والبريطانية فى ١٢ فبراير ١٩٥٣م على اتفاق بشأن الحكم الذاتى، وتقرير المصير للسودان[3].

---

(١) عن المفاوضات بين مصر وبريطانيا يُرجع إلي:
محمد شفيق غربال: تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية (القاهرة ١٩٥٢م).

(٢) يرجع إلي: بيانات حضرة صاحب الدولة محمد فهمى النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء ورئيس وفد مصر أمام مجلس الأمن – مطبوعات رئاسة مجلس الوزراء المصرى (أغسطس ١٩٤٧م).

(٣) نص الاتفاق موجود فى: جمهورية مصر العربية، السودان ص ٢٠٠ وما بعدها.

وانتهت الإجراءات التى أُتخذت لتحقيق هذا الاتفاق إلى إصدار مجلس النواب السودانى قراراً فى ١٩ ديسمبر ١٩٥٥م يقضى باستقلال السودان، وقيام الجمهورية السودانية، وانتخبت جمعية تأسيسية لتضع الدستور النهائى للسودان، وفى ٣١ ديسمبر ١٩٥٥م، أقر البرلمان السودانى الدستور، وأصبح نافذاً من أول يناير ١٩٥٦م.

وأعلنت مصر على الفور اعترافها بالسودان المستقل عضواً فى جامعة الدول العربية، وفى ١٢ نوفمبر أصبح عضواً فى هيئة الأمم المتحدة.

الإسلام فى السودان فى ظل المتغيرات السياسية السابقة

منذ القرن السابع الميلادى بدأ الإسلام يدخل فى السودان بواسطة القبائل العربية التى هاجرت إلى هذه المنطقة الأفريقية.

وقد كان شيخ القبيلة عند وصله للسودان يضع قبيلته تحت حماية حاكم من الحكام الوطنيين، وكانت هذه العلاقة عادة تتوطد بالمصاهرة، حيث يتزوج شيخ القبيلة بنت الحاكم الوطنى، وفى حالات كثيرة ينتقل الحكم من بيت الحاكم الوطنى إلى نسل شيخ القبيلة العربى من بنت الحاكم.

على أن الإسلام بدأ ينتشر فى السودان على نطاق واسع بتدفق الهجرات الإسلامية، لكن من دراسة النظم التى كانت سائدة فى الممالك والسلطنات الإسلامية التى كانت قائمة فى السودان قبل الحكم المصرى تتضح لنا عدة حقائق:

١- فى مجال الحكم لم يكن الشرع هو أساس الحكم، إنما كانت هناك قوانين عِرفية سائدة.

٢- وقد بقيت العقائد الموروثة تُمارس على نطاق واسع، حتى بعد اعتناق الإسلام.

٣- انتشر الإسلام بعد ذلك على نطاق واسع على يد أهل التصوف، وارتبط هؤلاء عند العامة بأنهم يستطيعون بما لهم من كرامات فعل أشياء خارقة للعادة[١] .

على أنه كان من نتائج الفتح المصرى للسودان انتشار الإسلام فى مناطق بعيدة كانت مغلقة أمام الدعوة الإسلامية قبل الفتح، كما وفد للسودان عدد من رجال الدين

---

(١) أشار لذلك بوضوح: د. ضيف الله: كتاب الطبقات.

والعلماء ورجال الأزهر بالذات، وكان لهؤلاء أثرهم الفعال فى نشر التعاليم السليمة للإسلام، كما أن الإدارة المصرية فى السودان كانت فى حاجة لطبقة متعلمة لتصريف الشئون الإدارية فعمدت لإرسال بعض أبناء السودان بغرض الدراسة فى الأزهر.

على أن الثورة المهدية حين قامت فى السودان، قامت على أساس فكرة المهدى المنتظر الذى جاء ليخلص البلاد من جور الحكام الأجانب، ولإعادة الدين إلى ما كان عليه أيام الرسول ﷺ وأيام الخلفاء الراشدين – وقد كانت فترة حكم المهدية – كما رأينا قصيرة– لكنها بلا شك وضعت الجذور الأولى للقومية السياسية.

على أنه بعد استرداد السودان اتجهت إنجلترا إلى سياسة محاربة الطرق الدينية، جماعة الأنصار بالذات، كما اتبعت ما عرف (بسياسة الجنوب)، فأغلقت المديريات السودانية الجنوبية فى وجه الشماليين وفى وجه الإسلام والثقافة العربية بالذات، وبالمقابل شجعت انتشار اللغة الإنجليزية والديانة المسيحية واللهجات والعادات المحلية.

ولما احتجت الحكومة المصرية على هذه الإجراءات، أنشأ الإنجليز عام ١٩٠١م ما يسمى (بمجلس العلماء) من سبعة أعضاء من أئمة المساجد وقضاة المحاكم المعينين من قبل الحكومة، وذلك لخلق ما يمكن تسميته (الإسلام الرسمى) لمواجهة (الإسلام الشعبى)، وامتدت جهود الإدارة الاستعمارية الرامية لتأمين كيانها والحفاظ على مصالحها بإبطال فعالية الإسلام السياسية(١).

وقد كان لهذه السياسة الاستعمارية دورها فى المناهج والكتب المستخدمة فى المدارس السودانية، وفى السياسة التعليمية(٢).

لعل السؤال الذى يفرض نفسه علينا هو:

إلى أى حد سار القضاء السودانى حسب الشريعة الإسلامية ؟:

---

(١) للمزيد من التفاصيل انظر:
مدثر عبد الرحيم : الإسلام والسياسة فى السودان، بحث مقدم فى المؤتمر الأول لحماية الفكر والثقافة الإسلامية بالخرطوم (٢٩ محرم – ٢ صفر ١٤٠٣هـ) ٢٧ – ٣٠ نوفمبر ١٩٨٢م.

(٢) Muddathir - Abd El - Rahim: Imperialism and Nationalism in the Sudan (Oxford 1969) p. 91.

فى الحقيقة شهد القضاء فى السودان تطورات تبعاً للتطورات السياسية.

ففى سلطنة الفونج كان القضاء يسير حسب الشريعة الإسلامية، وكان (المذهب المالكى) هو المذهب السائد، لكن لاشك فى أن التقاليد القبلية كان لها دورها.

وبعد فتح محمد على باشا للسودان، أُنشئت المحاكم الشرعية التى كانت تُطبق المذهب الحنفى، لكن كانت المجالس تختص بالقضايا الجنائية والمدنية، وانتهى الأمر بأن اقتصر اختصاص المحاكم الشرعية على الأحوال الشخصية.

وفى عهد المهدية سارت المحاكم على الشريعة الإسلامية، وكانت تتقيد بالمنشورات التى كان يصدرها المهدى، وبعد استرداد السودان وقعت بين الحكومتين المصرية والإنجليزية فى ١٩ يناير ١٨٩٩م اتفاقية الحكم الثنائى.

وقد نصت المادة الرابعة من هذه الاتفاقية على أن الحاكم العام من سلطته تغيير وإصدار القوانين واللوائح على أن يبلغ الحكومتين البريطانية والمصرية بما يصدره من قوانين ومنشورات.

كما قضت المادة الخامسة على عدم سريان القوانين والقرارات المصرية على السودان، إلا إن صدر بها منشور من الحاكم العام[1].

ويلاحظ أن القوانين التى أصدرها الحاكم العام، والقوانين التى عملت بها المحاكم فى السودان، باستثناء ما يتعلق بالأحوال الشخصية من زواج وميراث، مستمدة من القانون الإنجليزى، ومن قوانين الولايات الهندية.

وبعد استقلال السودان كونت لجنة لمراجعة القوانين فى محاولة لتعديل القوانين السارية لتتمشى مع قواعد الشريعة الإسلامية.

ويلاحظ أنه فى دستور ١٩٦٨م نص على أن الشريعة الإسلامية هى المصدر الأساسى لقوانين الدولة، كما نص على أن للدولة أن تصدر من التشريعات ما تعدل جميع القوانين التى تعارض أى حكم من أحكام الكتاب والسنة.

وقد حدثت مراجعة للقوانين على مراحل، ففى الثالث والعشرين من مايو

---

(١) لمزيد من التفاصيل يرجع إلي:
حسين المفتى: تطور نظام القضاء فى السودان (د. ت).

١٩٧٧م صدر القرار الوزارى رقم ٢٣٦ بتشكيل لجنة لمراجعة القوانين وإعادة النظر فيها.

هذا ونشير إلى أن التعليم فى السودان أيضاً شهد تطوراً حسب المتغيرات السياسية التى مرت بالسودان.

١- ففى العهد الإسلامى المبكر- بعد انتشار الإسلام فى شمال السودان فى القرن السادس عشر الميلادى- اتخذ التعليم النمط الإسلامى التقليدى، وهو دراسة القرآن الكريم، ويقوم بهذا العمل (الفكى) داخل الخلوة، ولما كان عدد الخلاوى محدوداً، فإن عدداً قليلاً من الأطفال كانوا يجدون أماكن للدراسة.

٢- وبعد أن امتدت الإدارة المصرية للسودان (١٨١٢-١٨٨٥م) استمرت الخلوة فى أداء رسالتها، لكن فى سنة ١٨٥٣م فتحت أول مدرسة ابتدائية بالخرطوم، كان يدرس فيها التلاميذ القرآن الكريم، واللغة العربية، والتركية، والحساب[1].

كما سمح لبعض الإرساليات التبشيرية بفتح مدارس لها بالسودان.

٣- وفى فترة حكم المهدية (١٨٨٥-١٨٩٨م) عادت الخلوات لنشاطها، واضمحل شأن المدارس الأخرى.

٤- وفى عهد الحكم الثنائى (١٨٩٩ - ١٩٥٣م) زاد عدد مدارس التعليم الأولى، وأُنشئت مدارس صناعية فنية لتدريب طبقة من الصُناع المهرة، ثم أنشئت المدارس الوسطى لتدريب مدرسى المدارس الأولية، ولتخريج طبقة من الموظفين لسد احتياجات الإدارة الحكومية، كما استأنفت الإرساليات التبشيرية نشاطها فى مجال التعليم.

ومن المدارس التى أُنشئت مدارس وادى حلفا، وسواكن، ووادى مدنى، وفى عام ١٩٠٢م أُنشئت مدرسة ابتدائية بأم درمان، التحق بها مائة وعشرون طالبًا من السودانيين، كما افتتحت خمس مدارس ابتدائية أخرى فى جهات مختلفة من السودان.

وفى عام ١٩٠٢م افتتح اللورد كتشنر كلية غوردون التذكارية، وقد بدأت فى أول

---

(١) عن الدراسة الابتدائية بالخرطوم، انظر:

Hill, Richard: Egypt in the Sudan 1820 - 1885 (London 1959) p. 87 .

الأمر كمدرسة ابتدائية، ثم افتتح بها قسم ثانوى فى عام ١٩١٣م، وفى عام ١٩٤٢م تحولت المدرسة الثانوية إلى كلية جامعية.

وقد قامت بعض الجمعيات الأهلية المصرية بالمساهمة فى أمر التعليم بالسودان، فافتتحت فى عام ١٩١٦م كلية الأقباط بالخرطوم، وافتتحت بها مدرسة البنات القبطية.

وقد ساهمت الحكومة المصرية بعد ذلك بنشاط واضح فى التعليم بمختلف مراحله، كما فتحت جامعة القاهرة لها فرعًا بالخرطوم ظل ينمو وتضاعف عدد الطلاب السوادنيين المتحلقين به، وكان لهذا التطور الثقافى أثره فى نمو الحركة الوطنية والوعى القومى[١].

ولم يحظ تعليم البنات فى السودان بنصيب كبير إلا فى وقت متأخر.

ونشير إلى أنه فى عام ١٩٢٢م صدر قانون المناطق المقفولة الذى خول الحاكم العام سلطة إعلان أى جزء من السودان منطقة مقفولة يحرم دخولها على الأجانب والسودانيين.

وهذا القانون لم يهدف إلى إبعاد الشماليين عن الجنوب وحسب، بل كان يهدف أيضاً إلى إيقاف هجرة الجنوبيين إلى الشمال، حيث كانوا يتجهون للعمل فيه.

وقد ترتبت على هذا القانون نتائج بعيدة الأثر أثمرت أخيراً مشكلة الجنوب التى مازال السودان يعانى من آثارها.

* * *

الفصل الرابع
انتشار الإسلام في غرب أفريقيا
وقيام الحركات الإصلاحية في هذه البلاد

النقاط التى تناولها:

المراحل التى مر بها الإسلام فى غرب أفريقيا.

أولاً: المرحلة الأولى ٢٠هـ - ٤٤٣هـ / ٦٤٠-١٠٥٠م:

- دخول قبائل البربر فى الإسلام.
- التجارة ودورها فى نشر الإسلام والثقافة العربية فى غرب الهند.
- المرابطون ودورهم فى نشر الإسلام فى غرب أفريقيا.

ثانيًا: المرحلة الثانية ٤٤٣هـ - ١١٦٤هـ:

- قيام ممالك إسلامية فى السودان الغربى:

أ- مملكة غانة.

ب- مملكة مالى.

جـ- إمبراطورية سنغاى.

د- إمبراطورية كانم وبرونو.

ثالثًا: المرحلة الثالثة ١١٦٤هـ - ١٣١هـ:

- نشاط الحركات الإصلاحية فى غرب القارة:
- حركة عثمان دان فوديو.
- حركة أحمدو لوبو.
- حركة عمر الفوتى التكرورى.
- حركة الإمام حمود.

رابعًا: قبائل وشعوب غرب أفريقيا التى دخلت الإسلام.

خامسًا: أهم العوامل التى ساهمت فى انتشار الإسلام فى غرب أفريقيا.

سادسًا: تعرض دول غرب أفريقيا للغزو الاستعمارى الأوربى وتصدى الزعامات الإسلامية لهم.

المراحل التى مر بها الإسلام فى انتشاره فى غرب أفريقيا

مر الإسلام فى انتشاره بين شعوب غرب أفريقيا فى ثلاث مراحل:

١- المرحلة الأولى من عام ٢٠هـ - ٤٤٣ هـ/ ٦٤٠ إلى ١٠٥٠م .

٢- المرحلة الثانية من عام ٤٤٣هـ - ١١٦٤هـ / ١٠٥٠ إلى ١٧٥٠م .

٣- المرحلة الثالثة من عام ١١٦٤هـ - ١٣١٨هـ / ١٧٥٠ إلى ١٩٠٠م.

١- المرحلة الأولى من عام ٢٠هـ - ٤٤٣ هـ/ ٦٤٠ إلى ١٠٥٠م

تم فى هذه المرحلة فتح المسلمين لشمال أفريقيا، فانتشر الإسلام فيها، ومن شمال أفريقيا أخذ ينتشر جنوباً إلى السودان الغربى، جنوب الصحراء الكبرى(١).

وقد خضعت قبائل البربر للمسلمين ودخلت فى الإسلام، وانضمت لجيوش المسلمين، وساهمت فى نشر الإسلام فى غرب أفريقيا، بل تعدت أفريقيا لأوربا.

ومن القبائل التى لها شأن فى نشر الإسلام فى غرب أفريقية قبائل الطوارق أو الملثمين، وقد كانت هذه القبائل منتشرة فى نطاق واسع يمتد من النطاق الجبلى الذى يخترق شمال أفريقيا من الشرق إلى الغرب، من غدامس جنوب طرابلس إلى المحيط الأطلس غرباً، وكانوا ينقسمون بدورهم إلى عدة قبائل من أشهرها قبيلة لمطة، وقبيلة لمتونة، وقبيلة جدالة، وقبيلة مسوفة(٢).

وكانت هذه القبائل تعمل بالتجارة، فأصبحت حلقة الاتصال بين المغرب بشعوبه وحضارته وثقافته، وبين المحيط الزنجى الواقع إلى الجنوب والذى يمتد شرقاً حتى بحيرة تشاد.

---

(١) أطلق تعبير بلاد السودان علي منطقة فى غرب أفريقيا تكاد تكون محدودة تحديداً واضحاً من الغرب والجنوب، يحدها المحيط الأطلنطى، بينما حدودها الشرقية ليست واضحة بهذا الشكل، وفى الشمال تذوب هذه الحدود فى الصحراء. انظر:

Trimingham, J.. Spencer: Islam in West Africa (Oxford 1964) p. 1 .

(٢) حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا، مرجع سابق ص ٢٠٢ وما بعدها، وكذلك:

Bovill, E. W.: The Golden Trade of the Moors (Oxford 1961).

وقد ترجمه للعربية د. زاهر رياض تحت عنوان: الممالك الإسلامية فى غرب أفريقيا وأثرها فى تجارة الذهب عبر الصحراء الكبري (انظر: الفصل الرابع).

وقد لعبت التجارة دوراً هاماً فى نشر الإسلام والثقافة العربية فى غرب أفريقيا حتى أن (آرنولد) يذكر أن التجارة والإسلام فى غرب أفريقيا مرتبطان كل الارتباط[١].

فعلى الرغم من العقبات الطبيعية التى كانت تعوق الوصول إلى قلب القارة، فقد كانت هناك مراكز تجارية بمثابة (الموانئ) يتطلع إليها المسافرون عبر الصحراء حيث يجدون نبض الحياة فيستريحون ويستبدلون الجمال الضعيفة المنهكة بغيرها ليستطيعوا مواصلة الرحلة، وبها يحدث التبادل التجارى، وكانت بحيرة (تشاد) نفسها حلقة هامة فى هذه السلسلة من طرق الاتصال، فالنيجر ينحنى انحناءة عظيمة صوب الشمال ليقرب من حافة الصحراء، وهذه الصحراء لا تتصل بساحل المحيط اتصالاً مباشراً، لكنها تترك سهلاً ساحلياً يجعل الاتصال عبره ممكناً بين الجنوب والشمال، وعبر هذا الطريق اتصل سكان أفريقيا (المغاربة على وجه الخصوص) منذ أقدم العصور بالسهل الخصب الواقع جنوب الصحراء الكبرى، وكانت التجارة من أهم دوافع الاتصال بين الإقليمين، وكان للمغاربة دور هام فى هذه التجارة، وكان ملح الطعام الذى يستخرج من مناجمه الواقعة جنوب المغرب الأقصى، من السلع الهامة التى يحتاج إليها الزنوج وغيرهم من شعوب المنطقة الواقعة جنوب الصحراء، هذا بالإضافة إلى النحاس، والمنسوجات، والزمرد، والعقود، والحلى.

وكانوا على استعداد لمبادلة هذه السلع بالذهب والمحاصيل الأفريقية الرعوية أو الاستوائية التى وجدت طريقها إلى البحر المتوسط وأوربا على يد التجار المغاربة على وجه الخصوص، ويكفى أن نذكر أن هذه البلاد انفردت لفترة طويلة بثروتها الذهبية، فقد كانت المصدر الرئيسى لذهب العالم إلى أن اكتشفت مناجم أمريكا الجنوبية والهند وجنوب أفريقيا[٢].

وانتشر الإسلام انتشاراً سريعًا وهادئًا، دون اللجوء للعنف عبر هذه الطرق التجارية الممتدة من بلاد المغرب عبر الصحراء الكبرى أو على طول المحيط الأطلسى

---

(١) توماس، أرنولد: الدعوة إلي الإسلام (مترجم.- القاهرة ١٩٥٧م) ص ٣٧١ .

(٢) Fage: An introduction to the History of West Africa (Cambridge 1955) p. p. 9-10.

إلى بلاد السنغال وأعالى النيجر ومنطقة بحيرة تشاد، وكان للتجار المسلمين دور كبير فى هذا المجال.

فقد كان التجار المسلمون فى تنقلهم بين المراكز التجارية يحتكون بالزنوج، ويؤثرون فيهم بسلوكهم الشخصى وأمانتهم ونظافتهم، وكثيراً ما انتهى هذا الاحتكاك بدخول كثيرين من هؤلاء الزنوج فى الإسلام، وعدد غير قليل من هؤلاء التجار كان يجمع بين التجارة والعلم، فإذا ما استقر بهم المقام أنشأوا حلقات لتعليم القرآن الكريم أو للعبادة، وقاموا بمزاولة النشاط التعليمى والدعوة لاتباع مبادئ الإسلام، بجانب نشاطهم التجارى، ولذا تركز الإسلام على الخصوص من المبدأ فى المراكز التجارية الهامة والمدن، ثم تسرب منها إلى المناطق البعيدة.

وهكذا دخل الإسلام إلى كثير من بلدان غرب أفريقيا فى ركاب التجار، وكنتيجة لنشاطهم، وانتشر بعد ذلك أكثر بانتشار نفوذ المسلمين، فقد أصبح الإسلام – كما يقول ترمنجهام– بمثابة تصريح مرور لمن يريد الاتجار بنجاح فى أفريقيا الغربية[١].

ومن أهم أحداث هذه الفترة ظهور (المرابطين) فى القرن الحادى عشر– ففى مستهل هذا القرن قام يحيى بن إبراهيم – شيخ قبيلة تهامة – بعد عودته من تأدية فريضة الحج بالبحث عن شيخ فاضل يعاونه على تعليم رجال قبيلته أصول الدين، وقد وجد فى عبدالله بن يس الشخص الذى يليق بهذا العمل.

وكرس عبدالله نفسه لهداية الناس، وقد لجأ عبدالله بن يس مع لفيف من تلاميذه إلى جزيرة فى نهر السنغال حيث بنوا بها رباطاً، وأسلموا أنفسهم للعبادة، وفى عام ٤٣٤هـ / ١٠٤٢م قاد عبدالله بن يس أتباعه، وكان قد أطلق عليهم (المرابطين) فى حركة نشطة لدعوة القبائل المجاورة للإسلام.

وزحف المرابطون على المغرب فى عام ٤٤٧هـ، تحت قيادة عبدالله بن يس، فوصلوا تافيلالت، وفى العام التالى غزوا السوس، ثم فتحوا تادلة، وبذا دان لهم جنوب المغرب، وواصلوا بعد ذلك ميسرتهم بقيادة يوسف بن تاشفين الذى أظهر براعة عسكرية، وقدرة على التنظيم العسكرى، وفى عام ٤٦٢هـ / ١٠٦٩م أسس يوسف بن تاشفين مدينة (مراكش) لتكون مركزاً للدولة، فأخذت تزدهر وأمها رجال العلم

---

(١) Trimingham: Op. Cit. p. 28.

والأدب والفن من كل صوب، ومن أهم آثار المرابطين بها (جامع ابن يوسف)، ويعتبر المعهد الثانى فى المغرب بعد جامعة القرويين[1].

وبعد أن أتم الأمير يوسف بن تاشفين تنظيم جيشه، توجه إلى مدينة فاس، فاستولى عليها، ثم استولى على طنجة سنة ٤٧٠هـ، واتجه بعد ذلك نحو المغرب الأوسط، فسقطت مدنه الواحدة تلو الأخرى فى يده.

ولما بلغ يوسف بن تاشفين هذه الدرجة، وذاع صيته فى العالم الإسلامى، استنجد به ملوك الطوائف بالأندلس، فسار إليهم وتقابل مع جيوش ألفونسو السادس ملك قشتالة، فكان انتصاراً حاسماً فى (واقعة الزلاقة) يوم الجمعة ١٥ رجب ٤٧٩هـ.

وقد اضطر يوسف بن تاشفين للعودة إلى بلاد الأندلس مرة أخرى لتخليص المسلمين من خطر الانقسام الداخلى، وبعد أن هزم العدو المهاجم، ضرب على أيدى ملوك الطوائف وعزلهم، وأسند إلى قائده (سرين أبى بكر اللمتونى) ولاية الأندلس، وبذلك ضمت بلاد الأندلس إلى الإمبراطورية المغربية المرابطية التى أصبحت تجمع ما بين المغربين الأقصى والأوسط شرقًا وبلاد الأندلس شمالاً، وتمتد إلى بلاد السودان والسنغال جنوباً.

وقد انتهى أمر دولة المرابطين فى المغرب بسقوط عاصمتهم فى يد الموحدين فى عام ٥٤١هـ / ١١٤٧م.

٢- المرحلة الثانية من عام ٤٤٣هـ - ١١٦٤هـ / ١٠٥١ إلى ١٧٥٠م

فى هذه المرحلة الهامة دخل فى حظيرة الإسلام العديد من قبائل الصحراء الغربية، وقامت فى السودان الغربى ممالك (إمبراطوريات) إسلامية قوية، فقد انتشر الإسلام فى البلاد التى يرويها نهرا السنغال والنيجر.

ومن هذه الممالك:

١- مملكة غانة:

كانت تشغل الرقعة من الأرض بغرب أفريقيا التى تقع عند الطرف الجنوبى

(١) هناك خلاف حول تاريخ تأسيس مدينة مراكش، وقد ناقش عبد الله عنان هذا الأمر. انظر: عبدالله عنان: عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس (١٩٦٤م) ص ٣٨ .

لطريق القوافل عبر الصحراء الكبرى الممتدة من سجلماسة فى بلاد المغرب ماراً بتغازا التى اشتهرت بمناجم الملح.

واشتهرت غانة بالذهب، وقد ذكر محمود كعت أنه كان بمدينة غانة العاصمة اثنا عشر مسجداً(١)، وذكر عبد الرحمن السعدنى أنه عاش بغانا كثير من العلماء ورجال الدين والأدب، وطلاب العلم، وكانت العربية لغة التعامل ليس بين المسلمين فحسب، بل وفى جميع أنحاء الإمبراطورية، وحاضرة غانة هى كومبى(١).

وقد بدأ الضعف يدب فى مملكة غانة منذ عام ١٢٠٣م، حتى استطاع جيش أحد الأقاليم التابعة لها، وهو إقليم صوصو أن يهاجم العاصمة واستولى عليها، وضربها حوالى عام ١٢٤٠م، فاضطر مسلمو غانة للفرار إلى (ولاته) شمال كومبى، وأصبح هذا المكان الجديد مركزاً للحياة الإسلامية في الصحراء الكبرى(١).

٢- مملكة مالى:

منذ أواسط القرن الحادى عشر كان الإسلام قد أخذ ينتشر بين أفراد الأسرة الحاكمة فى مالى، وقد اعتنق ملك مالي الإسلام فى عام ١٠٥٠م، وأدى فريضة الحج، وتبعه خلفاؤه الواحد تلو الآخر، ومنذ عام ١٢٣٥م بدأ نجم مالى يظهر، وضمت إليها عدة أقاليم مجاورة.

فقد ضمت إقليم مالى، وصوصو، وإقليم غانة، وبلاد تكرور، وكانت هذه الأقاليم ممالك مستقلة، لكنها اندمجت فى مملكة واحدة، وأصبحت مالى إمبراطورية إسلامية ضخمة بغرب القارة الأفريقية(٤).

ومن أشهر حكام مالى السلطان منسى موسى، وقد ذاع صيته فى العالم الإسلامى، إذ ارتبط اسمه برحلة الحج الطويلة التى قام بها إلى بيتالله الحرام عام ٧٢٣هـ / ١٣٢٤م فى ركب قيل إنه كان يضم أكثر من عشرة آلاف حاج، فمر بـ

---

(١) محمود كعت: تاريخ الفتاش فى أخبار البلدان، والجيوش وأكابر الناس (ترجمة هوداس، وديلافوس باريس ١٩١٢م).

(٢) عبد الرحمن السعدى: تاريخ السودان، نشره وعلق عليه هوداس.

(٣) عبد الرحمن زكى: تاريخ الدول الإسلامية السودانية بغرب أفريقيا (١٩٦٦م).

(٤) أطلق بعض المؤرخين على مملكة (إمبراطورية) مالى اسم مملكة التكرور أو مملكة التوكولور، مع أن التكرور - كما ذكرنا إقليم من أقاليمها . ابن خلدون: العبر جـ٥ ص٥ .

(ولته)، و(توات)، و(سرتة) على شاطئ البحر المتوسط فى برقة، واتجه منها مساحلاً إلى أن وصل إلى القاهرة، وذلك فى عهد السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون.

والذين تحدثوا عن هذا الموكب يعطون لنا صورة، لعل فيها بعض المبالغة، لكنها لا تخلو من حقيقة، فقد أحاط هذا السلطان نفسه بمظاهر الترف والإسراف فى مصر، وكانت معه كميات كبيرة من الذهب الخام، حتى قيل: إنه لم يدع أميراً من أمراء المماليك فى مصر، ولا رب وظيفة سلطانية إلا وصله بحمل من الذهب، كما أفاض فى هباته على الفقراء فى الأراضى الحجازية، ومنح عن سعة حتى قيل: إن قيمة الذهب انخفضت انخفاضاً ملحوظاً لكثرة ما أنفقه.

ومن طريف ما ذُكر عن بعثة الحج هذه أن سلطان مالى فى طريقه إلى الحج بعث برسالة إلى سلطان المغرب يخبره فيها أن موكبه سيمر من الطريق المحاذى ساحل البحر المتوسط، فأصدر السلطان المغربى أوامره بحراسة السلطان المالى أثناء اجتيازه الصحراء، ولبست المملكة حلة الزينة لاستقبال ضيف المغرب الذى أحاطت به مظاهر الأبهة والبذخ، وحمل معه أحمالاً من الهدايا قدمت إلى الحضرة بفاس، وتركت آثارها فى نفوس المغاربة الذين كانوا ينظرون إلى القادمين نظرة الاحترام والتقدير، وعندما انطلق الموكب من مالى إلى تلمسان صحبته كوكبة من الخيالة المغاربة الذين كانوا يحملون أوامر بمضاعفة مظاهر الحفاوة عند المرور ببجاية وتخوم تونس، ووصل الموكب مصر حيث وجد الملك المالى، عاهل الجراكسة يفاتحه فى موضوع إقامة صلات تجارية وسياسية بين البلدين يجب إخفاء أمرها عن المغرب، لكن الحديث بين الملكين بلغ فاس.

ولا يطيل المؤرخون فى الحديث عما جرى بعد ذلك، لكن الظاهر أن ملك مالى أكد لملك المغرب بعد عودته، بأن الحلف الذى سبق أن عُقد بين المملكتين المغرب ومالى، لن يتأثر، كما أن الحاكم المصرى نفسه سعى بعد ذلك بكل الوسائل لتأييد حسن نواياه تجاه المغرب[١].

---

(١) العمرى: مسالك الأبصار ص ٩٤٣ وما بعدها.
وابن الوردى: ذيل المختصر فى أخبار البشر ص ٢ ص٢٧٥ .

ولم تكن مظاهر الكرم، الذى صاحب رحلة العاهل المالى للحج مقصورة على القاهرة، فقد أنفق المال بسعة فى كل مكان ذهب إليه، وحدث ذلك أيضًا فى أثناء زيارته المدينة المنورة ومكة المكرمة وغيرهما.

وقد ذكر المؤرخون أن منسا موسى، لما رجع ثانية إلى القاهرة كان قد أنفق كل ماله، ومع ذلك فقد ظل متمسكاً بجميع مظاهر الأبهة، واضطر للاقتراض من أحد تجار الإسكندرية، وقد صحب هذا التاجر هو ولده إلى مالى ليسترد دينه، وقد توفى هذا التاجر الثرى فى مسوفة، ودفع منسا موسى ما كان عليه إلى ولده الذى انصرف عائداً إلى مصر(١).

وقد مات منسا موسى عام ١٣٣٢ بعد حكم دام خمساً وعشرين سنة، وبعد موته بدأ الإنقسام يدب فى عظام الإمبراطورية ، فقد تولى أمرها خلفاء تعوزهم القدرة.

ومن الإمبراطوريات الإسلامية الهامة التى قامت بالسودان الغربى:

٣- إمبراطورية سنغاى:

وقد قامت هذه الإمبراطورية فى النيجر الأوسط، وشعب السنغاى، شعب زنجى، وكان الإسلام قد دخل هذه البلاد فى القرن الحادى عشر، واعتنقه ملوكهم.

ومن أشهر مدنهم (جاو) الواقعة على الضفة اليسرى لنهر النيجر، و(جنى) التى اشتهرت كمركز للعلم، وكسوق تجارى.

وقد خضعت سنغاى لسيادة مالى فترة من الزمن، لكنها تحررت بعد ذلك، ونمت وازدهرت، ومن أشهر ملوك سنغاى أسكيا محمد الكبير (١٤٩٣- ١٥٢٨م)، وقد ذهب للحج فى صفر ٩٠٢هـ / ١٤٠٦م.

وقد نجح هذا الحاكم فى مد سلطانه إلى (كانو)، ولم يحظ موكب حجه بما حظى به موكب منسا موسى من شهرة، لكن اشتهر أسكيا محمد بتشجيعه للعلماء، وقد ذاعت فى عهده شهرة (تنبكتو)، ومعهد سنكورى الدينى، وكذلك معاهد العلم التى افتتحت فى جنى، وجاو.

---

(١) عبد الرحمن زكى: مرجع سابق ص ١٠٩ .

ومن أبرز رجال العلم الذين قربهم إليه العالم (محمد المغيلى التلمسانى)، وهو من العلماء الذين برزوا فى السودان الغربى فى القرن الخامس عشر، وقد توفى فى حوالى عام ١٥٠٤م، وقد انتهت فترة حكم أسكيا محمد فى سلطنة سنغاى بثورة أبنائه عليه في عام ١٥٢٦م، ونفى إلى جزيرة نائية.

ومن حكام سنغاى أسكيا إسحاق (١٥٨٢-١٥٩١م)، وفى أثناء حكمه أرسل السلطان أحمد المنصور، سلطان المغرب حملته للاستيلاء على تنبكتو وإخضاع سنغاى لسلطانه[1].

٤- إمبراطورية كانم وبرنو:

ومن إمبراطوريات غرب أفريقيا الإسلامية: إمبراطورية كانم وبرنو، وقد شملت إمبراطورية كانم فى أوج مجدها رقعة واسعة فى غرب القارة تمتد من نهر النيجر غرباً إلى النيل شرقاً، وقد استمرت إمبراطورية كانم قائمة فترة امتدت من القرن الثامن الميلادى إلى القرن الثالث عشر، وبدأ الضعف بعد ذلك يدب فى أوصالها، فأصبحت جزءاً من برنو بعد أن كانت برنو خاضعة لها.

وقد اعتنق حكام كانم الإسلام منذ أوائل القرن الحادى عشر مما أكسب دولتهم أهمية كبرى.

أما إمبراطورية برنو:

فقد ازدهرت فى القرن السادس عشر، واشتهر من حكامها ماى إدريس علومة (١٥١٧-١٦٠٢م)، وقد بذل جهداً مشكوراً فى تعمير المساجد فى بلاده، ودعم الروح والمبادئ الإسلامية فيها.

وقد ظلت مملكة برنو قائمة حتى هاجمها الفولة، وانتزعوا أقاليم الهوسا التى كانت تابعة لهم وأخضعوها لدولتهم.

---

(١) للتفاصيل عن حملة المنصور السعدى يرجع إلي:
- السعدى: تاريخ السودان (نشر هوداس باريس ١٨٩٨هـ).
- محمود كعت التنبكتى: تاريخ الفتاش، مرجع سابق.

المرحلة الثالثة لانتشار الإسلام فى السودان الغربى وقيام الحركات الإصلاحية فى غرب القارة

تمتد من منتصف القرن الثامن عشر الميلادى إلى أوائل القرن العشرين (١١٦٤هـ - ١٣١٨هـ / ١٧٥٠ إلى ١٩٠٠م) وبعد ذلك ندخل فى المرحلة المعاصرة.

وتتميز المرحلة الثالثة هذه بنشاط المصلحين الدينيين لنشر تعاليم الدين الإسلامى الصحيحة فى غرب القارة، واضطروا فى سبيل ذلك لمحاربة الذين وقفوا فى وجه هذه الموجة الإصلاحية .

ومن أشهر هؤلاء عثمان دان فوديو، وأحمد لوبو، ومحمد الأمين الكانمى، وعمر الفوتى التكرورى، والإمام صمودو.

ويلاحظ أنهم جميعاً أفارقة اعتنقوا الإسلام وتفقهوا فيه، وجاهدوا فى سبيل نشره وتنقيته من الشوائب التى علقت بالممارسات التى أداها بعض المنتمين للإسلام الذين لم يتخلصوا من آثار الوثنية وغيرهم.

١- عثمان دان فوديو:

يعطى الشيخ دان فوديو مؤسس الإمبراطورية الفولانية التى استمرت بغرب أفريقيا ما يقرب من مائة عام مثلاً قوياً للحركات الإصلاحية التى قامت فى العالم العربى عامة، وفى غرب أفريقيا بصفة خاصة للعمل على إعادة مجد الإسلام، ونشر مبادئ الدين الصحيح، وتطبيق أحكام الشريعة.

وكما رأينا فإن الإسلام انتشر فى السودان الغربى عن طريق التجار المسلمين من الشمال الأفريقى وغيره .

وكانت لحركة المرابطين أثرها فى إقامة دولة إسلامية شملت المغرب والسودان الغربى، والأندلس، وكان للمرابطين الفضل فى الدعوة للإسلام بين القبائل الزنجية الوثنية التى تقطن الصحراء، وفى عهد المرابطين تأسست مدينة تنبكت، وانتشر الإسلام إلى مدينة جنى، كما اقتفى الموحدون أثر المرابطين فى نشر الدعوة الإسلامية.

وقد ترتب على تدفق الهجرات العربية على شمال أفريقية، وضغطها على قبائل الطوارق (الملثمين) إلى حركة هذه القبائل صوب الجنوب وانتشارها بين القبائل الزنجية مما أدى لنشر الإسلام، وتكوين مراكز إسلامية متعددة فى الصحراء الغربية انبعث منها نور الإسلام، ووصل إلى نهر السنغال والنيجر، ومن القبائل التى انتشر بينها الإسلام قبائل الفولانى (الفوله)، ومن أشهر عشائرهم عشيرة (الطرونكه) التى ينتمى إليها عثمان دان فوديو[١].

ولد عثمان بن فودى فى ماراتا (Marata) فى عام ١١٦٩هـ/ ١٧٥٤م. ونشأ فى أسرة متدينة، عدد كبير من أفرادها، يشتغل بالوعظ والتدريس، فنشأ نشأة دينية خالصة[٢].

وقد تلقى دروسه الأولى على يد أبيه محمد فودى[٣].

وكذلك تلقى العلم عن والدته حواء، وجدته رقية، ودرس الإعراب، والفقه والتفسير عن عدد من الشيوخ والفقهاء والعلماء، وعرف مبادئ الطريقة القادرية فأصبح من أقطابها.

وقد هاله حال المسلمين فى بلاد الهوسا فمنهم من يخالط الوثنين دون تحرج، ومنهم من يقلدهم فى سلوكهم[٤].

فعزم الشيخ عثمان على محاربة هذه البدع، وتعريف هؤلاء القوم بتعاليم الإسلام الصحيحة.

وبدأ جهاده بالدعوة إلى الدين السليم ومبادئه بالحسنى والموعظة الحسنة، واحتمل مشاق الأسفار فى سبيل الدعوة، وجاهر بمبادئه الإسلامية السليمة، كما ألف

---

(١) عن أصل قبائل الفولانى- يرجع إلي:
- مصطفي مسعد: الإسلام ، وحركات الفولانى الإصلاحية فى غرب أفريقية (بحث بمجلة جامعة أم درومان الإسلامية – العدد الأول، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م).
- كذلك محمد بلو: إنفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور (مطبعة الأزهر ١٩٦٤م).
(٢) آدم عبد الله الألورى: الإسلام فى نيجيريا (بيروت ١٩٧١م) ص ٩٣ – ٩٥ .
(٣) كلمة فودى بالفولانية بالفولانية تعنى الفقيه .
(١) عن الطريقة القادرية وغيرها من الطرق الصوفية يرجع إلي:
عبد الله عبدالرازق إبراهيم: أضواء علي الطرق الصوفية فى القارة الأفريقية (١٩٩٠م).

العديد من الكتب والشروح لتوضيح المبادئ الصحيحة، ولعل الوثيقة التى عُرفت (بوثيقة أهل السودان) توضح أهم المبادئ التى نادى بها[١].

وقد اتجه الشيخ عثمان للتأليف فى الفقه والتفسير، وأصول الدين، والأدب والشعر، والدعوة للتمسك بالأخلاق والمثل العليا، ثم الدعوة للجهاد فيما بعد[٢].

وأغلب كتبه ومقالاته وأبحاثه مازالت مخطوطة، وإن كان بعضها قد طبع[٣].

ومن أهم كتبه:

١- كتاب إحياء السنة وإخماد الفتنة.

والأصل مخطوط بمكتبة جامعة إبيدان بنيجيريا تحت رقم ١٨٦ . وقد قامت لجنة من علماء الأزهر الشريف بمصر بتحقيقه ونشر فى عام ١٣٩١هـ (١٩٦٢م).

٢- بين وجوب الهجرة على العباد، وبيان وجوب تنصيب الإمام، وإقامة الجهاد. مخطوط بمكتبة الآثار بكدونا تحت رقم ٨٢ / ٥٣، ويشتمل على ٨٦ صفحة.

٣- حصن الأفهام من جيوش الأوهام.

مخطوط بمكتبة إيبادان بنيجريا، من اثنين وسبعين صفحة.

٤- سراج الأعوان فى أهم ما يحتاج إليه فى هذا الزمان.

مخطوطة بمكتبة إيبادان بنيجيريا، يحتوى على أربعين صفحة .

٥- إحجام المفكرين فى الزجر عن البدع والأهواء .

---

(١) الهوسا: ينتمون إلي الجنس الزنجى رغم أنهم يتكلمون لغة حامية، والهوسا يمثلون خليطاً من شعوب انتمي إلي أصول مختلفة، ويمتد الإقليم الذى يتركز فيه الشطر الأكبر من الشعوب الناطقة بتلك اللغة من زارية إلي كتسينا، وسكوتو فى شمال نيجيريا اليوم، ويقدر عددهم بخمسة ملايين ونصف المليون نسمة، وهم يدينون بالإسلام – انظر: (عبد الرحمن زكى: تاريخ الدول الإسلامية السودانية بأفريقيا الغربية (١٩٦١م) ص ١٩ .

(٢) لتوضيح ما جاء بهذه الوثيقة يرجع إلي:

Bivar, A. D. D. H.: Wathigat Ahl - al Sudan (Journal of African History vol. 11 No. 2 - 1961).

(٣) تناول الدكتور محمود سمير أحمد محمد التابعى بالشرح التفصيلى، والتحليل هذه الكتب – فى رسالته التى قدمها للماجستير بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة (١٩٧١م) تحت إشراف د. شوقى الجمل.

طبع هذا الكتاب بمطبعة مصطفى الحلبى بالقاهرة (١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م)، وتوجد نسخ منه بالهيئة العامة للكتاب بمصر تحت رقم ٢٩٥٤٠ .

٦- أصول الدين:

مخطوط من ثمان صفحات بمكتبة إيبادان بنيجيريا .

٧- هدايا الطلاب:

مخطوط بمكتبة إيبادان بنيجيريا .

٨- الفرق بين ولاية أهل الإسلام، وأهل الكفر:

نُشر بمجلة معهد الدراسات الشرقية بالدراسة، مجلد ٢٣ - عدد ٣ لعام ١٩٦٠م، ص ٥٥٨ - ٥٧٩ .

٩- تنبيه الإخوان على أحوال أرض السودان:

مخطوط بمكتبة إيبادان بنيجيريا فى ١٧ ص، وقد قدم (هودجيكين) ملخصاً لما تناوله الكتاب[١].

١٠- تعليم الإخوان بالأمور التى كفرنا بها ملوك السودان:

مخطوط بمكتبة إيبادان بنيجيريا فى خمسة وعشرين صفحة .

١١- الأمر بموالاة المؤمنين، والنهى عن موالاة الكافرين .

مخطوط فى مكتبة إيبادان فى ٨ صفحات .

١٢- نصيحة أهل الزمان:

مخطوط فى سبعة فصول - بمكتبة إيبادان بنيجيريا .

١٣- أصول الولاية:

مخطوط فى اثنين وعشرين صفحة مكتبة إيبادان .

١٤- أجوبة محررة عن أسئلة مقررة:

مخطوط عبارة عن ثلاثة عشر فتوى فى أمور الدين بمكتبة إيبادان .

١٥- ضياء السياسات، وفتاوى النوازل فى فروع الدين من المسائل[١] .

---

(١) Hodgkin, T.: Nigerian Prepectire (London 1960) p.p. 190- 192 .

وليست هذه كل أبحاث، ومقالات الشيخ عثمان، فله عدد آخر من المقالات، فقد دأب على الوعظ، والتدريس، ودعوة الناس للتمسك بتعاليم الإسلام الصحيحة .

وقد كثر أتباع الشيخ ومريديه الذين التفوا حوله، مما أوغر صدور الحكام فى إمارات الهوسا، إذ خافوا على ملكهم من الضياع، خاصة أن الشيخ فضح تصرفاتهم التى تتعارض مع تعاليم الإسلام.

وتعرض الشيخ وأتباعه لكثير من صنوف الأذى، مما أدى لأن يدعو فى عام ١٢١٨هـ / ١٨٠٤م أتباعه للهجرة معه لأطراف الصحراء إلى مدينة (جودو) على حدود إمارة حوبير.

وتطورت الأحداث بعد ذلك، وأدى ذلك أتباعه لمبايعته على إطاعة الله ورسوله والجهاد معه فى سبيل الله، فبايعوه أميراً للمؤمنين، فأصبح يلقب (بأمير المؤمنين) .

وقد بايع الشيخ عبد من أتباعه منهم أخوه عبد الله، وابنه محمد بلو، وعدد من تلاميذه ومريديه.

واختار الشيخ أفراداً من أتباعه ليقوموا بمهام خاصة، وليعاونوه فى جهاده، وقد بدأ الشيخ عثمان فى تشكيل جيش يستعين به على مواجهة الوثنيين[1]، وكانت هذه البيعة، وتلك التنظيمات التى بدأها الشيخ بداية لاصطدامه بمعارضيه، وفى مقدمتهم أمير جوبير.

وتعددت الاصطدامات بين أتباع الشيخ وقواته، وبين قوات أمير جوبير، وتسجل لنا المراجع العربية والأجنبية أخبار هذه الوقائع والاصطدامات.

وقد نجحت قوات الشيخ فى أن توقع الهزيمة بأمير جوبير، وأن تضم عدة مدن هامة تحت سلطانه منها كتسينة، وكانوا، وزارية، وهادية، وأدموا، وجزء من برنو.

وقد استعصت العاصمة (الكلوه) على الفولة لفترة، لكنها سقطت أخيراً فى يد محمد بلو بن الشيخ عثمان[2] .

---

(١) آدم عبد الله الآلورى: مرجع سابق ص ١١٠ – ١١٢ .

(٢) عن هذه الوقائع انظر:

– عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: الإسلام والحضارة الإسلامية فى نيجيريا (١٩٨٤م) .

Crowder, M. : The Story of Nigeria (London 1962) .

- Smith, M. G. : The Jihad of Sheh Dan Fodio (1960).

واستنجد حكام برنو بمحمد الأمين الكانمى الذى أمدهم بقوة عسكرية كبيرة نجحت فى وقف تقدم قوات الشيخ عثمان، لكن لم يأت عام ١٨١٠ حتى كان الشيخ عثمان قد أخضع معظم بلاد الهوسا ووحدها تحت سلطانه، واتخذ لإدارتها مدينة (سوكوتو)(١)، وقد قسم هذه المناطق التى خضعت له إلى قسمين:

(أ) قسم شرقى: وضعه تحت حكم ابنه محمد بلو.

(ب) قسم غربى: وضعه تحت حكم شقيقه عبد الله.

وقد تفرغ الشيخ بعد ذلك للزعامة الروحية، وللتأليف والإرشاد، وفى عام ١٨١٧م توفى الشيخ عثمان وهو فى الثالثة والسبعين من عمره، وقد استمرت إمبراطورية سوكوتو حتى عام ١٩٠٣م حين سقطت عاصمتها فى يد القوات البريطانية الغازية فى ١٤ مارس من هذا العام.

٢- أحمدو لوبو:

تختلف الحركة التى قادها هذا الزعيم عن حركة عثمان دان فوديو، فقد ادعى المهدية، وذكر أنه مبعوث العناية الإلهية لإنقاذ المجتمع الإسلامى فى غرب أفريقيا، ومحاربة الوثنية فى هذا الجزء الهام من القارة(٢) .

وقد انتشرت حركة أحمدو لوبو فى ماسنة، ووجد فيها الفولانيون فرصة جديدة لتوحيد صفوفهم وارتفاع شأنهم فى هذه المناطق من غرب القارة، كما ارتفع شأن إخوانهم فى شمال نيجيريا على يد الزعيم عثمان فوديو.

وقد وجه أحمد ولوبو الرسائل إلى المسلمين فى أفريقيا كلها من مصر شرقًا إلى المغرب (مراكش) غربًا، بل وإلى المسلمين فى الأقطار الإسلامية المختلفة يشير فيها إلى أنه الإمام الثانى عشر، وأنه المهدى الذى بعث لإنقاذ المسلمين مما وصلوا إليه.

وفى عام ١٨١٣م أعلن الحج، ونجح فى عام ١٨٢٧م فى دخول مدينة تنبكت، ثم دخل جنى، واتخذ بالقرب منها عاصمة له سماها (حمد الله).

وقد توفى فى عام ١٨٤٤م، ولم تعمر دولته بعده طويلاً.

---

(٣) عن العلاقات بين إمبراطورية سوكوتو، وإمبراطورية البرنو إلي:
عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: مرجع سابق، ص ٢٣٩ وما بعدها.

(١) Dibois, F. : Tombouctou, La Mysterieuse (Paris 1889).

٣- عمر الفوتى التكرورى:

ولد عمر الفتى فى قرية (حلوار) بأرض فوته، وقد أُعجب بمبادئ التيجانية، كما أعجب بدعوة عثمان دان فودى الإسلامية، وقد درس فترة فى الأزهر عام ١٨٣٣م، وتزوج ابنة السلطان محمد بلو بن عثمان.

وقام بغزو إمارة البمارة فى (كارته) مركز الوثنية فى عام ١٨٥٤م، وقد تكتل حوله التوكولور (Tuculor) [١]، واصطدم عمر بالفرنسيين فى عام ١٨٥٧م، الذين كانوا يعملوا لتوطيد سلطانهم فى غرب أفريقية، وانتهى الأمر بوفاة الحاج عمر فى عام ١٨٦٥م.

٤- الإمام صمودو:

صمودو (صمدى) من الماندنجو المنتشرين[٢] فى جنوب سنغامبيا، وقد ولد فى عام ١٨٤٦م، واعتنق الإسلام فى شبابه، وجمع حوله عدداً من مريديه، ونجح فى تأسيسه حكومة فى سنغامبيا فى الحوض الأعلى من نهر النيجر ورافده.

وقد بلغ صمودى أوج قوته فى عام ١٨٨١م، لكنه اصطدم بالفرنسيين، فأسروه فى عام ١٨٩٨م، ومات فى عام ١٩٠٠م.

رابعًا: قبائل وشعوب غرب أفريقيا التى دخلت الإسلام

رأينا كيف انتشر الإسلام فى غرب أفريقيا، وقد كان للتجار المسلمين وللمغاربة بوجه خاص دور هام فى هذا المجال.

وكان لبعض القبائل والشعوب التى دخلت الإسلام دور كبير فى نشر الإسلام فى غرب القارة، فالبربر الذين قاموا الإسلام فى البداية لعبوا دوراً هامًا فى نشر الدين وتعاليمه فى البلاد التى يربطها نهر السنغال، ونهر النيجر، ويذكر فى هذا السبيل بالذات الدور المتميز الذى لعبته قبيلتا لمتونة وجدالة الصنهاجيتان.

---

(١) التوكولور: شعب زنجى كان يسكن مرتفعات فوا جالون وعلي ضفاف النيل، وكان من أسبق الشعوب إلي الإسلام.

(٢) لمزيد من التفاصيل يرجع إلي:
Fage: An Introduction to the History of West Africa (Cambridge 1955).

وبرزت جهود المرابطين وفى مقدمتها جهود يوسف بن تاشفين ثانى أمراء دولة المرابطين، ومؤسس مراكش، فى مجال تحويل القبائل الوثنية فى غرب القارة إلى الإسلام.

وقد ظهر فى غرب القارة ممالك (إمبراطوريات) إسلامية قوية فى غانه، وسنغاى، ومالى، وكانم، وبرنو.

ويميز الحركة الإسلامية فى غرب أفريقيا ظهور مصلحين من الجنس الأفريقى. تصدوا لما شاب المجتمع الإسلامى فى هذه البلاد من شوائب تعارض مبادئ الإسلام وما يدعو له وما ينهى عنه، فقاموا بحركات قوية، بل نجحوا فى محاربة دول وثنية فى غرب القارة، وبنوا إمبراطوريات كبيرة.

أما القبائل والشعوب فى غرب القارة التى دخلت الإسلام ولعبت دورًا هامًا فى نشره بين القبائل والشعوب الأخرى فأهمها:

١- قبائل الطوارق الملثمون: وهم قبائل رحل، ينتقلون فى مناطق شاسعة بالصحراء الغربية التى تمتد حتى منحنى النيجر، ولهم نظام قبلى خاص، فهم يعيشون فى مجموعات ولهم قيادات قبلية، وتقاليد خاصة، ولما اعتنق الطوارق الإسلام لعبوا دوراً هاماً فى نشره كما سبقت الإشارة.

٢- الفوله (الفولانى): وهم فى الأصل رعاة، لكن استقرت جماعات منهم وعملت بالزراعة، وقد استطاع عثمان دان فوديو أن يجمعهم وينشر الإسلام الصحيح بينهم، وأن يكون إمبراطورية إسلامية شاسعة، حكمها حتى قضى عليها الفرنسيون.

٣- الشعوب السنغالية (الولوف)، التوكولور، والسرر، والجوله، وهم مجموعة مختلطة من الزنوج، وقد انتشر الإسلام بينهم منذ القرن الحادى عشر.

٤- السوننكى: يعيشون على السواحل الغربية للقارة، ويتوغلون جنوب الصحراء الكبرى، وقد اعتنقوا الإسلام فى وقت مبكر، وساهموا فى نشره فى السودان الغربى.

٥- الماندنجو: سيطروا لفترة على المنطقة بين النيجر والمحيط الأطلسى، وقد انتشر الإسلام بينهم منذ القرن الرابع عشر، ومن أشهر زعمائهم ساموري، وسنشير لكفاحه ضد الفرنسيين فيما بعد.

٦- قبائل الفولتا الشمالية: اتصلت بعض قبائلهم بالمسلمين منذ قرون، مما أدى

لانتشار الإسلام بينهم، وقد أسلم عدد كبير من قبائل (الديولا) التى استوطنت ساحل العاج.

٧- السنغاى: يعيشون فى محاذاة منحنى النيجر، وقد انتشر الإسلام بينهم عن طريق احتكاكهم بالطوارق والمغاربة الذين وفدوا عليهم.

٨- شعوب تشاد: هم عناصر متباينة، استقروا فى برنو، وباجرمى، ووادأى، وقد اعتنقوا الإسلام باستثناء بعض الأقليات فى الجنوب.

٩- شعوب الكانمبو: يعيشون فى كانم شمال شرقى بحيرة تشاد، وقد انتشر الإسلام بينهم منذ القرن الثانى عشر.

كما أن بعض القبائل العربية هاجرت من الأقطار النيلية إلى الغرب، واستقروا فى برنو، وكانم، ونشرو الإسلام بين سكان المناطق التى استقروا بها.

١٠- شعوب غينيا الغربية: تأثرت إلى حد كبير بالإسلام، وإن كان بعضهم لازال على وثنيتهم.

١١- الشعوب النيجيرية: تحول معظم اليوروبا (Yoruba) فى الشمال إلى الإسلام، وهم يكونون أكبر مجموعة مسلمة متماسكة، وقد انضموا تحت لواء الحركة الإصلاحية التى قادها عثمان دان فوديو، وتنتشر لغة الهوسا - وهى لغة حامية - فى شمال نيجيريا بل وفى النيجير، وتعتبر من أكبر اللغات انتشاراً بغرب أفريقيا.

خامساً: العوامل التى ساهمت فى انتشار الإسلام فى غرب أفريقيا

من هذا العرض السريع للظروف التى انتشر فيها الإسلام فى غرب أفريقيا نلاحظ أن من أهم العوامل التي ساهمت فى انتشار الإسلام في غرب أفريقيا:

١- دور المغرب:

منذ اللحظة التى دخل الإسلام فيها بلاد المغرب بدأ يتسرب إلى غرب أفريقيا- منذ أن وصل عقبة بن نافع الفهرى بقواته إلى المغرب الأقصى- انفتح الباب للإسلام صوب الغرب، وجنوباً إلى قلب القارة الأفريقية، وتعاقبت بعد ذلك هجرات البربر الذين اندفعوا فى موجات متعاقبة نحو الجنوب متأثرين بالأحداث السياسية التى تعرضت لها بلاد المغرب.

ومن أبرز القبائل التى لعبت دوراً حاسماً فى نشر الإسلام فى غرب أفريقيا قبائل (الملثمين) والطوارق بالذات، فقد كان لها نشاط واضح فى منطقة السنغال، والنيجر وغيرهما من المناطق بغرب القارة(١) .

ولم تكن الأحداث السياسية فى المغرب هى العامل الوحيد فى هجرة قبائل البربر وغيرهم صوب الجنوب، فهناك عوامل أخرى بينها مثلاً هجرات القبائل العربية خاصة (بنى سليم) و(الهلاليين)، وتقدمها تجاه الصحراء بحثًا عن مناطق تشبه إلى حد ما فى ظروفها وأنماط الحياة فيها تلك التى تعودت عليها فى بيئتها الأولى فى الجزيرة العربية– فدفعت هذه القبائل أمامها قبائل بربرية وزنجية، وأدى هذا– كما يذكر توماس أرنولد– إلى تغيير أساسى فى توزيع السكان، وتجمعهم فى مناطق معينة صالحة للإقامة فى الواحات أو على ضفاف الأنهار– وساعد ذلك بدوره على نشر الإسلام فى المناطق التى نزحت إليها هذا القبائل المتراجعة(٢) .

٢– دور المرابطين :

برز هذا الدور فى النشاط الذى قام به عبدالله بن ياسين من رباطه فى مصب السنغال، والذى ترتب عليه توحيد قبائل الملثمين، وبث روح الجهاد فى سبيل نشر الإسلام فيهم، فاستطاعوا أن يسهموا فى نشر الإسلام فى غرب أفريقية، وترك المرابطون فى غرب أفريقية آثاراً عظيمة، ومن أعظم الآثار التى تمت فى عهدهم تأسيس مدينة (**تنبكتو**) التى أصبحت من أعظم الحواضر الثقافية الإسلامية فى غرب أفريقيا(٣) .

وقد تحدث السعدى عن الظروف التى نشأت فيها هذه المدينة، وعُمرت فذكر «نشأت تنبكت فى أواخر القرن الخامس من الهجرة، وسكن فيها الأخيار من العلماء والصالحين وذوى الأموال من كل قبيلة ومن كل البلاد، وبنوا المسجد الجامع، ثم مسجد سنكرى، لكن لم يكتمل بناء المسجد إلا فى أواسط القرن العاشر فى مدة أسكيا داود بن الأمير أسكيا الحاج محمد»(٤) .

---

(١) Dubois, F. I. : Islam Noir (Paris 1859) p. 28 .

(٢) توماس أرنولد: الدعوة إلي الإسلام (مترجم – القاهرة ١٩٥٧م) ص ٣٩١ وما بعدها.

(٣) انظر: السعدى، عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران السعدى: تاريخ السودان (طبعة هرداس ١٨٩٨م) ص ٢٠ .

(٤) نفس المرجع السابق ص ص ٢٠ : ٢٢ .

٣- دور التجارة:

لعبت التجارة دوراً هاماً فى نشر الإسلام والثقافة العربية فى غرب أفريقيا، حتى أن أرنولد كما ذكرنا يشير إلى أن التجارة والإسلام فى غرب أفريقيا مرتبطان كل الارتباط.

٤- الحج:

كان الحج وما زال من أهم العوامل التى تيسر للمسلمين فرصة الالتقاء والتبادل الفكرى والثقافى.

وقد أصبح خروج المسلمين من غرب أفريقيا، إلى الحج واتصالهم بالشعوب الإسلامية المختلفة فى المغرب، ومصر، والحجاز، مما يؤكد روح الأخوة الإسلامية التى فرضها الإسلام.

وقد أشرنا إلى رحلة الحج الشهيرة التى كان على رأسها منسى موسى، سلطان مالى (٧٢٤هـ - ١٣٢٣م).

٥- الطرق الصوفية:

انتشرت الطرق الصوفية على الأخص القادرية، والتيجانية فى غرب أفريقيا، ولعب أتباع هذه الطرق دوراً هاماً فى نشر الإسلام فى غرب القارة، فقد أقاموا الزوايا للعبادة، ولإيواء الوافدين المحتاجين للمأوى والطعام.

وقد انتشرت **القادرية** بالذات فى السودان الغربى، وانتشر أتباعها من الفقهاء والمريدين من السنغال إلى مصب النيجر.

أما **التيجانية** فقد انتشرت على وجه الخصوص حين قام على بن عيسى (١٨٤٤م) زعيم زاوية تماسين (Temasin) بجهد ضخم لنشرها خاصة بين رجال القوافل والتجار، فانتشر أتباع هذه الطريقة فى حوض السنغال، وفى تنبكتو، وسيجو، وأسسوا زوايا لهم فى كانوا، وبرنو، ووادای، وشنقيط، واستمرت الطريقة التيجانية فى النمو والازدهار، وزاد أتباعها حتى أصبحت الطريقة السائدة فى غرب أفريقيا[1].

---

(١) انظر: أبو العباس أحمد العياشي: كشف الحجاب علي من تلقي مع التيجانى من الأصحاب (فاس ١٣٢٥هـ) (كذلك جواهر المعانى، وبلوغ الأمانى فى مدفي الشيخ التيجانى، المعروف بالكناشة (القاهرة ١٣٤٥هـ).

وقد لعبت الطرق الصوفية دوراً هامًا فى مقاومة الاستعمار الأوربى حين دهم المستعمرون غرب أفريقيا ونشبوا أظفارهم فى أقطارها المختلفة .

٦- توافد العلماء ورجال الدين لغرب أفريقيا :

وفد على غرب أفريقيا عدد كبير من العلماء، ورجال الدين من مختلف الأقطار الإسلامية للتدريس فى مدارس ومساجد تنبكتو، وجنى، ومالى وغيرها من حواضر غرب أفريقيا.

كما توافد الطلاب من أبناء السودان الغربى إلى معاهد فاس وغيرها من مدن المغرب، كذلك الأزهر الشريف والقيروان، وتلمسان[١].

وقد تشبه كثيرون من حكام غرب أفريقيا المسلمين بالحكام المسلمين فى باقى جهات العالم العربى، فأجزلوا العطاء لرجال العلم والأدب والدين الوافدين من المغرب وغيره من الأقطار الإسلامية للإسهام فى النهضة الدينية والثقافية في هذه البلاد، كما استقدموا المهندسين المعماريين من فاس وغيرها لبناء القصور والمساجد والمدارس.

ويشير ابن بطوطة إلى أن عدداً من رجال العلم من مختلف الأقطار العربية كان يقيم بمدينة مالى، ومن طريف ما ذكره أنه أثناء إقامته بهذه المدنية (مدينة مالى) أصيب بمرض فى معدته نتيجة أكله عصيدة مصنوعة من شيء يشبه القلقاس، ولم يسعفه إلا طبيب مصرى كان مقيماً بها قدم له دواءً مسهلاً اسمه بيدر[٢].

وقد اشتهر عن السلطان أسيكا محمد سلطان مالى (١٤٩٣-١٥٢٨م) حبه للعلم والعلماء، وأنه استقدم الكثيرين منهم، وأغدق عليهم المال والهبات، وأقام كثيرون منهم فى غاؤ، وجينيه، وتنبكتو.

وحين أدى أسكيا محمد فريضة الحج كان بصحبته المؤرخ (محمد كعت) وقد مر بمصر، وتعرف على العالم المصرى جلال الدين السيوطى، وكان من رجال العلم فى أيامه العالم الفقيه عبد الكريم بن محمد المغيلى التلمسانى الذى عاش فترة غير قصيرة فى تنبكتو، أهم المراكز الإسلامية فى سنغاى.

---

(١) عبد الرحمن زكى: الإسلام والمسلمون فى غرب أفريقيا (١٩٦٥م) ص ١٤٦ .
(٢) ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي: تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (بولاق ١٩٣٢م) جـ٤ ص ٣٩٧ .

وقد ازدهرت تجارة الكتب فى تنبكتو، وقد أشار بعض الرحالة العرب إلى وجود العديد من المخطوطات النادرة ببعض مكتباتها، كما وجد فيها نساخ تخصصوا فى نسخ هذه الأصول، هذا بالإضافة إلى خزانة الكتب التى كان يستعين بها أهل العلم والأدب فى بحوثهم(١).

٧- قيام الحركات الإصلاحية :

وقد أشرنا إلى بعض هذه الحركات التى كان على رأسها زعماء سعوا لنشر الإسلام فى هذه المناطق، وتخليصه من الشوائب التى علقت به.

٨ - عوامل سيكولوجية (نفسية) :

لقد وجد الأفارقة فى الإسلام السماحة، وفى بساطته ما يلائم مجتمعاتهم، ويحل كل مشاكلهم، والعبادة فى الإسلام بسيطة غير معقدة، والإسلام ملائم لحياة البدوى فى الصحراء، كما يلائم حياة الحضرى فى المدينة، وليس له نظام كهنوتى معقد، ولذا وجد البدو فيه ضالتهم المفقودة.

كما أن ما نادى به الإسلام من إخاء ومساواة بين المسلمين، وما سنه للحياة الدنيا، وما وعد به فى الحياة الأخرى، لقى صدى لدى الأفريقين، وكثير من المبادئ التى نادى بها الإسلام مثل الصدقة، والزكاة، والصلاة، والصوم لم تكن غريبة كل الغرابة عن المجتمع الأفريقى، فقد كانت هناك جذور لها فى التقاليد والعادات القبلية يمكن أن تتطور لتساير هذه الفروض الإسلامية(٢).

سادساً : تعرض دول غرب أفريقيا للغزو الاستعمارى الأوربى

بدأت البرتغال صفحة الاستعمار فى أفريقيا باستيلائها على ميناء (سبته) المغربى فى عام ١٤١٥هـ، ومنذ ذلك التاريخ حاولت البرتغال وغيرها من الدول الأوربية الاستعمارية اتخاذ قواعد لها على الشاطئ الغربى للقارة، ثم محاولة التوغل للداخل، وبعد كشف طريق رأس الرجاء الصالح والوصول إلى شرق القارة، تعرضت الإمارات العربية بشرق القارة لمحاولات البرتغال الاستعمارية، فاستولوا على ما

---

(١) نعيم قداح: أفريقيا الغربية فى ظل الإسلام (دمشق ١٩٦٠م) ص ٧١ .

(٢) Trimingham, S: Islamin, West Africa (1964) p. 25 .

استطاعوا الاستيلاء عليه، وخربوا ما لم يستطيعوا إخضاعه كما شرحنا فى الفصل الأول من هذا الكتاب.

أما فيما يتعلق بغرب أفريقيا، فقد كانت فرنسا بالذات أكثر الدول نشاطاً فى هذه المنطقة من القارة، وقد بدأ هذا النشاط الفرنسي برحلات من الفرنسيين وصلت إلى نهر السنغال بقصد تأسيس محطات تجارية فى هذه المنطقة، ومن أهم ما كانت تتجر به هذه المحطات الرقيق[١].

على أن توسع فرنسا لمسافات كبيرة فى الداخل لم يبدأ إلا فى القرن التاسع عشر، حين شعرت فرنسا بعد الحروب النابليونية أنها فقدت هيبتها الدولية، فأخذت الملكية العائدة إلى فرنسا تتوسع فى السنغال.

ولما تولى نابليون الثالث – كان يحلم بأفكار عمه الإمبراطور الأكبر الاستعمارية، فأطلق العنان للرواد الفاتحين فتحولت السنغال إلى مستعمرة حقيقية.

كما مدت فرنسا نفوذها فى غرب القارة على مساحات واسعة، فكونت ما عُرف بأفريقيا الغربية الفرنسية (Afrique Occidental Fancaise A. O. F.) وهى تضم سبع مستعمرات (السنغال، وغينيا، والسودان الغربى، وساحل العاج، وفولتا العليا، وداهومى، والنيجر).

وقد واجه الفرنسيون فى محاولاتهم لبسط نفوذهم على هذه الجهات شعوباً لها حضارتها ونظمها، وتقاليدها، وتعاليمها، ودياناتها، وكان الإسلام – كما شرحنا من قبل– قد انتشر فى هذه الجهات وأثر فى حياة سكانها ومعتقداتهم.

ففى تقدمهم من الغرب صوب نهر النيجر اصطدم الفرنسيون بزعيم قبائل التكولور (أحمدو شيخو)، كما اصطدموا بزعيم الماندجو (ساموري)[٢].

---

(١) من أوائل الشركات التجارية الفرنسية فى غرب القارة – شركة السنغال الملكية (Royal Sengal Company) وقد برز نشاطها بالذات فى غرب القارة عام ١٦٩٧م فى عهد مديرها أندريه دى بروى (Andre De Brue).

(٢) للتفاصيل عن جهاد سامورى ضد الفرنسيين يرجع إلي:
نصر رشوان سامورى فى غرب أفريقيا ١٨٧٢ – ١٨٨٩م (رسالة دكتوراه غير منشورة – معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة ١٩٧٩م – بإشراف د. شوقى الجمل).

واستطاع الفرنسيون أن يحولوا دون تكتل القوتين ضدهم، وتقدمت القوات الفرنسية بعد ذلك على طول نهر النيجر، فاستولت على سيجو، ثم جنى، واتجهوا صوب تنبكتو فى عام ١٨٩٣م وحاصروها، وقد تصدت قبائل الطوارق للفرنسيين، وكبدتهم خسائر فادحة، لكن سقطت المدينة فى أيديهم فى عام ١٨٩٤م، وفى عام ١٨٩٨م وقع الزعيمان المسلمان أحمدو شيخو، **وساموري** فى قبضة الجيوش الفرنسية، ونفيا إلى جابون، وهكذا فتح الطريق أمام الفرنسيين لمصب نهر النيجر.

وحين تقدمت القوات الفرنسية شرقاً صوب بحيرة تشاد اصطدم الفرنسيون فى تقدمهم صوب السودان بقوات زعيم أفريقى آخر هو (**رابح فضل الله**)، وكان فى الأصل من قواد الزبير باشا رحمت الزعيم السودانى، وعندما استسلم سليمان بن الزبير، بعد سفر الزبير إلى القاهرة، لقوات رومولو جيسى (Romolo Gessi) التى كان قد أرسلها ضده غوردون باشا حكمدار السودان فى ذلك الوقت، رفض رابح فكرة التسليم لجيسى، وتقدم غرباً مع أتباعه فى عام ١٨٧٩م، واحتل عدة مقاطعات من دارفور، ثم اتجه نحو باجرمى، وأخضع سلطنة برنو لنفوذه، وكون مملكة قوية واتخذ مدينة (دكوه) جنوب بحيرة تشاد عاصمة له[١].

وكان طبيعياً أن تصطدم القوات الفرنسية الزاحفة شرقاً مع هذه القوة السودانية القوية، وقد استطاع رابح أن يوقع الهزيمة بالفرنسيين فى أكثر من معركة، لكن انتهى الأمر بإرسال عدة حملات فرنسية من الجزائر، والكنغو الفرنسى وغيرهما، استطاعت أن توقع الهزيمة بقوات رابح بالقرب من بحيرة تشاد، وقتل رابح فى المعركة، كما قتل فى نفس المعركة القائد الفرنسى لامى (Lamey).

وظلت القوات الفرنسية فى باجرمى بعد ذلك تُحارب أولاد رابح وأتباعه حتى عام ١٩٠٢م حين نجح الفرنسيون فى أن يسيطروا على المناطق المجاورة لبورنو.

على أن فرنسا لم تكن الدولة الأوربية الوحيدة التى عمدت لمد نفوذها لغرب

---

(٢) للمزيد من التفاصيل عن حركة رابح فضل الله يرجع إلي:
حسن منيسى: رابح فضل الله ودوره فى مقاومة الاستعمار.
(رسالة ماجستير: من معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة ١٩٩٢م بإشراف د. شوقى الجمل).

أفريقيا، فقد نجحت إنجلترا أيضًا فى مد نفوذها الاستعمارى إلى غمبيا، وسيراليون، وساحل الذهب (غانه)، ونيجيريا.

ولقيت إنجلترا مقاومة عنيفة من القبائل الصحراوية، ومن المسلمين خاصة فى كانوا، وسوكتو، لكنها استطاعت إخضاع القبائل الثائرة، وفى أول يناير ١٩٧٤م أصبحت نيجيريا محمية بريطانية واحدة، وأصبح فردريك لوجارد (Sir Fredirrick Lugard) حاكماً عاماً لها(١).

هكذا وقفت الشخصيات الوطنية والإسلامية فى غرب القارة فى وجه المستعمرين الأوربيين، وإن كانت هذه الحركات الوطنية لم تسطع أن تحول دون سقوط هذه البلاد فى غرب القارة – فى يد المستعمر الأوربى– لكنها بلا شك أعطت مثلاً للتضحية والفداء فى سبيل الوطن، وظل الأفارقة يترقبون الفرصة لمعاودة الكفاح ضد المستعمر، حتى نجحت الحركات الوطنية فى هذه البلاد فى أن تحقق أهدافها فى أعقاب الحرب العظمى الثانية، وكان عام ١٩٦٠م هو عام أفريقيا بحق، إذا استقلت فيه عدة دول فى غرب القارة وفى شرقها ووسطها، واضطر المستعمر أن يحمل عصاه عن هذه البلاد ويرحل.

* * *

---

(١) لمزيد من التفاصيل يرجع إلي:
Burns, Alan: History of Nigeria (London 1955).

الفصل الخامس

أوضاع الإسلام والمسلمين اليوم في بعض دول غرب أفريقيا

المحتويات:

أولا : الإسلام والمسلمون فى السنغال

ثانيا: الإسلام والمسلمون فى تشاد

ثالثا: الإسلام والمسلمون فى مالى

رابعا : الإسلام والمسلمون فى النيجر

خامسا : الإسلام والمسلمون فى نيجيريا

سادسا : الإسلام والمسلمون فى غينيا

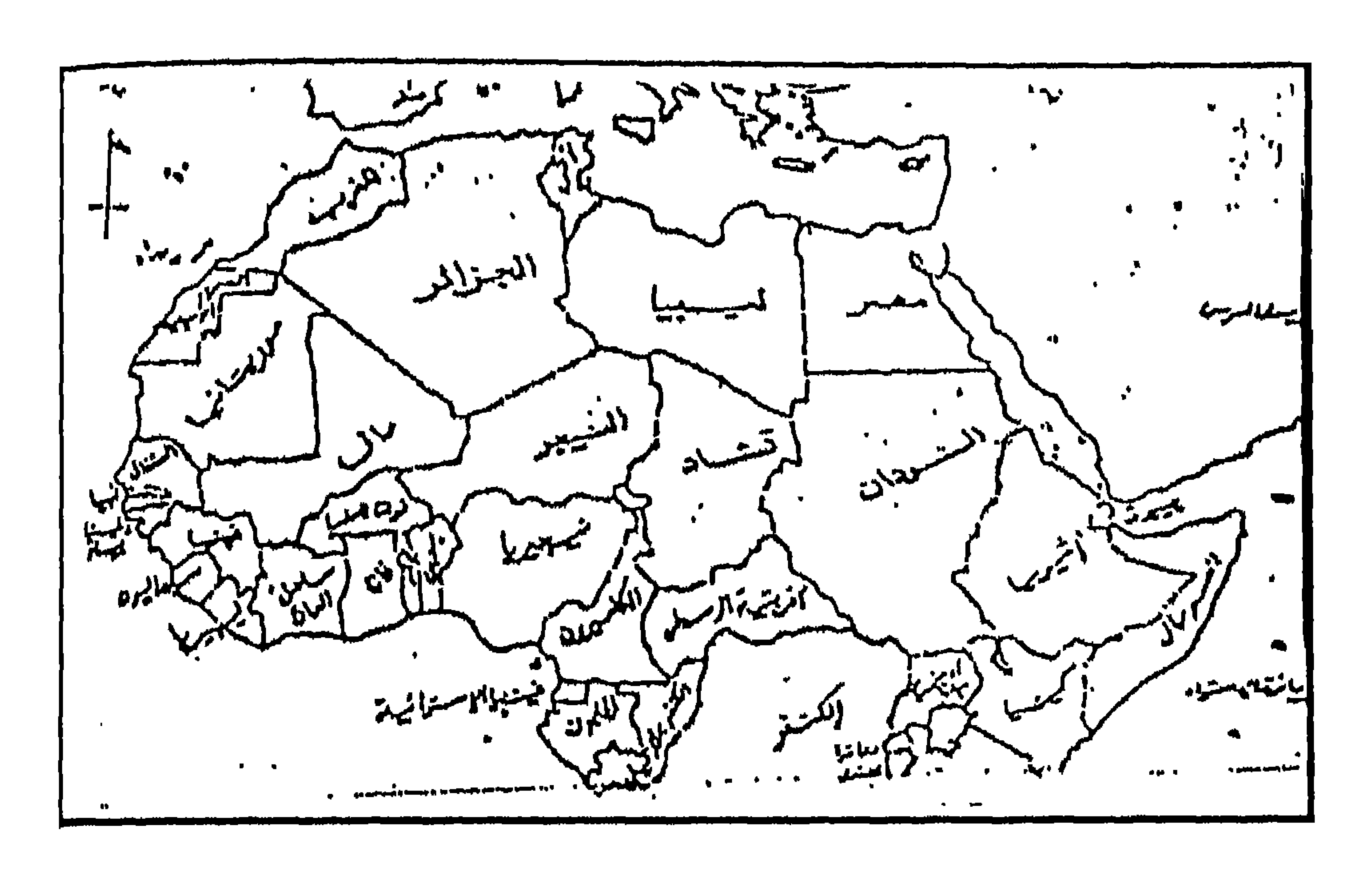
انتشر الإسلام كما رأينا من شمال أفريقيا إلى غربها، وساعدت عدة عوامل على نشر الإسلام على نطاق واسع فى غرب القارة.

وقامت فى غرب القارة عدة ممالك وسلطنات إسلامية قوية كان لها دورها الهام وخصائصها ونشاطها.

لكن كانت غرب القارة بالذات من المناطق التى تعرضت قبل غيرها لموجة الاستعمار الأوربى الضارية، وتصدى المسلمون فى غرب القارة للمستعمرين الأوربيين، لكن انتهى الأمر بتقسيم المنطقة بين الدول الاستعمارية.

وقد تخلصت منطقة غرب أفريقيا كغيرها من مناطق القارة من قبضة الاستعمار، لكن بقيت آثار المستعمرين متمثلة فى التفتيت الذى تعانى منه المنطقة متمثلاً فى تعدد الدول القائمة بحدودها التى رسمها المستعمرون.

وسنحاول دراسة أوضاع الإسلام والمسلمين فى بعض هذه الدول .



شكل (٨) : الإسلام والمسلمون فى غرب أفريقيا

أولاً: الإسلام والمسلمون فى السنغال

السنغال جمهورية فى غرب القارة الإفريقية، تحدها موريتانيا شمالاً، ومالى شرقاً، وغينيا، وغينيا بيساو جنوباً، والمحيط الأطلنطى غرباً(١).

وكانت السنغال مستعمرة فرنسية، لكنها حصلت على الحكم الذاتى فى نطاق المجموعة الفرنسية فى عام ١٩٥٨م.

وفى عام ١٩٥٩م تكون (اتحاد من مالى والسنغال)، لكن تخلت السنغال عن الاتحاد، وأعلنت نفسها جمهورية فى ٢٠ أغسطس ١٩٦٠م، وكان ليو بولد سنجور أول رئيس لها.

ويبلغ عدد سكان السنغال حوالى ١٠ مليون نسمة (عام ١٩٩٩م)، وتتعدد القبائل فى السنغال، فهناك الولوف Wolof، والسرير Serer، والفولانى Fulani، وألما، والديولا Dula، والتوكولور.

ويدين ٩٢٪ من سكان السنغال بالإسلام، وقد انتشر الإسلام فى هذه المنطقة فى وقت مبكر، ومن أبرز الفترات فى تاريخ هذه البلاد حين أنشأ (عبدالله بن ياسين) رباطاً له ولأتباعه من قبائل لمتونة الصنهاجية فى جزيرة السنغال، ونجح بعد ذلك فى الزحف على المغرب فى عام ٤٤٧هـ، فدان لهم جنوب المغرب، وواصلوا مسيرتهم بعد ذلك بقيادة يوسف بن تاشفين.

وفى عام ٤٦٢هـ / ١٠٦٩م أسس يوسف بن تاشفين مدينة (مراكش)، واستولى بعد ذلك على مدينة فاس، واستولى على طنجة سنة ٤٧٠هـ، واتجه بعد ذلك للمغرب الأوسط، فسقطت فى يده تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، ومدن تنيس، ووهران، وجيال، وتشريش.

واستنجد به أمراء الأندلس المسلمون الذين كانوا يواجهون جيوش ألفونس السادس ملك قشتالة، فأسرع لنجدتهم، وانتصر المرابطون على جيش الملك الأسبانى، فى واقعة الزلاقة فى ١٥ رجب ٤٩٧هـ.

وعاد يوسف بن تاشفين إلى بلاد الأندلس مرة أخرى لتخليص المسلمين من خطر الانقسام الداخلى وخطر العدو الأجنبى.

---

(١) انظر الخريطة.

ونجح يوسف بن تاشفين فى أن يضم بلاد الأندلس إلى الإمبراطورية المغربية المرابطية التى صارت تجمع بين المغربيين الأقصى والأوسط وبلاد الأندلس، وتمتد إلى السودان جنوباً- لكن انتهى أمر دولة المرابطين فى المغرب بسقوط عاصمتهم مراكش فى يد الموحدين فى عام ٥٤١هـ / ١١٤٧م(١).

هكذا لعبت (دولة المرابطين) التى قامت فى البداية فى جزيرة بنهر السنغال، هذا الدور الهام الخطير فى تاريخ الإسلام.

ولم يكن غريباً إذاً حين مد المستعمرون الفرنسيون نفوذهم إلى السنغال أن يجدوا مقاومة غنيفة من رجال الدين الإسلامى، وقد برزت شخصيات إسلامية فى هذا المجال، مجال مقاومة الاستعمار، من أمثال الشيخ عمر الفوتى (١٧٩٥- ١٨٦٤م)، والشيخ محمد بمبا (١٨٥٣ - ١٩٢٧م).

وقد اشتهر الشيخ محمد بمبا بحركته الصوفية التى عُرفت (بالحركة المريدية)، والحركة المريدية فضلاً عن كونها حركة دينية، فإنها كانت تدعو إلى مقاومة المستعمرين، مما دفع المستعمرين لاعتقاله ونفيه إلى الجابون فى أغسطس ١٨٩٥م، وظل منفياً حتى عام ١٩٠٢م، ثم نفى إلى موريتانيا فى عام ١٩٠٣م، ولم يعد للسنغال إلا فى عام ١٩٠٧م، حيث فرضت الإدارة الفرنسية عليه رقابة صارمة حتى وفاته فى عام ١٩٢٧م.

وهذا ونشير إلى وجود عدد كبير من مراكز التعليم الإسلامى بالسنغال، ومن أهم هذه المراكز:

- جامعة ككه الإسلامية، ويرجع تأسيسها لأوائل القرن الثامن عشر الميلادى.
- جامعة بير الإسلامية.
- معهد الدروس الإسلامية: أسسه الشيخ أحمد إمباكى.
- معهد الأزهر للدراسات الإسلامية.
- معهد تفسير أحمد به : وهو تابع لاتحاد الجمعيات الإسلامية بالسنغال.

---

(١) للدراسة التفصيلية للصراع بين المرابطين والموحدين. انظر: عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس (الفصلين الثالث والرابع) (١٩٦٤م).

- معهد الشيخ عبد الله إيباس.

كما نشير إلى الجهود التى تبذلها حاليًا عدة جمعيات إسلامية فى المجال الدينى والتعليمى، مثل جمعية النهضة الإسلامية، وجماعة عباد الرحمن، وحركة الفلاح للثقافة الإسلامية السلفية، وكلها حركات حديثة تهدف لنشر الثقافة الإسلامية فى السنغال.

* * *

ثانياً : الإسلام والمسلمون فى تشاد

تشاد حالياً دولة داخلية فى قلب أفريقيا، تحدها ليبيا فى الشمال، والسودان شرقاً، وجمهورية أفريقية الوسطى جنوباً، والكاميرون ونيجيريا غرباً[١].

وقد دخل الإسلام فى تشاد على يد التجار، وكذلك بفضل جهود الدعاة والمعلمين.

وقبل الغزو الفرنسى قامت ممالك فى المنطقة من أهمها مملكة كانم، ومملكة واداى، ومملكة باقرمى، وقد انتشر الإسلام فى هذه الممالك.

وحين بدأت فرنسا فى العمل لبسط نفوذها على المنطقة فى أواخر القرن التاسع عشر اصطدمت بقوات (رابح فضل الله) الذى كان يعمل ضمن قوات الزبير رحمت فى السودان مع سليمان بن الزبير- لكن انفصل هو وبعض أتباعه عن سليمان بن الزبير، واتجه غرباً ودارات معارك عدة بين القوات الفرنسية، وقوات رابح فضل الله.

وكان رابح قد نجح فى أن يُخضع لسلطانه عدة ممالك وأقاليم- فقد خضعت له مملكة برنو، وداركونى، ودار رونجا، ودار بنده، وإقليم شارى، ومملكة الباجرمى، وسلطنة زندر، وإمارة أدماوا، وإمارة ماندره، واتخذ رابح مدينة (دكوه) الواقعة على الضفة الغربية لنهر شارى جنوب بحيرة تشاد عاصمة له وحصنها.

وحاول رابح تطبيق الشريعة الإسلامية فى دولته، واستعان فى ذلك ببعض الفقهاء، وقد أصبحت مدينة (دكوه) عاصمة دولة رابح، من أهم مراكز الإشعاع الحضارى فى غرب أفريقيا.

وكانت لرابح اتصالات مع محمد أحمد المهدى فى السودان، ومع خليفته التعايشى، كما كانت له اتصالات بالسنوسية فى ليبيا.

ولما كانت فرنسا تعمل بنشاط لبسط نفوذها على أكبر مساحة ممكنة فى غرب أفريقيا، فقد رأت فى رابح ودولته عائقًا يقف فى وجه توسعها الاستعمارى فى غرب القارة، وقد اتهمت فرنسا رابح بالتحريض على قتل المستكشف الفرنسى بول كامبيل (Paul Campel) الذى قُتل فى دار بنده.

---

(١) انظر الخريطة.

وقد أرسلت فرنسا عدة حملات لتطوق قوات رابح فضل الله والقضاء عليها، منها حملة تحت قيادة الضابط الفرنسى جوستان فوليه (G. Volet)، وحملة بقيادة إميل جينتيل (Emile Gentil)، وحملة ثالثة بقيادة القائد الفرنسى لامى (Lamy).

وقد نجحت قوات لامى فى أبريل ١٩٠٠م فى أن توقع برابح، وأن تقتله، ونجحت فرنسا بعد ذلك فى ضم دولة رابح إلى إمبراطوريتها فى غرب أفريقيا(١).

على أن فرنسا وإن نجحت فى التغلب على القوى الإسلامية التى تصدت لها فى هذه المنطقة بغرب القارة، لكنها لم تنجح فى القضاء على الإسلام والثقافة الإسلامية التى كانت قد انتشرت فى هذه البلاد خاصة بين سكان الشمال فى تشاد.

وقد فشلت جهود المستعمر لعزل الشعب التشادى المسلم عن بقية العالم الإسلامى.

وفى ١١ أغسطس عام ١٩٦٠م حصلت تشاد على استقلالها، وبدأت تأخذ وضعها بين الدول الإسلامية فى القارة الأفريقية، فأخذت المدارس الإسلامية تنتشر، وكثرت الحلقات الدينية التى يعقدها العلماء والفقهاء، كما أُنشئت عدة جوامع ومساجد.

والمذهب الإسلامى السائد فى تشاد هو (المذهب المالكى).

وقد أسهمت الحكومة السعودية فى بناء الجامع الكبير (مسجد فيصل) فى أنجمينا، وقد أُلحق بالجامع معهد ومكتبة وقاعة محاضرات، وتطور المعهد ليصبح جامعة دينية افتتحت فى عام ١٩٩٢م.

وقد ساوى الدستور التشادى بين اللغتين الفرنسية والعربية، واعتبرهما اللغتين الرسميتين للدولة.

ويدرس بالأزهر الشريف عدد كبير من الطلبة التشاديين، كما يدرس عدد قليل فى الجامعات السعودية، وفى السودان، وفى تونس.

وقد أنشأت الدولة مجلسًا أعلى للشئون الإسلامية، وعينت مفتى للبلاد، كما عينت رؤساء للمساجد قدرت لهم رواتب، ويقدر عدد المسلمين فى تشاد بـ ٤٥٪ من السكان البالغ عددهم حوالى ٦ مليون نسمة (١٩٩٩م).

---

(١) للمزيد من التفاصيل يرجع إلي: سعد الدين الزبير: إمبراطورية رابح الزبير (القاهرة ١٩٥٣م).

ثالثاً: الإسلام والمسلمون فى جمهورية مالى

جمهورية مالى الحالية إحدى دول غرب إفريقية الداخلية، تحدها الجزائر شمالاً، والنيجر شرقاً، وبوركينا فاسو، وساحل العاج، وغينيا جنوباً، والسنغال وموريتانيا غرباً.

وتذكرنا جمهورية مالى الحالية بإمبراطورية مالى التى ازدهرت منذ القرن الثالث عشر، واشتهر من أباطرنها الإمبراطور منسا موسى (١٣٠٧ – ١٣٣٢م) صاحب رحلة الحج الشهيرة فى عام ١٣٢٤م، لكن وصلت الإمبراطورية إلى درجة كبيرة من الضعف منذ نهاية القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر الميلادى.

ويدين ٩٠ ٪ من سكان مالى البالغ عددهم حوالى عشرة مليون نسمة (١٩٩٩م) بالإسلام، وهم مسلمون سنيون.

وكثير من مدن مالى أقاليم كانت مركز إشعاع حضارى مثل تنبكتو، وجنى، وغاو، قبل عصر الاستعمار الأوربى.

وقد اختلفت الآراء حول دخول الإسلام إلى المنطقة وانتشاره فيها، فالبعض يرجع ذلك لنشاط المرابطين فى المنطقة، والبعض أرجعه لتاريخ سابق، فقد أرجع البعض ذلك إلى القرن التاسع الميلادى، حيث والى نشاط جماعات السونيتيك أو السراكولى والديولا، وإلى نشاط تجار المغرب بالذات الذين كانت لهم علاقات تجارية مع سكان الجنوب، فنشروا الإسلام بينهم، فاعتنقه الملوك، ثم عامة الشعب.

وقامت فى المنطقة دول إسلامية مثل دولة ماسينا الإسلامية، ودولة الفوتيين بقيادة عمر تال الفوتى أخذت على عاتقها مهمة نشر الإسلام فى المنطقة، وقد اقترن ذلك بنشاط الطرق الصوفية كالتيجانية والقادرية.

وقد ترتب على انتشار الإسلام فى مالى نشر تعاليم الإسلام مما أدى لتخلى السكان عن بعض العادات والتقاليد التى لا تتمشى مع تعاليم الإسلام ومعتقداته، كما انتشرت اللغة العربية.

وقد تم بناء عدد كبير من المدارس الإسلامية والمساجد خاصة فى المدن الهامة، مثل تنبكتو، وجنى، وبباني.

كما وفد على المنطقة عدد من علماء المسلمين من المشرق العربى والمغرب العربى، كما توافد على الأزهر الشريف والقيروان، والقرويين عدد من راغبى العلم من منطقة غرب أفريقيا.

ونجح الفرنسيون فى القرن التاسع عشر فى التوسع من دكار بالسنغال غرباً مما أدى إلى خلق ما يسمى بالسودان الفرنسى، لكن حصلت مالى فى عام ١٩٥٨م على الحكم الذاتى فى نطاق المجموعة الفرنسية، وفى عام ١٩٥٩م تم تشكيل اتحاد مالى والسنغال، لكن انفصلت مالى وأصبحت جمهورية مستقلة فى ٢٥ / ٩ / ١٩٩٦م وعاصمة مالى ـ باماكو.

وقد عمل الفرنسيون إلى نشر الثقافة الفرنسية، وجعلوا اللغة الفرنسية شرطاً للالتحاق بالوظائف، لكن رغم ذلك لم ينجح المستعمر فى صرف الوطنيين عن الاهتمام بالإسلام وتعاليمه وباللغة العربية لغة القرآن.

وعلى الرغم من أن دولة مالى بعد استقلالها فى ٢٢ سبتمبر ١٩٦٠م، اختارت العلمانية، فلم تعلن أن الإسلام دين الدولة، لكن لم ينقص ذلك من الدور الثقافى للإسلام، وبالرغم من أن اللغة الفرنسية لغة رسمية للدولة، إلا أن مكانة العربية والتعليم الإسلامى لم تتغير.

وقد بدأت تظهر مدارس عربية تهتم بالعلوم الإسلامية واللغة العربية، إلى جانب العلوم واللغة الفرنسية، واتجهت السلطات الرسمية أخيراً إلى تدعيم هذه المدارس العربية فى مختلف المراحل.

وقد افتتح قسم للغة العربية فى مدرسة المُعلمين فى باماكو لتأهيل المُعلمين اللازمين لتدريس اللغة العربية بالمدارس المختلفة.

وقد ظهرت فى مالى فى السنوات الأخيرة بعض الحركات كالوهابية، وحوكة الشيعة، وجمع أتباع كل فريق حولهم بعض الأتباع والمناصرين.

على أنه من الناحية الأخرى قامت فى مالى فى السنوات الأخيرة جميعات إسلامية تعمل بنشاط لنشر الوعى الإسلامى بين الشباب، كما تعددت الندوات التى تعقدها النخبة المثقفة من الشباب المالى لتوعية الماليين بتعاليم دينهم وواجبهم فى هذا الصدد.

رابعًا: الإسلام والمسلمون فى النيجر

جمهورية النيجر الحالية دولة حبيسة فى غرب أفريقيا، تحدها ليبيا والجزائر شمالاً، ونيجيريا وبنين جنوباً، وتشاد شرقاً، ومالى وبوركينا فاسو غرباً(١).

وكانت النيجر جزء من الإمبراطوريات القديمة التى نشأت فى غرب أفريقيا فى العصور الوسطى، لكنها خضعت للاستعمار الفرنسى، ونالت استقلالها الكامل فى عام ١٩٦٠م.

وعاصمة النيجر هى نيامى Niamey، ويبلغ عدد سكانها حوالى عشرة ملايين نسمة، ويدين حوالى ٠٪ من سكانها بالإسلام.

وكان الإسلام قد وصل إلى النيجر فى نهاية القرن السابع الميلادى، ولما ظهرت دولتا المرابطين ثم الموحدين كان للدولتين نشاط واضح فى نشر الإسلام فى منطقة النيجر.

وقد كان لقبائل الهوسا دور فى نشر الإسلام فى حوض نهر النيجر، ولما قامت دولة إسلامية قوية فى سوكتو فى شمال نيجيريا على يد عثمان دان فوديو ساهمت هذه الدولة فى نشر الإسلام فى حوض النيجر.

ومنذ بداية القرن التاسع عشر الميلادى أخذ الفرنسيون فى بسط نفوذهم على منطقة النيجر.

وقد واجهت فرنسا فى توسعها فى النيجر مقاومة عنيفة من المسلمين فى غرب أفريقيا، وظهر زعماء قادوا حركة الجهاد فى وجه التوسع الفرنسى، لكن نجحت فرنسا أخيراً فى بسط نفوذها على المنطقة.

وقد أنشأ المسلمون مدارس لتعليم أولادهم علوم الدين الإسلامى واللغة العربية، كما أُنشئت المساجد.

وبعد الاستقلال أنشئت فى النيجر بعض الجميعات والمنظمات الإسلامية التى تهتم بالدعوة الإسلامية وبناء المساجد والمدارس والمستشفيات والجمعيات الخيرية.

ودستور النيجر الذى وضع عام ١٩٩٦م يفصل الدين عن الدولة.

---

(١) انظر الخريطة.

خامساً : الإسلام والمسلمون فى نيجيريا

جمهورية نيجيريا الاتحادية الحالية تقع على ساحل غرب أفريقيا، تحدها الكاميرون شرقاً، وبنين غرباً، وجمهورية النيجر شمالاً، وساحل غينيا جنوباً[١].

والمنطقة تضم عدة شعوب، وقامت بها حضارات النوك Nok، والهوسا، والفولانى، واليوربا.

وتضم نيجيريا حوالى ٢٥٠ قبيلة أهمها الهوسا، والفولانى فى الشمال، واليوربا فى الجنوب الغربى، والأيبو فى الجنوب الشرقى.

ونيجيريا يبلغ عدد سكانها ما يقرب من ١٠٥ مليون نسمة (١٩٩٩م) يدين ٥٠٪ تقريباً منهم بالدين الإسلامى، ويتركز المسلمون فى شمال وجنوب غرب البلاد، لكن نسبة المسلمين فى جنوب شرق البلاد قليلة، والمسيحيون فى نيجيريا حوالى ١٠٪ من السكان.

عاصمة نيجيريا (أبوجا)، ومن مدنها الهامة لاجوس العاصمة القديمة، وإبادان، وكانو من المدن الرئيسية.

وقد وصل الإسلام المنطقة فى حدود القرن الحادى عشر، وانتشر بسرعة، وكان لقبائل الهوسا دور كبير فى نشر الإسلام فى المنطقة.

وفى أوائل القرن التاسع عشر قام عثمان بن فودى زعيم الفولانى بدور بارز فى المنطقة لنشر الإسلام بمبادئه السليمة.

وقد نجح الشيخ عثمان فى تأسيس إمبراطورية الفولانى التى اتخذت مدينة (سوكوتو) عاصمة لها، وحمل الشيخ لقب أمير المؤمنين ذلك اللقب الذى استمر مع الخلافة الفولانية حتى نهايتها فى عام ١٩٠٣م على يد لوجارد القائد البريطانى[٢].

وإلى الشرق من خلافة سوكوت، قامت سلطنة بورنو، وقد حاول عثمان بن فودى ضمها إلى خلافة سوكوتو، ولم يتمكن من ذلك، وقد سيطر عليها رابح فضل الله، وقامت بريطانيا بعد ذلك بضمها إلى مناطق نفوذها فى شمال نيجيريا.

---

(١) انظر الخريطة.

(٢) عن حياة عثمان بن فودى، وجهاده وتكوين دولته، انظر: عبد الله عبد الرازق إبراهيم: المسلمون والاستعمار الأوربى لأفريقيا (عالم المعرفة ١٩٨٩م) ص ٣٧ وما بعدها.

وهكذا قام التنافس بين الجماعات العرقية (الأيبو فى الإقليم الشرقى، والفولانى فى الإقليم الشمالى، واليوربا فى الإقليم الغربى، والجماعات الدينية).

ولعبت الأحزاب السياسية دوراً فى هذا الصراع- حزب المؤتمر الوطنى الجمهورى، والحزب الوطنى الديمقراطى الاجتماعى، وهما حزبان إسلاميان، وحزب الرابطة المسيحية النيجيرية.

على أن المعتدلين كانوا يرون أنه يمكن حل هذا الخلاف وإرضاء الطرفين، فإذا كان رئيس الجمهورية من المسلمين يمكن أن يُرشح لمنصب نائب الرئيس من المسيحيين.

وقد وجدت جماعات مثقفة دعت للحوار بين الأطراف المختلفة، فقد أنشأ مثلاً الروم الكاثوليك فى مدينة (كانو) معهداً لتشجيع مثل هذا الحوار، كما قام المجلس المسيحى النيجيرى بإنشاء (معهد الكنيسة والمجتمع) فى أبيدان لتشجيع الحوار الإسلامى المسيحى، كما صدرت مجلة باسم (مجلة الدراسات بين الأديان) لتحقيق هذا الهدف، ومع ذلك شهدت نيجيريا فى عام ١٩٨٢م أحداث عنف دينية فى كانو، وفى عام ١٩٨٧م أحداثاً مماثلة فى كادونا، كما حدثت مصادمات فى عام ١٩٨٨م فى جامعة أحمد بللو فى زاريا بشمال نيجيريا بين الطلاب المسلمين والمسيحيين.

وحدثت اضطرابات مماثلة فى عام ١٩٩٠م، ١٩٩١م، ١٩٩٢م، ١٩٩٤م، فى عدد من المدن النيجيرية.

وقد أرجع بعض الباحثين هذه الاضطرابات إلى أن المسلمين فى نيجيريا يعيشون فى إطار مجتمع لا تسود فيه الثقافة والنظم الإسلامية، فالدساتير النيجيرية تنص على حرية العقيدة وحرية الدين وحرية الشخص فى أن يغير دينه، وتشجع الاختلاط والتزاوج بين مختلف الأعراق والديانات، والشريعة الإسلامية غير مطبقة إلا فى الأحوال الشخصية للمسلمين.

* * *

سادساً : الإسلام والمسلمون فى غينيا

غينيا إحدى دول غرب أفريقية تحدها غينيا بيساو فى الشمال الغربى، والسنغال فى الشمال، ومالى فى الشمال الشرقى، وساحل العاج فى الجنوب الشرقى، وليبيريا وسيراليون فى الجنوب، والمحيط الأطلنطى فى الغرب.

وكانت مستعمرة فرنسية منذ عام ١٨٩٣م، وفى ٢ أكتوبر من عام ١٩٥٨م تم إعلان استقلال غينيا، فقد رفض الزعيم سيكوتورى عرض ديجول الانضمام إلى الجماعة الفرنسية.

ويبلغ عدد سكان غينيا حوالى ستة ملايين نسمة يدين ٥٪ منهم بالإسلام.

ويتكون الشعب الغينى من عدة قبائل من أهمها الفولانى، والمالنكا، والسوسو، وعاصمة غينيا كوناكرى.

ورغم أن الفرنسية هى اللغة الرسمية، ولكن عدداً غير قليل من الغنيين يعرف العربية، ويتحدث عدد كبير منهم بلغة الهوسا.

وقد دخل الإسلام غينيا مع غيرها من دول غرب أفريقيا على يد طائفة من التجار، كما كان للدعاة المتصوفين دور هام فى نشر الإسلام.

ومن أهم الطرق الصوفية التى انتشرت فى غينيا الطريقة القادرية، والطريقة التيجانية، كذلك لعب السنوسيون دوراً فى نشر الإسلام فى غرب أفريقيا عامة.

وبفضل الإسلام تخلصت غينيا من كثير من الرذائل التى كانت منتشرة فى المجتمع، مثل: وأد الأطفال أحياء، والأخذ بالثأر، وشرب الخمر، وغير ذلك من العادات المستهجنة.

وحمل الإسلام الحضارة إلى هذه البلاد ورفع من مستوى حياة الأفراد، وخلع على أتباعه العزة والكرامة واحترام الذات.

على أننا نشير إلى أنه رغم انتشار الإسلام فقد وجدت رواسب للعادات الوثنية والرواسب الجاهلية، فقد بقى الاعتقاد فى قدرة الكهنة الوثنيين على التحكم فى المطر، وتغيير بعض الظواهر الطبيعية، والاعتقاد فى السحر، وتعليق التمائم والأحجبة، والمبالغة فى تقديم الطعام على روح المتوفى، وما يفعله البعض فى أفراحهم وفى أحزانهم.

٣- الجامعات والمعاهد الإسلامية:

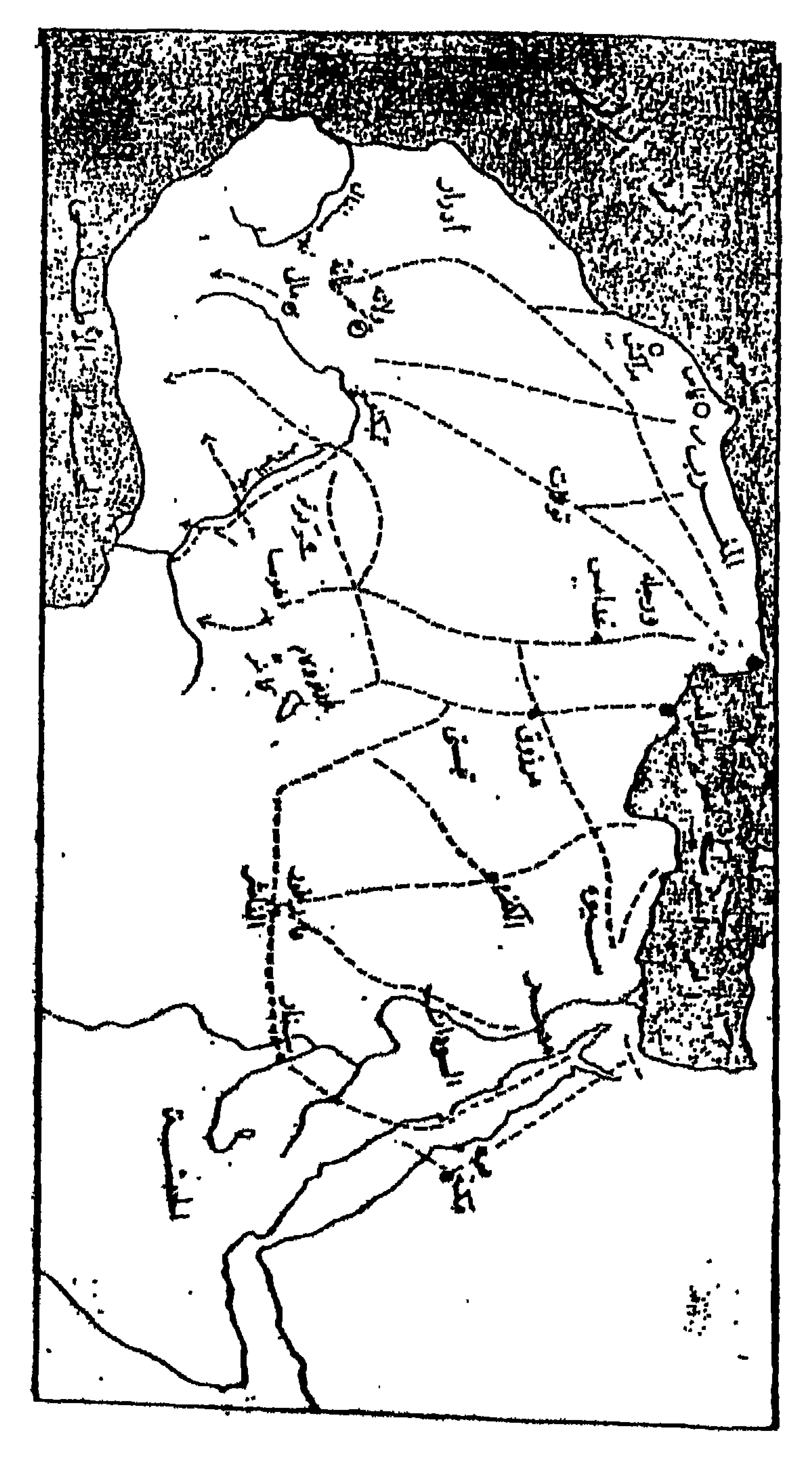
أنشأ صندوق التضامن الإسلامى التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامى جامعة إسلامية فى غينيا.

وهذه الجامعة مازالت تحت الإنشاء فلم يتقدم العمل فيها بعد.

ونشير إلى أن انتشار الإسلام فى هذه البلاد تبعه انتشار اللغة العربية (لغة القرآن).

وقد دخلت كلمات عربية عديدة فى اللغات المحلية، سواء فى لغة السوسو أو الفولانى أو المانئكا.

* * *



شكل (٩) : سبل الاتصال بين شمال إفريقية ودول غربي إفريقية

ترتب على انتشار الإسلام فى أفريقيا انتشار الحضارة الإسلامية بمظاهرها المختلفة والقضاء على كثير من العادات التى تتنافى مع الإسلام ومعتقداته ومبادئه وذلك فى جميع أنحاء القارة.

أولاً: الدور الحضارى فى شرق أفريقيا

انتشر الإسلام – كما رأينا– فى شرق القارة الأفريقية، وفى مصر، وشمال أفريقيا، وامتد التيار الإسلامى فى بلاد النوبة والسودان، وإلى مناطق من وسط القارة وجنوبها، كما امتد إلى غرب القارة، بحيث أصبح أكثر من نصف سكان القارة يدينون بالإسلام.

وترتبت على انتشار الإسلام فى هذه الجهات نتائج عميقة فى المجتمعات التى انتشر فيها، وفى سلوك الناس ومعاملاتهم، وفى ثقافتهم وعلاقاتهم بعضهم بالبعض الآخر، وقامت فى هذه المناطق التى استوطنها المسلمون وحدات سياسية وحكومات لها أنظمتها، وحاولت هذه الحكومات أن تطبق مبادئ الشريعة الإسلامية، ولما حدث انحراف فى بعض هذه الحكومات والشعوب عن التعاليم الأساسية للإسلام، ظهر مصلحون حاولوا إصلاح حال المسلمين ومحاربة البدع بالطرق السلمية حيناً، والحرب والقتال حيناً آخر.

وقد نوه الرحالة العرب والأوربيون أيضاً الذين زاروا هذه البلاد التى انتشر فيها الإسلام بالدور الذى لعبه المسلمون فى حياة هذه المجتمعات التى استقروا فيها.

ففى شرق القارة حيث قامت الإمارات العربية على الساحل تحدث **ابن بطوطة**، الذى قام بثلاث رحلات هامة فى الفترة (١٣٢٥–١٣٥٤هـ)[1]، بعد رحلته الثانية التى زار فيها سواكن، وزيلع، ومقديشو، وكلوه، وغيرها من بلاد شرق أفريقيا، عما رآه من مظاهر الحضارة فى هذه الجهات التى زارها.

وأشار إلى أن المسلمين فى هذه الجهات لم ينسوا تقاليدهم العربية وما اعتادوا عليه من إكرام الضيف، وذكر أنه عند قدوم أية سفينة إلى الشاطئ يهرع إليها رجال القبائل حيث يتقابلون مع القادمين الغرباء، ويستقبلونهم فى منازلهم، فكبار القوم ورجال الدين وغيرهم ممن لهم مكانة فى مجتمعاتهم ينزلون فى ضيافة قاضى المدينة أو غيره كل حسب مكانته.

---

(١) انظر كتابه: «تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» (طبعة بولاق ١٩٣٤م).

السواحيلية، وهى خليط من اللغات الأفريقية التى كانت سائدة بين الأفارقة وبين اللغة العربية التى أصبحت معرفتها ضرورية للذين اعتنقوا الإسلام من سكان السواحل وما وراءها باعتبارها لغة القرآن والصلاة.

واللغة السواحيلية المنتشرة بين سكان الساحل الشرقى الأفريقى - هى نتيجة التفاعل بين اللغة العربية واللغة الأفريقية التى كانت سائدة بهذه السواحل[١].

ثالثاً: الحضارة الإسلامية فى مصر وسودان وادى النيل

أما عن مصر- فبعد الفتح الإسلامى فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب - تدفقت القبائل العربية عليها، واختلطوا بالمصريين، وقد دخل عدد كبير منهم فى الإسلام، وكانت لسياسة التسامح ومبادئ المساواة وغيرها من المبادئ التى نادى بها الإسلام- أثرها فى انتشار الإسلام بين قبط مصر، وقد أتى لمصر عدد من الصحابة حيث بنوا بيوتهم بمدينة الفسطاط التى أسسها عمرو بن العاص، والتى ظلت قاعدة الديار المصرية، ومقراً للإمارة، حيث بُنيت العسكر، وقد انتشرت اللغة العربية فى مصر- حيث أصبحت لغة العامة والخاصة حتى أن الكثير من الطقوس الدينية فى الكنائس القبطية فى مصر أصبحت تؤدى باللغة العربية.

ولما تم بناء **الأزهر** فى ١٧ رمضان سنة ٣٦١هـ (٢٢ يونيه سنة ٩٧٢م)، وبدأ نشاطه، أصبح منارة ثقافية تقوم بنصيب كبير فى الحركة العلمية، فقد استجلب الفاطميون للأزهر خيرة فقهاء وعلماء الشيعة وقضاتها، ونقلوا إليه كثيراً من الكتب من مختلف الخزائن، وشجعوا طلاب العلم من البلاد الإسلامية الأخرى للالتحاق به[٢].

وقد تطور نظام التعليم فى الأزهر وصدرت عدة قوانين للإصلاح، وكثر عدد الوافدين للأزهر من البلدان العربية والأقطار الأفريقية الأخرى، خاصة بعد إنشاء مدينة البعوث الإسلامية، كما اهتم الأزهر بإرسال مبعوثين من رجاله للدول الأفريقية

---

(١) للمزيد من المعلومات عن الثقافة العربية يرجع إلي:
راجية محمد عفت: الثقافة العربية فى شرق أفريقيا، رسالة دكتوراه غير منشورة من معهد البحوث والدراسات الأفريقية (بجامعة القاهرة، ١٩٨٠م).

(٢) للمزيد من التفاصيل عن دور الأزهر فى أفريقيا يرجع إلي:
- شوقى الجمل: الأزهر ودوره السياسى والحضارى فى أفريقيا ١٩٨٨م .
- عبد العزيز محمد الشناوى: الأزهر جامعاً وجامعة جزءان (١٩٨٠م - ١٩٨٤م).

بالإضافة إلى دعم المراكز الإسلامية فى هذه الدول[١].

وانتشرت الثقافة والحضارة العربية فى بلاد النوبة مع انتشار الدين الإسلامى خاصة بعد أن قضى العرب على مملكتى النوبة المسيحيتين كما أشرنا من قبل.

وبانتشار العرب فى السودان- انتشرت اللغة العربية، والثقافة العربية الإسلامية- ولسنا بحاجة لأن نشرح أهمية هذا التطور الخطير فى تاريخ السودان- أن أصبح السودان أمة عربية إسلامية.

ومنذ أوائل القرن الرابع عشر بدأ بعض العلماء المسلمين يفدون للسودان، ويستقرون فيه ويعمرون المساجد، ويعلمون أهله مختلف علوم اللغة والدين.

نذكر من هؤلاء (غلام الله بن عابد اليمنى) الذى رحل إلى دنقلة فى النصف الأول من القرن الرابع عشر، وكان يعلم أولاد المسلمين القرآن والعلوم الأخرى.

وهكذا بدأت تظهر طبقة من الفقهاء ورجال الدين تعمل على بذر بذور الثقافة الإسلامية، والتقاليد الإسلامية بين سكان شمال السودان، وقد انتشرت مراكز تعليم القرآن واللغة والحديث خاصة فى المنطقة الممتدة من دنقله شمالاً إلى أريجى فى الجنوب، وقد كان سكان الحلة التى بها المسجد يستضيفون الطلبة الغرباء فى بيوتهم ليقيموا فيها طاعمين كاسين[١].

ولما قدمت أسماء شخصيات - غير غلام الله بن عابد اليمنى الذى أشرنا إليه- قامت بتعمير المساجد، وقراءة القرآن، ونشر الثقافة الإسلامية فى السودان.

نذكر من هؤلاء (أولاد عون الله السبعة) - والشيخ البندارى، والشيخ حمد ود رزوق، والشيخ إدريس الأرباب[٢].

كما ظهر فى منطقة النيل الأبيض الشيخ محمود العركى[٣] الذى جاء من مصر ونشر تعاليم الإسلام فى سنار، وأنشأ سبع عشرة مدرسة فى المنطقة بين الحسانية

---

(١) حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية فى أفريقية، مرجع سابق، ص ٣٤١ .

(٢) للمزيد يرجع إلي:
ود. ضيف الله: طبقات، ود. ضيف الله فى أولياء وصالحين وعلماء وشعراء السودان.

(٣) العركى: أصله عراقى، وقد تعلم فى الأزهر الشريف فى الفترة ما بين ٩٣٥، ٩٤٠هـ، وهاجر للسودان حيث نشر الثقافة الإسلامية فى نطاق النيل الأبيض.

والكوة. ويمثل النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) ازدهار الثقافة الإسلامية فى السودان – إذ أخذ حملة مشاعل العلم والدين يفدون للسودان من مصر ومن غيرها من الأقطار العربية ليقوموا بواجبهم نحو تثقيف السودانيين وتوجيههم إلى تعاليم دينهم.

وقد انتشر **المذهب المالكى** فى السودان على يد إبراهيم، ومحمد القناوى المصرى– وهما ممن تعلموا فى الأزهر، كما وفد بعد ذلك شيوخ نشروا المذهب الشافعى، مثل الشيخ محمد بن على القرم.

كما وفد للسودان بعض دعاة التصوف، وقد انتشرت المساجد والمعاهد العلمية فى مختلف أرجاء السودان الشمالى.

وقد كانت المساجد والخلاوى هى المراكز الأساسية للتعليم ولتحفيظ القرآن إلى أن امتدت الإدارة المصرية إلى السودان – فاهتمت هذه الإدارة بأن تختار عدداً من أبناء الجهات التى امتد إليها النفوذ المصرى– وترسلهم إلى المدارس المصرية لتلقى العلم هناك– ثم انتقلت مصر خطوة أخرى بنقل تجربة التعليم الحديث إلى ميدان السودان– فبدأت بفتح المدارس فى الخرطوم وغيرها من مدن السودان – واتسع أفق هذه التجربة فى عهد إسماعيل، فافتتحت المدارس فى مختلف مدن السودان والمناطق التى امتدت إليها الإدارة المصرية فى شرق السودان وغربه وجنوبه[1].

على أننا نُشير بالذات إلى الوضع فى المديرية الاستوائية وجنوب السودان – فعلى الرغم من أن امتداد الإدارة المصرية إلى هذه الجهات – فتح المجال أكثر أمام الهجرات العربية إلى الجنوب، وقد امتدت آثار العربى والثقافة العربية الإسلامية إلى هذه المناطق، فإن الاهتمام قد ركز بالذات على إنشاء ما يُشبه الورش لسد حاجة الإدارة الجديدة من الصناع وخلافهم من المدربين على أنواع معينة من الخبرة كالنجارة والحدادة، وصنع السفن والصناعات الجلدية، وقد أشار لذلك الرحالة الدكتور يونكر[1].

(١) عبد العزيز عبد الحميد: التربية فى السودان، والأسس النفسية والاجتماعية التى قامت عليها ٣ أجزاء (القاهرة ١٩٤٩م).

(٢) Junker: Travels in Africa vol. 111 (London 1890) p. 364.

كما أن المديرية الاستوائية بصفة خاصة شهدت ظاهرة معينة وهى تولى الأجانب إدارتها- وقد ولى أمرها صموئيل بيكر، ثم خلفه غوردون ثم براوت، فالدكتور إدوارد شنتزر، هذا بالإضافة إلى كثرة عدد الأجانب الذين وفدوا عليها.

والحقيقة أنه كان على الإدارة المصرية أن تُدرك أهمية التركيز على نشر الدين الإسلامى والحضارة الإسلامية واللغة العربية فى الجنوب مهما حال دون ذلك من عقبات، فقد كان ذلك كفيلاً بانتشار تيار الإسلام والعروبة إلى الجنوب، لكن الأمر تُرك للنشاط الأجنبى، وفى عهد الإدارة الثنائية للسودان - أصبح الجنوب مسرحًا لنشاط الجمعيات التبشيرية، وقد شجعت الإدارة الإنجليزية هذا الاتجاه، ولعل هذا من الأسباب المسئولة عن تطور مشكلة جنوب السودان.

وحين امتد النفوذ المصرى إلى أوغندا فى أواخر عهد إسماعيل - طلب أمتيسه ملك أوغندا إرسال من يرشده إلى تعاليم الدين الإسلامى - وقد بادرت مصر بإرسال اثنين من الفقهاء لتحقيق ذلك - وقد جاء فى الأمر الصادر من الخديوى بهذا الشأن بما أن هذه البلاد بعيدة ومتسعة، ونشر الدين القويم فيها مبتدئ- فقد تعين اثنان من الفقهاء ذوى العقل والمعرفة، والإرادة فى تآلف قلوب الأهالى وتعليمهم بغاية اللطف قواعد الديانية الإسلامية ومحسناتها[1].

لكن انجلترا بالذات عوقت تحقيق هذا الأمر حين أخذت تعمل على مد نفوذها إلى هذه المناطق الهامة المرتبطة بمنابع النيل، وحين أصدرت القوانين للفصل بين شمال السودان وجنوبه والحد من حرية انتقال الشماليين للجنوب.

رابعًا: الحضارة الإسلامية فى شمال أفريقيا

علمنا أن النفوذ الإسلامى - بعد أن امتد إلى مصر - بدأ يتجاوز حدود البلاد الغربية إلى بلاد المغرب.

فقد اتجهت قوات المسلمين غربًا صوب برقة وطرابلس، وفى عهد الخليفة عثمان ابن عفان- تقدم عبد الله بن سعد بقوة كبيرة صوب الغرب، وهزموا قوات الروم فى معركة سبيطلة.

---

(١) دفتر ١٨ عابدين صادر تلغرافات عربى صفحة ص ٣ .

ولما قامت الدولة الأموية – كلف معاوية عقبة بن نافع الفهرى بإتمام فتح الغرب، فأنشأ مدينة القيروان) التى أصبحت قاعدة الغزو الإسلامى لهذه البلاد، ولم تكن القيروان مجرد قاعدة عسكرية للمسلمين بشمال أفريقية، فقد أنشئ بها جامع (جامع عقبة بالقيروان) الذى أصبح مدرسة إسلامية لشمال أفريقية، يؤمها الناس من العرب والبربر أهل البلاد الأصليين يتعلمون اللغة العربية ومبادئ الثقافة الإسلامية.

وقد تطورت **مدرسة القيروان** واشتهرت فى دراسة الفقه والحديث والقرآن واللغة والنحو، وكانت مصر تشد أزر هذه الحركة الثقافية فى شمال أفريقيا.

وقد مهدت جهود حسان بن النعمان وسياسته لامتداد الثقافة العربية فى الغرب الأوسط، ثم فى الغرب الأقصى بعد أن نجحت جيوشه فى ضمها للأمة الإسلامية.

وبعد أن أُتيح لخلفاء بنى أمية فى عهد عبد الملك بن مروان أن يقضوا على الفتنة الداخلية التى أعقبت مقتل عقبة بن نافع – نجح موسى بن نصير فى أن ينشر الإسلام ومعه الثقافة العربية فى المغرب الأقصى، وانضم البربر إلى العرب، واندمج المغاربة فى الحياة الإسلامية، واكتسبت ثقافتهم الصيغة العربية الكاملة .

وكان ما لمسه البربر وغيرهم من مواطنى شمال أفريقيا من تسامح الإسلام، وما لمسوه من المساواة بين العرب وغيرهم فى قسمة غنائم الحرب، وفى غير ذلك من الحقوق والواجبات يعكس ما ألفه سكان أفريقيا من سياسة الرومان الذين كانوا يضعون سكان البلاد فى مرتبة دنيا عن مرتبة السادة الرومان، وكان لذلك أثره فى دفع البربر وغيرهم من سكان البلاد إلى الإسلام، وإلى الأخذ بثقافته وتعاليمه .

ولم يأت القرن الثانى للهجرة إلا وقد أصبحت بلاد المغرب قطراً إسلامياً يتأثر ويتفاعل مع الأفكار الإسلامية والثقافة الإسلامية التى شاعت فى العالم الإسلامى كله.

وكما أقبل البربر على الإسلام، كذلك أقبلوا على **تعلم اللغة العربية** حتى ظهر فى الغرب عدد من الفقهاء برعوا فى الثقافة العربية.

ورغم ظهور القوميات فى بلاد المغرب وقيام دول مستقلة – عن الخلافة الإسلامية – ورغم انفصال بلاد الأندلس عن الخلافة الإسلامية فى عهد عبد الرحمن الداخل، وأنشأ إمارة اتخذت مدينة قرطبة حاضرة لها، فإن ذلك لم يؤثر فى الصيغة الحضارية واللون الحضارى لهذه البلاد .

وكان تأسيس مدينة فاس فى شهر ربيع الأول ١٩٢هـ (٤ يناير ٨٠٨م)، وجامع القرويين بها فى شهر رمضان من سنة خمس وأربعين ومائتين (٣٠ نوفمبر ٨٥٩م) – فاتحة عهد جديد فى تاريخ بلاد شمال أفريقيا كلها، فقد أصبحت فاس وجامع القرويين الذى صار جامعة إسلامية كبرى مركزاً هاماً لنشر الحركات العلمية والثقافية العربية فى شمال أفريقيا، بل امتد تأثير القرويين الدينى والثقافى جنوباً إلى كل مناطق غرب أفريقية .

وهكذا أصبحت فى شمال أفريقيا ثلاث مدارس إسلامية هامة:

- مدرسة القيروان فى أفريقية (تونس).
- مدرسة فاس فى المغرب الأقصى.
- مدرسة قرطبة فى الأندلس.

وكان التنافس شديداً بين هذه المدارس فى نشر الإسلام والثقافة العربية وحضارتها فى شمال أفريقيا وغربها، وقد توافد على هذه المدارس عدد غير قليل من علماء المشرق العربى للتدريس بها، كما توافد عدد من طلاب العلم من مختلف بلاد المغرب العربى وغرب أفريقيا.

وكما كان لمصر الإسلامية دورها فى نشر الإسلام والثقافة العربية لبلاد النوبة والسودان وشرق أفريقيا، كذلك كان للمغرب العربى دوره فى نشر الإسلام والثقافة العربية فى شمال أفريقيا وغربها.

خامساً: الحضارة الإسلامية فى غرب القارة

إذا انتقلنا إلى غرب القارة نجد أن المناطق الشاسعة من غرب القارة التى امتد إليها الإسلام تأثرت بالحضارة الإسلامية والعربية والمبادئ التى نادى بها الدين الحنيف، وكان لذلك أثره فى التطور السياسى والاقتصادى والاجتماعى بهذه المناطق.

فالإسلام لم يكن ديناً فحسب، بل **ثقافة وتنظيماً اجتماعياً واقتصادياً**، ولم يهدف لهدم المجتمع القديم بمقوماته، بل تطويعه للدين الجديد وتعاليمه. وقد ظهر فى هذه المناطق الأفريقية علماء وفقهاء – كما ذكرنا– تركوا لنا ثروة علمية وفقهية فى مختلف مجالات العلوم الإسلامية والإنسانية – ولعل القرنين الرابع والخامس

الهجريين يمثلان القمة فى الثقافة العربية فى هذه البلاد.

وقد قامت فى غرب أفريقيا فى ظل الإسلام مراكز حضارية استقطبت الكثيرين من علماء العالم الإسلامى وطلاب العلم والمعرفة[1].

وانتشار الإسلام فى هذه الجهات كان معناه أيضًا انتشار اللغة العربية كلغة للحديث والمعاملات التجارية والكتابة خاصة بعد أن أجمع أغلب أئمة المسلمين بعدم جواز ترجمة القرآن الكريم، وعدم جواز قراءته بغير العربية، ووجوب الصلاة بها، فكان لابد لمن يريد معرفة أسرار الدين أن يتعلم اللغة العربية ويتقنها.

وقد ارتبط ازدهار الثقافة الإسلامية العربية فى غرب أفريقيا – كما ذكرنا سابقاً– بانتشار الطرق الصوفية خاصة التيجانية والقادرية، وما انبثق منهما من طرق فرعية أخرى، وقد لعبت هذه الطرق وأتباعها دوراً كبيراً فى نشر الثقافة الإسلامية فى هذه الجهات، وفى مقاومة الاستعمار الأوربى عندما تعرضت البلاد للغزو الاستعمارى الذى اندفع إلى المنطقة طامعاً فى ثرواتها، ومتسلحاً بما أمدته به النهضة الأوربية من أسلحة مكنته من اختراق المناطق المجهولة .

وصاحب انتشار الإسلام فى غرب أفريقيا – ظهور طبقة واعية من **المصلحين** الذين سعوا لمحاربة البدع والعادات السيئة التى كانت منتشرة بين الناس، ولما تسربت بعض هذه البدع للمجتمعات الإسلامية بغرب أفريقيا هرع المصلحون للدعوة لتطهير المجتمع الإسلامى مما شابه مما لا يتفق ومبادئ الإسلام.

وقد قامت فى غرب أفريقيا – كما رأينا – ممالك (إمبراطوريات) إسلامية كبرى لها مكانتها، ولها حضارتها فى غانا، ومالى، وسنغى، وبرنو، وكانم .

وقد تأثر حكام هذه البلاد الإسلامية بما شاهدوه أو سمعوا عنه فى البلاد الإسلامية الأخرى، وحاولوا أن ينقلوا لبلادهم بعض الأنماط الحضارية التى كانت فى البلاد الإسلامية فى المشرق العربى.

---

(١) أشار الدكتور عبد الرحمن زكى إلي العديد من المؤلفات العربية لعلماء وفقهاء غرب أفريقيا، ومعظمها مخطوطات محفوظة فى مكتبة أيبادان بنجيريا – انظر:
عبد الرحمن زكى: المراجع العربية فى غرب أفريقية (١٩٦٨م).

وتعطينا المراجع التاريخية أمثلة عديدة لذلك، منها مثلاً ما يذكر عن زيارة وفد مالى للمغرب فى عام ١٣٤١م فى عصر السلطان أبى الحسن المرينى (١٣٣٠-١٣٥١م) بهدف تقوية العلاقات بين المغرب ومالى - وعندما انتهت زيارة الوفد للمغرب - جمع السلطان المالى عدداً من مهرة الصناع والفقهاء للتوجه إلى مالى والمساهمة فى النهضة العمرانية والحضارية بها.

وكان على رأس تلك البعثة المعمارية (أبو إسحاق الطويجن) الذى أشرف على بناء مسجد وقصر للملك المالى، وقد أسهمت هذه البعثة المغربية فى الحركة العمرانية والعلمية فى هذه البلاد، وأجيزت على نشاطها هذا باثنى عشر ألف مثقال من الذهب[1].

وقد رأينا سابقًا أن الملوك والأفراد من أهالى غرب أفريقيا - بعد أن اعتنقوا الإسلام كانوا حريصين على أن يؤدوا فريضة الحج - حين يتاح لهم ذلك، وقد أشرنا إلى وفد الحجاج الذى كان على رأسه منسى موسى سلطان مالى (٧٢٤هـ - ١٣٣٣م) والذى قيل: إنه كان يضم أكثر من عشرة آلاف حاج .

وترتب على تشجيع حكام الممالك الإسلامية بغرب أفريقيا - للعلماء ورجال الدين- أن توافد على هذه البلاد عدد منهم من مختلف الأقطار الإسلامية من المشرق والمغرب - وقد أغدق عليهم السلاطين بالمال، وشجعوهم على الإقامة ببلادهم لتثقيف الناس وإرشادهم فى شئون دينهم.

وقد أشار ابن بطوطة إلى ذلك، ومن طريق ما ذكره أنه أثناء إقامته بمدينة (مالى) أصيب بمرض حاد فى معدته نتيجة أكله عصيدة مصنوعة من نبات يشبه القلقاس، فأسعفه طبيب مصرى قدم له دواء مسهلاً يسمى بيدر[2].

كذلك اشتهر عن السلطان أسكيا محمد سلطان مالى (١٤٩٣-١٥٢م) تشجيعه

---

(١) للدراسة التفصيلية انظر:
أبو العباس أحمد بن محمد الخضرى: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب (بولاق، ١٨٦٢م).
- وكذلك .Niam Djibril: L' Empire De Mali (Conakry 1948)
والمؤلف غينى فكتابته لها أهميتها باعتباره من الأفارقة القلائل الذين كتبوا عن تاريخ بلادهم.
(٢) ابن بطوطة جـ٤ ص ٢٩٧ .

للعلماء وترحيبه بمن وفد منهم من البلاد الإسلامية الأخرى، فحضر عدد منهم وأقاموا فى غاؤ، وجنى، وتنبكتو، فكان وجودهم بهذه البلاد سببًا فى نهضة ثقافية شملت البلاد فى القرنين السادس عشر، والسابع عشر، وبفضلهم أصبحت اللغة العربية لغة البلاد الرسمية[١] .

وحين أدى أسكيا محمد سلطان مالى - فريضة الحج كان بصحبته المؤرخ محمد كعت ومر بمصر، وتعرف على العالم المصرى جلال الدين السيوطى، وكان من أهم رجال العلم فى زمانه العالم الفقيه (عبد الكريم بن محمد المغيلى التلمسانى) الذى عاش فترة غير قصيرة فى تنبكتو التى كانت من أهم المراكز الإسلامية بغرب أفريقية، وكانت تجارة الكتب رائجة فيها، كما اشتهرت بوجود العديد من المخطوطات النادرة فى مكتباتها، كما وجد فيها نساخ متخصصون في نسخ أصول المصادر الهامة، كما اشتهرت بوجود خزانة عامة للكتب بها كان يستعين بها أهل العلم والأدب فى بحوثهم[٢] .

ومن المراكز الإسلامية الأخرى التى برزت فى السودان الغربى مدينة (جنى) وهى تقع على مسافة مائتى ميل إلى الجنوب الغربى من تنبكتو - ورغم أنها أسست قبل تنبكتو بوقت بعيد- لم تدخل فى دائرة النفوذ الإسلامى إلا منذ القرن الخامس الهجرى حين أسلم أميرها فى عام ١٠٥٠م، وبنى مسجدها العتيق على نظام المسجد الحرام بمكة .

وقد بلغت درجة كبيرة من التقدم والازدهار فى ظل الحركة الإسلامية، وذلك فى المجالين العلمى والاقتصادى- وقد ازدهرت فيها تجارة الملح والتبر، وأصبحت من أهم أسواق الفوله، والدلوف، والسركوله، والتكرور.

---

(١) أشار المؤرخ الفرنسى ديبوا بما فى مكتبة تنبكتو فى القرن السادس عشر بالذات من مصادر، وذكر أنها كانت حاضرة ثقافية علي صلة بغيرها من العواصم فى العالم العربى مثل فاس فى المغرب، والقيروان فى تونس، وقرطبة فى الأندلس، والقاهرة فى مصر، وذكر أن الكثيرين من علمائها رحلوا إلي فاس وإلي مصر واتصلوا بعلمائها.

وأشار بالذات إلي شهرة معهد سنكورى بتنبكتو، وذكر أن له مكانة كالأزهر والقيروان وغيرهما من معاهد العلم فى العالم العربى .

(٢) نعيم قداح: أفريقيا العربية فى ظل الإسلام (دمشق ١٩٦٠م) ص ٤١ .

وقد عبر السعدى عن ذلك بقوله: «إنها سوق عظيمة من أسواق المسلمين يلتقى بها تجار الملح، وتجار الذهب، وكانت مركزاً ثقافياً»(١) .

وقد ذكر إنه كان بها أكثر من أربعة آلاف من المشتغلين بالعلم، وأشار إلى بعض علمائها مثل الفقيه (فودى محمد سافو الونكرى)، والقاضى (العباس كنت الجندى)، وكان فقيهاً عالماً، والقاضى (محمود بن أبى بكر بغيغ) والد العالمين الفقيه محمد بغيغ، والفقيه أحمد بغيغ(٢) .

ومن المدن الإسلامية الهامة الأخرى التى برزت فى السودان الغربى مدينة (**كانو**)، وقد برزت بالذات بعد أن رحل إليها بعض علماء تنبكتو بعد أن اضمحل شأن تنبكتو، وقد أسست فى كانو مدرسة للعلوم، ومدرسة للقضاء الشرعى ذاعت شهرتها(٣) .

أما مدينة (كاشنه)، فقد اجتذبت عدداً كبيراً من العلماء، وقد أقام بها الإمام المغيلى زمناً طويلاً، يعلم الناس ويرشدهم ويفصل فى الخصومات بينهم، كما أن بعض المراجع تشير إلى أن جلال الدين السيوطى رحل إلى شمال نيجيريا، وأقام فى كاشنه زمناً يعلم ويرشد الناس ويفقههم فى الدين، ثم عاد لمصر ثانية فى عام ٨٧٦هـ/ ١٤٨١م.

هكذا انتشر الإسلام فى غرب أفريقيا، ودخلت الحضارة العربية، بل والثقافة بمعناها الواسع فى إثره(٤) .

وقد انتقل إلى غرب أفريقيا، كما رأينا **علماء من الأقطار العربية الأخرى**، ونشأت مدن اشتهرت بطابعها الثقافى والحضارى.

والحقيقة أنه لو استمرت الحركة الثقافية الإسلامية فى طريقها فى غرب أفريقيا دون أن تصطدم بالاستعمار الأوربى لحققت أكثر من هذا، ولقضت على بقايا ما كان بهذه المجتمعات من آثار وثنية.

---

(١) السعدى : مرجع سابق ص ٣٤، ٣٧، ٣٩ .

(٢) نفس المرجع ص ١١ .

(٣) Meek, C. K. : The Northern Tribes of Nigeria (London 1925) Vol. 1 p. 16 .

(٤) Deschamphs, H. : Les Religions de L' Afrique Noir (1945) p. 127 .

فترمنجهام مثلاً يُشير إلى الثنائية التى تتضح فى مجتمعات غرب أفريقيا، فهناك نُظم إسلامية صرفة إلى جانب تقاليد ترجع إلى ما قبل الإسلام(١).

لكن لاشك فى أن الإسلام كانت – ومازالت له آثاره القوية فى مجتمعات غرب أفريقيا– وكان له أثره العميق خاصة أن الأفارقة وجدوا أن هذا الدين يدعو للمساواة والقضاء على التفرقة والعبودية، الكل سواسية ، ولن يتميز أحد عن غيره إلا بالتقوى.

وقد سبقت الإشارة إلى أثر الفن المغربى وغيره من الفنون العربية– فى فنون غرب أفريقيا– شاهدنا ذلك فى المساجد وقصور الأمراء والحكام – فقد ساهم المهندس إبراهيم الساحلى فى بناء مسجد (جانكور) فى تنبكتو، ومسجد غاؤ، ومسجد العاصمة (يناني) ، وقصر السلطان بها، وقد ذكر إنه كانت به قاعة كبيرة على النظام المغربى.

وقد وصف ابن بطوطة هذه القاعة عند زيارته للعاصمة عام ١٣٥٣م، أما مسجد جنى فهو من تصميم المهندس (إدريس المراكشى)(٢).

هكذا كان للإسلام أثره القوى فى المجتمعات الأفريقية التى انتشر بها، كما كان للثقافة العربية والفن أثرهما على هذه المجتمعات.

ولاشك فى أن الحياة الثقافية والاجتماعية وعادات الناس وتقاليدهم ومعاملاتهم ونظم حياتهم المختلفة فى البلاد التى انتشر بها الإسلام فى شرق القارة وشمالها وغربها وجنوبها قد تأثرت تأثيراً قوياً بمبادئ الإسلام وتعاليمه.

* * *

---

(١) Trimingham, S. : Islam in Wesl Africa p. 148.

(٢) نعيم قداح : مرجع سابق ص ١٥٤ – ١٦٠ .

الفصل السابع
المشكلات التى يواجهها المسلمون فى أفريقيا

- **النقاط التى تناولها الفصل:**

- مشكلات تتعلق بالنظم السياسية فى الأقطار الإسلامية الأفريقية.
- مشكلات تطبيق الشريعة الإسلامية.
- مشكلات تتعلق بالأوضاع القبلية .
- مشكلات تتعلق بالعلاقات بين الأقطار العربية.
- مشكلات تتصل بالجامعة العربية .
- مشكلات تتعلق بعلاقة الأقطار الإسلامية بالمنظمات الإقليمية والعالمية .
- مشكلات اقتصادية .
- مشكلات ثقافية .
- مشكلات تتعلق بعلاقة المسلمين الأفارقة بغيرهم من المسلمين فى الأقطار الإسلامية الأخرى، وكذلك بعلاقتهم بالمسلمين فى أقطار خارج القارة الأفريقية.
- مشكلة الأقليات الإسلامية فى الأقطار الأفريقية غير الإسلامية.

انتشر الإسلام – كما رأينا – فى معظم أنحاء القارة الأفريقية عبر طرق متعددة، ودخل فى الدين الإسلامى أكثر من نصف سكان القارة.

وقد تتبعنا فى الفصول السابقة تاريخ المسلمين فى القارة على مر العصور منذ أن أشرق نور الإسلام، وانتقل من شبه الجزيرة العربية – مهد الإسلام – إلى سواحل أفريقيا، ثم توغل فى الداخل إلى اليوم.

وكما رأينا أصبحت أقطار أفريقية عديدة تدين بالإسلام – فهو دينها الرسمى– بينما توجد أقليات إسلامية فى أقطار أفريقية أخرى.

وقد واجه الإسلام أثناء انتشاره مشكلات عدة وعقبات، لكن استطاع الرواد الأوائل من المسلمين التغلب على هذه العقبات وذللوها، فلم تقف حائلاً دون انتشار الدين الجديد فى أرجاء القارة.

ولاشك فى أن المسلمين اليوم فى أفريقيا يواجهون مشكلات متعددة مماثلة، وتحديد هذه المشكلات هى الخطوة الأولى لحلها.

ويمكن منذ البداية أن نفرق بين المشكلات التى تواجه المسلمين فى الأقطار الأفريقية الإسلامية التى تدين رسميًا بالإسلام، والتى يمثل المسلمون فيها أغلبية، وبين الوضع فى الأقطار التى لا يزال المسلمون يمثلون فيها أقلية.

ولنلقى نظرة على كل من هذه المشكلات وموقف المسلمين الأفارقة منها:

١– مشكلات تتعلق بالنظام السياسى ونظم الحكم فى الأقطار الإسلامية

واجه المسلمون عامة هذه المشكلة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم متمثلة فى مشكلة الخلافة .

وقد ناقش بعض المؤرخين أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بين نظام الخلافة فى الإسلام وبين مثلاً ما كان قائماً فى الإمبراطورية الرومانية القديمة[١].

وأثار بعض المؤرخين مسألة جمع الخليفة بين السلطتين الزمنية والدينية.

---

(١) لمزيد من التفصيل يرجع إلي:
Arnold, Thomas, W: The Calphate (Oxford 1924) pp. 9-18 .

وقد اختلفت آراء علماء المسلمين حول شروط الخلافة وسلطة الخليفة، وقد حاول السير توماس آرنولد- في كتابه عن الخلافة أن يناقش الطريقة التى أُنتخب بها كل من الخلفاء الراشدين الأربعة، كما ناقش الظروف التى انتقلت فيها الخلافة إلى الأمويين ثم العباسيين.

كما تناول فقهاء آخرون الأوضاع فى العالم الإسلامى عامة فى الوقت الحاضر، وما يجب أن يتبع ذلك من تغيرات فى النظم الإدارية .

على كل لقد ظهرت مشكلة الإدارة والحكم فى الأقطار الإسلامية الأفريقية وترتب عليها للأسف إراقة دماء المسلمين - كما هو حادث فى الجزائر مثلاً، ولاشك فى أن مصلحة المسلمين تستوجب أن تُحسم هذه المشكلة بالطريقة السلمية حقناً لدماء المسلمين، وحتى يتفرغ المسلمون لحل المشاكل الأخرى التى تواجههم.

٢- مشكلة الشريعة الإسلامية
ومدى التزام الحكومات الإسلامية الأفريقية بتطبيقها

هذه المشكلة ترجع بنا على الخصوص إلى الأوضاع التى كانت سائدة- فى بعض دول غرب أفريقيا الإسلامية- فعلى الرغم من أن الإسلام كان قد انتشر فيها لكن لم تكن أحكام الشريعة نافذة، وقد أثارت هذه الأوضاع بعض العلماء والفقهاء من الأفارقة أنفسهم فقاموا بحركاتهم الإصلاحية التى أشرنا إليها من قبل.

والمعروف أن شمال أفريقيا وغربها وسودان ووادى النيل - كانت بيئات صالحة لنمو الحركات الإصلاحية، وبعضها تأثر بالحركات الأخرى التى ظهرت فى أقطار أخرى من العالم الإسلامى - كالوهابية مثلاً - كما تأثرت هذه الحركات بالحركة الصوفية وغيرها من الحركات الإصلاحية التى نادت بأن يعود المسلمون فى سلوكهم وحياتهم للأوضاع السليمة التى كانت سائدة أيام الرسول ﷺ وخلفائه[١] .

والدساتير فى الأقطار الإسلامية الأفريقية تنص كلها تقريباً - على أن الإسلام دين الدولة، وتحاول الحكومات فى هذه الأقطار أن تلتزم فى قوانينها بمبادئ الشرع. لكن هذا الالتزام يختلف من قطر لآخر - كما أن قيوداً تحول أحياناً دون الالتزام الكامل والسليم بأحكام الشريعة.

---

(١) انظر: مقدمة ابن خلدون ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

ولاشك فى أن رجال الدين والفقه يستطيعون بالحكمة والموعظة والإرشاد معاونة الحكومات الإسلامية فى هذه الأقطار؛ لتطوير قوانينها وأحكامها لتلتزم تمامًا بأحكام الشريعة .

٣- مشكلات ترتبط بالأوضاع القبلية والإثنية والعرقية فى الأقطار الأفريقية الإسلامية

برزت هذه المشكلة بشكل صارخ فى الصومال مثلاً وهو قطر إسلامى من أقطار الجامعة العربية، وترتب على الصراع الدامى بين القبائل والفصائل المختلفة والنزاع بينها على السلطة إلى سقوط مئات القتلى والجرحى وفرار عدة آلاف، ولجوئهم للأقطار المجاورة حيث يعيشون فى خيام أو مراكز أيواء مؤقتة، وينتظرون الغوث من الهيئات الدولية وغيرها، هذا بالإضافة إلى فصم وحدة البلاد وظهور حركات انفصالية - وعدم وجود حكومة مركزية واحدة يخضع لها الكل، وترتب على ذلك تصدع أركان الدولة ووقف عمليات التنمية وغيرها.

فعلى الرغم من أن الشعب الصومالى يتميز بأنه أكثر الشعوب الأفريقية تجانسًا فى الأصول العرقية والثقافية، إلا أنه انقسم فى بيئته الاجتماعية إلى ثلاث قبائل هى: الدارود، والهاويية، والإسحق - التى تنقسم بدورها إلى عشائر عديدة .

ولم تستطع أى من النظم التى حكمت الصومال بعد استقلاله فى عام ١٩٦٠م أن تحقق الاندماج الكامل بين هذه القبائل والعشائر.

وبعد رحيل سياد برى - سيطر المؤتمر الصومالى على العاصمة مقديشيو، وعُقد مؤتمر فى جيبوتى فى يوليه سنة ١٩٩١م تقرر فيه تعيين على مهدى رئيسًا مؤقتًا لتهيئة البلاد لنظام ديمقراطى وإجراء انتخابات عامة، إلا أن الخلاف نشب بين الرئيس المؤقت وبين الجنرال محمد فرح عيديد رئيس المؤتمر الصومالى الموحد- مما دفع الطرفين إلى قتال راح ضحيته أكثر من خمسين ألف قتيل وتسعين ألف جريح- وتقاسم الخصمان السيطرة على العاصمة مقديشيو، أصبح الرئيس المؤقت يسيطر على الجزء الشمالى، ورئيس المؤتمر الصومالى الموحد يسيطر على مناطق أخرى.

وفى الوقت ذاته أعلنت قبائل الإسحق التى تسيطر على شمال الصومال- الانفصال، وأقامت ما يسمى (بأرض الصومال) .

وقد تعددت المحاولات من جانب المنظمة الدولية، وتدخلت الولايات المتحدة الأمريكية فى محاولة لسحب أسلحة القبائل المتنازعة بما عرف بعملية (إعادة الأمل)، وبذلت محاولات لإغاثة المحتاجين والمتضررين من جراء الحرب وما جرته من ويلات.

كما بذلت منظمة الوحدة الأفريقية جهوداً مضنية لحل المشكلة ووقف نزيف الدماء، وساهمت مصر بالذات فى هذه المحاولات، وعقد أكثر من مؤتمر فى أثيوبيا برعاية الرئيس زيناوى.

وتدخلت الجامعة العربية وشكلت لجنة لبحث المشكلة الصومالية، كما ساهم المؤتمر الإسلامى فى محاولات إنقاذ الصومال من الوضع المتردى فيه، واضطرت قوات الأمم المتحدة للانسحاب من الصومال فى مارس ١٩٩٥م، ولازالت تبذل محاولات مكثفة من قبل الجامعة العربية والمؤتمر الإسلامى ومنظمة الوحدة الأفريقية للتوفيق بين القبائل المتصارعة لإتاحة الفرصة لإقامة حكومة مركزية تعد لانتخابات حرة، وللإنفاق على أسس يرتضيها الكل لقيام نظام حكومى ثابت فى الصومال يخرج هذا البلد الإفريقى من محنته[١].

٤- مشكلات بين الدول الأفريقية الإسلامية

لعل مشكلات الحدود هى أبرز هذه المشكلات ، والمعروف أن الدول الاستعمارية حين قسمت القارة إلى مناطق نفوذ لم ترع الوحدة الإقليمية التى يعيش عليها جمع مستقر من الناس، ولم تراع العوامل الجغرافية أو الوحدة القبلية أو المصالح الاقتصادية، بل لعب العامل الفردى دوراً رئيسياً فى تحديد الوحدات السياسية فى القارة.

وبالطبع الأفارقة أنفسهم لم يكن لهم دور فى إنشاء الحدود بين أقطارهم، فالحدود السياسية بين الدول الأفريقية من النوع الذى يطلق عليه (الحدود الفلكية) المتمثلة فى خطوط مستقيمة تتمشى مع خطوط العرض والطول- وهى أسوأ أنواع الحدود[٢]. ولذا واجهت الدول الأفريقية بعد استقلالها هذه المشكلة .

(١) عن تطور مشكلة الصومال يرجع:
- قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن خلال أعوام ٩١ - ٩٥ .
- قرارات منظمة الوحدة الأفريقية، والجامعة العربية بهذا الخصوص.

(٢) عن مشكلات الحدود الأفريقية يرجع إلي:
Boggs, O. W. : International Boundaries (N. Y. 1960).

ومن المشاكل التى نشبت بين الدول الأفريقية الإسلامية بخصوص الحدود مثلاً - مشكلة الحدود بين المغرب والجزائر بخصوص المناطق الواقعة فى أقصى الجنوب حيث يوجد معدن الحديد فيها بالقرب من منطقة (تندوف) التى ضمت للجزائر.

وقد أدت هذه المشكلة لحروب بين البلدين العربيين الإسلاميين.

ومن المشكلات المرتبطة بالحدود- **مشكلة الصحراء الغربية** التى ترتبط بالمنطقة التى كانت أسبانيا تحتلها وتطلق عليها اسم الصحراء الأسبانية أو وادى الذهب. فقد طالبت المغرب بعد استقلالها بهذه المنطقة- وقد ظهرت أهميتها بعد اكتشاف الفوسفات فى بوكرع (١٩٦٢م)، وحين أحيلت المشكلة على محكمة العدل الدولية - لم يكن قرارها حاسماً، وقد أعلنت المغرب ما عرف بالمسيرة الخضراء فى عام ١٩٧٥م.

وفى ٢١ نوفمبر ١٩٧٥م حدث اتفاق بين أسبانيا والمغرب وموريتانيا على أن تترك أسبانيا إدارة المنطقة للمغرب وموريتانيا، لكن تطورت المشكلة بعد إعلان قيام الجمهورية الصحراوية فى ٢٧ فبراير ١٩٦٨م، واعترف عدد من الدول بها، وأدى الأمر لحرب بين البوليزاريو (الجناح العسكرى) للجمهورية الصحراوية، وبين قوات المغرب وموريتانيا، وانسحبت موريتانيا من المشكلة، واستمر النزاع بين المغرب والبوليزاريو، وساندت الجزائر البوليزاريو عسكرياً، وأدى اعتراف عدد من دول منظمة الوحدة الأفريقية بالجمهورية الصحراوية - لتعليق المغرب عضويتها فى المنظمة- ورغم قبول المغرب أخيراً لمبدأ الاستفتاء فى الصحراء الغربية، لكن إلى الآن تتعثر جهود المنظمة الدولية لإجراء هذا الاستفتاء بسبب الخلاف على من لهم حق التصويت، وقد زار الأمين العام للأمم المتحدة المنطقة، وكان الأمل فى إجراء الاستفتاء فى عام ١٩٩٥م حتى تنتهى هذه المشكلة التى استنزفت الكثير من الجهد والمال من كل الأطراف، وحتى تستقر العلاقات الطيبة بين المغرب والجزائر، لكن تعثرت الجهود المبذولة لتحديد من يحق لهم الإدلاء بأصواتهم فى الاستفتاء مرة أخرى[1].

---

(١) عن هذا المشكلة يرجع إلي:
شوقى الجمل: مشكلة الصحراء الغربية - الجذور التاريخية للمشكلة .
(بحث قدم لندوة الجذور التاريخية للمشكلات الأفريقية المعاصرة، معهد البحوث الأفريقية بجامعة القاهرة، مارس، ١٩٩٥م).

٥- مشكلات تتعلق بالجامعة العربية

أنشئت الجامعة العربية فى عام ١٩٤٥م بهدف دعم العمل العربى المشترك، ومساندة الدول العربية (الإسلامية) فى كفاحها ضد الاستعمار، وتحقيق المصالح المشتركة لدول الجامعة.

وقد ساهمت الجامعة العربية فى حل العديد من المشكلات العربية، وساندت حركات التحرير فى الجزائر، وتونس، والمغرب وغيرها من الأقطار الأفريقية الإسلامية التى كانت ترزح تحت نير الاستعمار الأوربى[1]. وأهمية الجامعة العربية فى دعم العمل العربى فى مختلف الأقطار العربية الإسلامية الإفريقية لا تحتاج لمزيد من التفصيل.

لكن قد تكون هناك سلبيات ووجهات نظر مختلفة فيما يتعلق بالدور الذى يمكن أن تقوم به الجامعة وفى ممارستها وموقفها من القضايا والمشكلات العربية، وهناك أصوات تنادى بتعديل ميثاق الجامعة إلى غير ذلك من الاتجاهات.

والمهم أن تتضافر الجهود الصادقة لتدعيم الجامعة حتى يمكن أن تؤدى مهمتها على خير وجه- ولاشك فى أنها تستطيع أن تسهم بدور فعال فى حل مشكلات الدول الإسلامية فى أفريقيا، بل وفى العالم كله.

ولعل هذا ما يجرنا للحديث عن بعض المشكلات التى تواجهها بعض الدول الأفريقية الإسلامية كمشكلات الكوارث الطبيعية، الجفاف والتصحر والسيول، والزلازل وغيرها، وواجب الدول الإسلامية الأفريقية الأخرى لتقديم العون والمساندة لهذه الدول المضارة.

٦- مشكلات تتعلق بالعلاقات بالمنظمات الدولية والمنظمات الإقليمية

الدول الأفريقية الإسلامية كلها أعضاء فى منظمة الوحدة الأفريقية، ومنظمة الأمم المتحدة، ولاشك فى أن هذه الدول الإسلامية تحس بالمشكلات الصارخة التى تعانى منها شعوب إسلامية سواء فى أفريقيا أو فى أوربا أو غيرها من القارات.

---

(١) لمزيد من التفصيل يرجع لقرارات مجلس الجامعة العربية ولمحاضر جلساتها.

وواجب هذه الدول أن تتفق على رأى موحد وموقف موحد لمساندة حقوق الشعوب الإسلامية ومصالحها، ووزن هذه الدول وعددها يجعلها قوة مؤثرة فى اتخاذ القرار، ويعمل لها حسابها.

ولعل مشكلات– كمشكلة البوسنة والهرسك، ومشكلة المسلمين فى الجمهوريات الإسلامية التى كانت ضمن الاتحاد السوفيتى وغيرها تُعطى أمثلة لما يمكن للمساندة الجماعية من الدول الإسلامية الأفريقية أن تحققه فى هذا المجال وفى غيره من المجالات المماثلة.

٧- المشكلات الاقتصادية التى تعانى منها بعض الدول الأفريقية الإسلامية

أشرنا عند الحديث عن دور الجامعة العربية إلى هذه المشكلة بالذات، وواجب الدول الإسلامية الأفريقية تجاهها.

ولاشك فى أن المشكلة الاقتصادية من أعنف المشكلات التى تواجهها الدول النامية عامة، وقد بذلت جهود لحل مشكلة مديونية هذه الدول، وواجب دول الشمال الغنية تجاه دول الجنوب التى أصبحت غير قادرة على القيام بما يجب للنهوض بمشروعات التنمية وغيرها من متطلبات الحياة فيها.

وواجب الدول الإسلامية الأفريقية أن تقدم ما تستطيع تقديمه سواء من الخبرة الفنية أو المادية أو غيرها لشقيقاتها فى الدول الأفريقية الإسلامية الأخرى لمواجهة مثل هذه المشكلات.

٨- مشكلات ثقافية تتعلق بموقف الدول الإسلامية من التيارات الثقافية المعادية

الإسلام له مبادئه الواضحة والملزمة للمسلمين فى كافة الأقطار، وقد واجه المسلمون فى أفريقيا – كما ذكرنا– فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تيارات وممارسات تخالف الإسلام وتعاليمه .

ولما نكبت القارة الأفريقية بالاستعمار الأوربى عمدت الدول الاستعمارية لنشر لغتها وثقافتها، وادعت أن الأفارقة ليست لهم حضارة، ولذا لما تخلصت الدول الأفريقية من الاستعمار كان عليها أن تواجه هذه المشكلة، وأن تبذل الجهود المضنية

لاستعادة شخصيتها ولغاتها، وقد واجهت الدول العربية كغيرها من الدول فى شمال أفريقيا وغربها وشرقها هذه المشكلة، فكان عليها أن تواجه حاجياتها بالتعريب بالإضافة لمواجهة عادات وتقاليد غريبة عن المجتمعات الأفريقية والإسلامية.

والدول الإسلامية الأفريقية فى هذا القرن العشرين تواجه تيارات أعنف وثقافات ومبادئ تتنافى مع تعاليم وأخلاق الإسلام.

وواجب الدول الإسلامية الأفريقية أن تقف بحزم فى وجه هذه التيارات الغريبة، خاصة ما يؤثر منها على الشباب، فانحرافات الشباب لاشك فى أنها تعصف بقوة الشعوب والدول الإسلامية فى القارة.

وهذا يوضح المسئولية الخطيرة للوزارات المعنية بالثقافة والتعليم فى الدول الإسلامية الأفريقية لتنقية المناهج والكتب، ووسائل التثقيف والإعلام وتوجيهها لما يبنى الفرد المسلم الصحيح المتمسك بتعاليم دينه.

والإذاعة المصرية، وما حققته من طفرة كبيرة لتطوير قنواتها، وليصل إرسالها لمختلف الأقطار العربية والإسلامية خطوة فى هذا المجال.

٩- مشكلات تتعلق بعلاقة المسلمين الأفارقة

بغيرهم من المسلمين فى الأقطار الإسلامية الأخرى

لاشك فى أن المسلمين فى العالم كله مفروض أنهم كالبنيان يشد بعضه أزر بعض.

فإذا كان الواجب يحتم على المسلمين فى باقى الأقطار الإسلامية خارج القارة أن يقدموا للمسلمين الأفارقة أيدى العون والمساعدة لحل مشكلاتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فمن واجب المسلمين أيضًا فى الأقطار الأفريقية أن يرتبطوا عاطفيًا وثقافيًا ودينيًا مع باقى قضايا العالم الإسلامى، ولعل المؤتمر الإسلامى له دور فعال ويسهم فى هذا المجال، فهناك قضايا إسلامية هامة تهم المسلمين جميعًا فى مشارق الأرض ومغاربها، ويستلزم لحلها الحل الأمثل تضافر المسلمين فى جميع القارات والأقطار لحل هذه المشكلات.

ولعل اجتماع المسلمين الأفارقة - وغير الأفارقة - فى مثل هذه المؤتمرات الهامة الجادة - تسهم فى حل هذه المشكلات، وبالطبع فى هذا المجال لا يقتصر الأمر

على القرارات، بل أن توضع موضع التنفيذ، وأن تكون هناك متابعة كاملة لما اتخذ من قرارات وما نفذ منها، وما لم ينفذ، والعوائق التى تحول دون التنفيذ.

١٠- مشكلة الأقليات الإسلامية فى أفريقيا

إذا كان للمسلمين الأفارقة فى أقطارهم التى يمثلون فيها أغلبية مشكلاتهم، فلا شك فى أن المسلمين فى جنوب أفريقيا مثلاً وفى غيرها من الأقطار التى يمثلون أقلية فيها- لهم مشكلاتهم التى قد تكون أشد عنفًا من مشكلات إخوانهم فى الأقطار التى يمثل المسلمون فيها أغلبية.

فهناك وضع هذه الأقلية الإسلامية - وحقوقها بالنسبة لحقوق الأغلبية - ومدى ما تتمتع به من حرية فى ممارسة شعائرها الدينية.

كل هذه وغيرها مشكلات تحتاج للمدارسة والتعاون بين الدول الإسلامية الأفريقية الأخرى وغيرها من الدول الإسلامية لحل مثل هذه المشكلات - لمساندة هذه الأقليات الإسلامية لتتمتع بحقوقها.

ولاشك فى أن من حق هذه الأقليات الإسلامية أن تلقى المساندة من الهيئات الدبلوماسية للدول الإسلامية فى الدولة التى تعيش فيها هذه الأقليات.

* * *

خاتمــة

تعرضنا فى صفحات هذا البحث لتاريخ المسلمين فى القارة الأفريقية، وأوضحنا كيف دخل الإسلام فى القارة وانتشر انتشاراً سريعًا وبيسر وعن طريق المعايشة والمعاملة الطيبة سواء للتجار المسلمين أو لغيرهم من المسلمين الذين وفدوا للقارة .

وترتب على ذلك أن أصبح كما ذكرنا أكثر من ٥٠٪ من مواطنى القارة مسلمين يمثلون الجناح الأفريقى للأمة الإسلامية .

ولاشك فى أن الأبواب مفتوحة أمام الإسلام والمسلمين لينتشر الدين الحنيف إلى أقطار أخرى فى أفريقيا ولتدخل فيه شعوب أفريقية لا تزال بعيدة عنه .

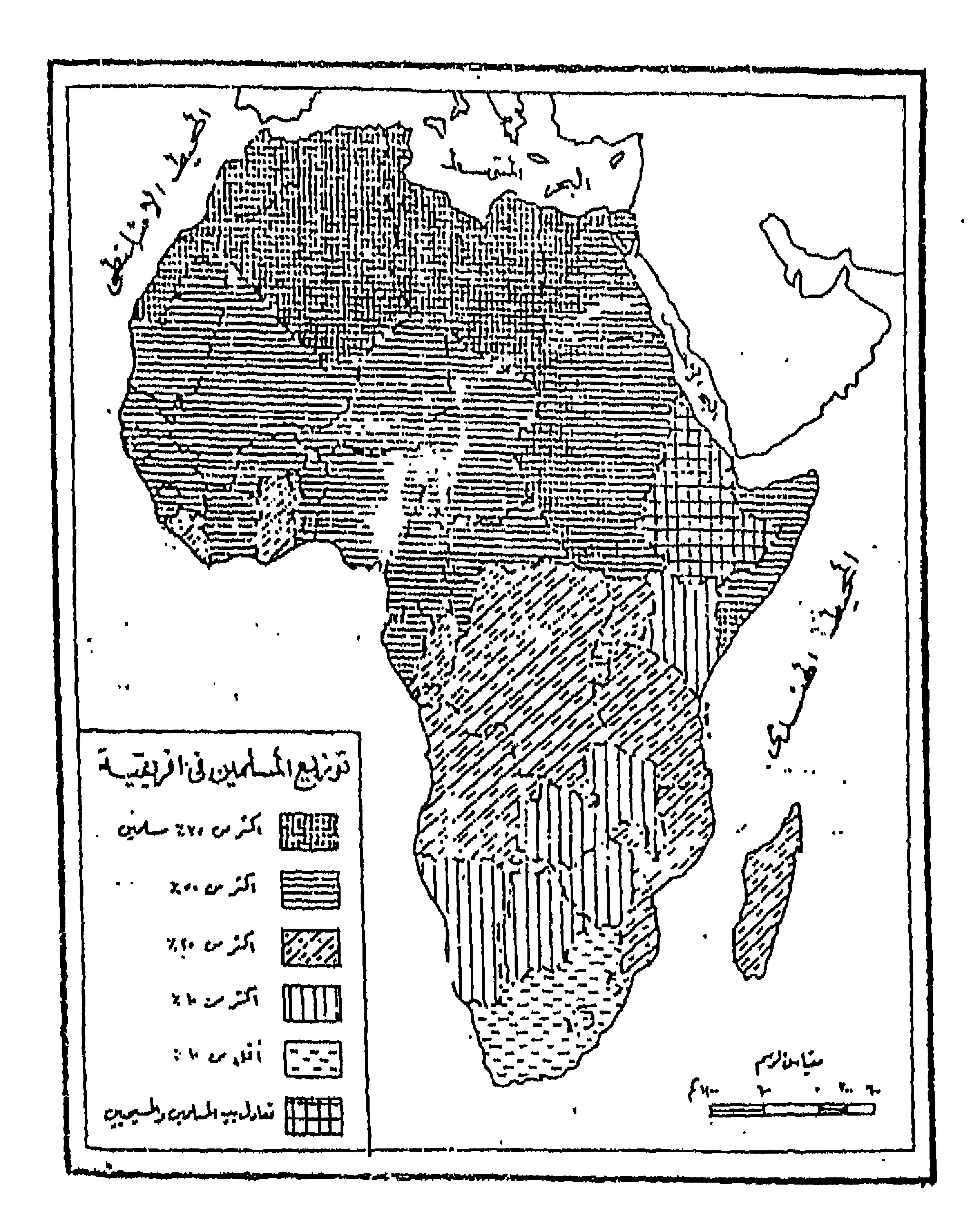
وإذا كان للمسلمين فى أفريقيا – كغيرهم – مشكلاتهم – فكما ذكرنا فإن تحديد هذه المشكلات ووضع أيدينا على أسبابها يسهم فى حلها.

والدراسة المتأنية والمدققة لتاريخ الإسلام والمسلمين فى القارة، ولما واجههم فى سبيل نشر رسالتهم وما يواجههم اليوم- هى الطريق السليم لنشر الإسلام وتعاليمه على نطاق أوسع.

وهذا هو واجب المسلمين دولاً وأفراداً

والله المعين

المؤلفان


المحيط الأطلنطي
البحر المتوسط
البحر الأحمر
المحيط الهندي
توزيع المسلمين في أفريقية
أكثر من ٧٠٪ مسلمين
أكثر من ٥٠٪
أكثر من ٢٠٪
أكثر من ١٠٪
أقل من ١٠٪
تعادل بين المسلمين والمسيحيين
مقياس الرسم

شكل (١٠)

المصادر والمراجع

أولاً: مراجع عربية أو معربة:

١- ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٢ (بولاق ١٢٧٤هـ) .

٢- ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر (بولاق ١٢٢٠هـ) .

٣- ابن عبد الحكم: فتوح مصر (القاهرة ١٩١٤م) .

٤- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام: كتاب سيرة رسول الله (١٣٢٢هـ) .

٥- أبو العباس أحمد بن محمد المقرى: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب (بولاق ١٨٦٢هـ) .

٦- أبو سليم، محمد إبراهيم: الحركة الفكرية فى المهدية (١٩٧٠م) .

٧- إحسان حقى: تونس العربية (د.ت) .

٨- أحمد العوامرى بك، محمد جاد المولى: مهذب رحلة ابن بطوطة (مطبعة بولاق) .

٩- أحمد بن الحاج أبو على (كاتب الشونة) : تاريخ مدينة سنار (مخطوط بدار الكتب المصرية، برقم ٢١٨) .

١٠- أحمد بن خالد السلاوى الناصرى: الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى (الدار البيضاء ١٩٥٤ / ١٩٥٦م) .

١١- آدم عبد الله الآلورى: الإسلام فى نيجيريا (بيروت ١٩٧١م) .

١٢- بوركهارت، جون لويس: رحلات بوركهارت فى بلاد المغرب، والسودان، نقلها للعربية فؤاد أندراوس (١٩٥٦م) .

١٣- البلاذرى: فتوح البلدان ١٩٣٢م.

١٤- توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام (معرب – القاهرة ١٩٥٧م) .

١٥- جمال الدين الدناصورى وآخرون: جغرافية العالم – دراسة إقليمية (د.ت) .

١٦- حسن إبراهيم حسن: تاريخ عمرو بن العاص (القاهرة ١٩٢٦م) .

١٧- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى (١٣٥٣هـ / ١٩٣٥م) .

١٨- حسن أحمد محمود: انتشار الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا جـ١ (١٩٨٦م).

١٩- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين (القاهرة ١٩٥٧م).

٢٠- حسين المفتى: تطور نظام القضاء فى السودان (د.ت).

٢١- حمدى السيد سالم: الصومال قديماً وحديثاً (١٩٦٥م).

٢٢- زاهر رياض: كنيسة الإسكندرية فى أفريقيا (١٩٦٢م).

٢٣- زاهر رياض: الإسلام فى أثيوبيا (١٩٦٦م).

٢٤- زاهر رياض: تاريخ أثيوبيا (١٩٦٦م).

٢٥- سليمان كشه: اللواء الأبيض (الخرطوم ١٩٦١م).

٢٦- الشاطر بوصيلى عبد الجليل: معالم تاريخ سودان وادى النيل (١٩٥٠م).

٢٧- شوقى عطا الله الجمل: الوثائق التاريخية لسياسة مصر فى البحر الأحمر (١٩٥٨م).

٢٨- شوقى عطا الله الجمل: تاريخ سودان وادى النيل وعلاقاته بمصر، جـ١، (١٩٦٩م).

٢٩- شوقى عطا الله الجمل: تاريخ سودان وادى النيل وعلاقاته بمصر، جـ٢، (١٩٦٩م).

٣٠- شوقى عطا الله الجمل: تاريخ سودان وادى النيل وعلاقاته بمصر، جـ٣، (١٩٨٠م).

٣١- شوقى عطا الله الجمل: المغرب العربى الكبير فى العصر الحديث (١٩٧١م).

٣٢- شوقى عطا الله الجمل: سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر (١٩٧٤م).

٣٣- شوقى عطا الله الجمل: الأزهر ودوره السياسى والحضارى فى أفريقيا (١٩٨٨م).

٣٤- صلاح العقاد: جمال زكريا: زنجبار (القاهرة ١٩٥١م).

٣٥- صلاح العقاد: الجزائر المعاصرة (١٩٦٤م).

٣٦- عبد الرحمن زكى: تاريخ الدول الإسلامية السودانية بغرب أفريقيا (١٩٦١م) .

٣٧- عبد الرحمن زكى: المراجع العربية فى غرب أفريقية (١٩٦٨م) .

٣٨- عبد الرحمن السعدى: تاريخ السودان - نشرة هوداس (١٨٩٨م) .

٣٩- عبد العزيز كامل: جغرافية الإسلام فى أفريقية (د.ت) .

٤٠- عبد العزيز محمد الشناوى: الأزهر جامعًا وجامعة، جزءان (١٩٨٣م / ١٩٨٤م) .

٤١- عبد العزيز محمد عبد المجيد: التربية فى السودان والأسس النفسية والاجتماعية التى قامت عليها. ثلاثة أجزاء، القاهرة (١٩٥٦م) .

٤٢- عبد الكريم السيد: اللواء الأبيض وثورة ١٩٢٤م (الخرطوم ١٩٧٠م) .

٤٣- عبد الله المشد، ومحمد خليفة: تقرير عن أحوال المسلمين فى بلاد الصومال، وأرتيريا، وأوغندا، والحبشة (١٩٥١م) .

٤٤- عبد الله بن خلفان بن قيصر: سيرة الإمام ناصر بن رشد (مخطوط - بالمحفوظات بلندن رقم ٢٣٤٣) .

٤٥- عبد الله بن سليم الأسوانى: أخبار النوبة، والمقرة، وعلوة، والبجة، والنيل (د.ت) .

٤٦- عبد الله عبد الرازق إبراهيم: الإسلام والحضارة الإسلامية فى نيجيريا (١٩٨٤م) .

٤٧- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: أضواء على الطرق الصوفية فى القارة الأفريقية (١٩٩٠م) .

٤٨- عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس (١٩٦٤م) .

٤٩- عبد الله عنان: نهاية الأندلس، وتاريخ العرب المستنصرين (القاهرة ١٩٦٦م) .

٥٠- عبد الواحد المراكشى: المعجب فى تاريخ المغرب (١٩٤٩م) .

٥١- عرب فقيه، شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن عثمان: فتوح الحبشة (نشره رينيه باسيه- حققه فهيم شلتوت ونشرته الهيئة العامة للكتاب بمصر) (١٣٩٤هـ

/ ١٩٧٤م) .

٥٢- العمرى: مسالك الأبصار فى ممالك الأنصار (مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٥٥٩- معارف عامة) .

٥٣- الفشتالى: مناهل الصفا فى مآثر مواليا الشرفا (تحقيق: عبد الكريم كريم، نشرته دار الأوقاف بالرباط) (١٩٧٤م) .

٥٤- فيليب رفله: الجغرافية السياسية لأفريقيا (١٩٦٥م) .

٥٥- مؤرخ مجهول: تاريخ الدولة السعدية الدرعية التاكمادرتيه (نشره جورج كولان) (١٩٣٤م) .

٥٦- محمد المعتصم: مهدى الصومال - بطل الثورة ضد الاستعمار (١٩٦٥م) .

٥٧- محمد بن عمر التونسى: تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان (نشره محققاً د. خليل عساكر، د. محمد مسعد) .

٥٨- محمد بلو: إنفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور (مطبعة الأزهر ١٩٦٤م) .

٥٩- محمد شفيق غربال: تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية (القاهرة ١٩٥٢م) .

٦٠- محمد ضيف الله محمد (ود. ضيف الله) : الطبقات فى خصوص الأولياء الصالحين والعلماء (الخرطوم ١٩٣٠م) .

٦١- محمد عبد الغنى سعودى: أفريقية - دراسة فى شخصية القارة وشخصية الإقليم (١٩٨٣م) .

٦٢- محمد عثمان أبو بكر: تاريخ إريتريا المعاصر (١٩٩٤م) .

٦٣- محمد عوض محمد: السودان الشمالى، سكانه وقبائله (١٩٥١م) .

٦٤- محمود الشنيطى: قضية ليبيا (١٩٥١م) .

٦٥- محمد كعت: تاريخ الفتاش فى أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس (ترجمة هوداس وديلافوس - باريس، ١٩٦٢م) .

٦٦- المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر (القاهرة ١٣٤٦هـ) .

٦٧- مصطفى محمد مسعد: الإسلام والنوبة فى العصور الوسطى (١٩٥٦م) .

٦٨- المقريزى: الخطط، جـ١، (١٣٢٤هـ).

٦٩- المقريزى: الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام (نشرة د. رنك).

٧٠- مكى شبيكه: السودان فى قرن ١٨١٩ - ١٩١١ (١٩٤٧م).

٧١- المنجى الكعبى: تحقيق وتقديم لقطعة من كتاب الرقيق القيروانى - تاريخ أفريقية والمغرب (تونس ١٩٦٨م).

٧٢- نعوم شقير: تاريخ السودان الحديث وجغرافيته، جـ٢ (١٩٠٣م).

٧٣- نعيم قداح: أفريقيا الغربية فى ظل الإسلام (دمشق ١٩٤٠م).

ثانياً: أبحاث فى دوريات أو ندوات علمية:

١- شوقى الجمل: ولاية الحبش العثمانية بين إيالة جدة والإدارة المصرية ودورها فى الأمن القومى العربى (بحث ألقى فى الندوة العالمية الخاصة بمصر والجزيرة العربية - كلية آداب القاهرة (أبريل ١٩٩٣م).

٢- محمد الفاسى: معركة وداى المخازن الحاسمة . (مجلة البحث العلمى بالرباط - العدد الرابع، ديسمبر ١٩٦٦م).

٣- محمد عبد الغنى سعودى: الصومال عضو جديد فى الجامعة العربية (مجلة البحوث والدراسات العربية، العدد الخامس، يونيه ١٩٧٩م).

٤- مدثر عبد الرحيم: الإسلام والسياسة فى السودان (بحث قدم فى المؤتمر الأول لجماعة الفكر والثقافة الإسلامية بالخرطوم، ٢٩ محرم - ٤ صفر ١٤٥٣هـ / نوفمبر ١٩٨٢م) .

٥- مصطفى محمد مسعد: الإسلام وحركات الفولانى الإصلاحية فى غرب أفريقيا (مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، العدد الأول ١٣٨٨ه / ١٩٦٨م) .

ثالثاً: رسائل جامعية (غير منشورة):

١- حلمى جرجس غبريال: موقف الإدارة فى السودان من الحركة الوطنية خلال الحربين العالميتين (رسالة دكتوراه - جامعة القاهرة).

٢- حسن على منيسى: رابح فضل الله الزبير ودوره فى مقاومة الاستعمار فى أفريقيا (رسالة ماجستير - معهد البحوث والدراسات الأفريقية - بجامعة القاهرة، بإشراف د. شوقى الجمل).

٣- راجيه محمد عفت: الثقافة العربية فى شرق أفريقيا (رسالة دكتوراه - معهد البحوث الأفريقية، ١٩٨٠م).

٤- عبد النبى على أحمد على: الصراع العمانى البرتغالى فى شرق أفريقيا (رسالة دكتوراه معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة بإشراف د. شوقى الجمل).

٥- محمود سمير أحمد محمد التابعى: عثمان فودى (رسالة ماجستير، معهد البحوث الأفريقية، ١٩٧٧م بإشراف د. شوقى الجمل).

٦- نصر الدين رشوان حسن: دولة ساموري فى غرب أفريقيا (١٨٧٢- ١٨٩٨م) (رسالة دكتوراه من معهد البحوث الأفريقية، بجامعة القاهرة ١٩٧٩م).

ثانيا: مراجع باللغات الأجنبية:

1- Alford and Sword: The Egyptian Sudan Its Loss and Recovery (London 1996).

2- Allen, B. H. : Gordon and The Sudan (London 1931) .

3- Arnold, Thomas: The Caliphate (Oxford 1992).

4- Bovill, E. W. : The Golen Trade of The Moors (London 1956).

5- Blant, W.S.: Gordon at Khartoum (London 1923).

6- Boggs, S. W.: International Boundaries (N. Y. 1963).

7- Budge, E. A. Wallis: The Egyption Sudan, Its History and Monuments Vol. 2 (London 1901).

8- Bums, Alan: History of Nigeria 1955 .

9- Buttler, Alfred: The Arab Conquest of Egypt (Oxford 1902).

10- Churchill, W.: The River War, An Account of the conquest of the Sudan (London 1933).

11- Coupland, R. : East Africa and Its Invaders (London 1960).

13- Davidson, Basil: The Growth of Central Africa Civilsation 1963 .

14- Deschamps, H.: Les Religions De L ' Afrique Noir (1945) .

15- Dubois, E. : Tomboucto Mysterieuse (Paris 1981).

16- Dubois, F. : Islam Noir (Paris 1899).

17- Duffy, James: Portguese Africa (London 1951).

18- Fage: An Introducation To The History of Eest Africa (Cambridge 1955).

19- Gordon: The Journals of Major, Gen, Gordon, at Khartoum (Leipzig 1960).

20- Graftan, Milne: History of Egypt Under Roman Rule (London 1913) .

23- Hill, Richard. Egypt in the Sudan 1820 - 1981 (London 1959) .

24- Holt, P. M. : The Mahadist State in The Sudan (Oxford 1958).

25- Hoskins: British Routes India (1928) .

26- Jardine, D. : The Mad Mullah of Somali Land (1963).

27- John Ston, H. : History of the Coloization of Africa by Alion Races (Cambridge 1913).

28- Junker: Travels in Africa Vol. 111 (London 1980).

29- Lewis, I. M.: The Modern History of Somali Land (London 1965).

30- Lewis, I. M.: Islam Tropical Africa (Oxford 1960).

31- Mac. Michael: A History of the Arabs In The Sudn (Cambridge 1922).

32- Meek, C. K., : The Northern of Nigeria. (London 1928).

33- Muddathir, Abdal Rahim: Imperialism and Nationalism in the Sudan (Oxford 1969).

34- Slatin, R.: Fer et Feu Au Soudan (Le Caire 1898).

35- Touval, S: Touval, S. Somali Nationlism (Cambridge 1965).

36- Trimiingham, Spencer: Islam in the Sudan (1949).

37- Trimingham, Spencer: Islam in Ethiopia (1952).

38- Trimingham, Spencer: Islam in East Africa (oxford 1964).

39- Trimingham, Spencer: Islam in West Africa (Oxford 1964).

40- Wingate, Major: Report to the Sirdar (15 nov. 1891).

ثالثا: دوريات أجنبية:

Brivar, A. D. D. H.: Wathigat Ahl - Al Sudan (Journal of African History vol. 11, no. 2, 1961).

* * *

محتويات كتاب

تاريخ المسلمين

فى أفريقيا ▪ ومشكلاتهم

هذا الكتاب

يدرس الطرق التى سلكها الإسلام إلى مختلف مناطق القارة ، وطرق انتشاره فيها ، وأهم مراكز الدعوة الإسلامية ، وينتقل الكتاب فى طيات فصوله إلى دراسة كل منطقة على حدة مع التركيز على المشكلات التى تواجه المسلمين خاصة المشاكل الثقافية والاقتصادية والأوضاع القبلية وغيرها .

والكتاب يناقش الآثار التى ترتبت على انتشار الإسلام فى القارة والدور الحضارى للإسلام فى شرق القارة وغربها ، كما يركز على أوضاع المسلمين فى مختلف دول القارة ، وتحليل هذه الأوضاع واقتراح الحلول العملية لكل هذه المشكلات التى تعرقل التنمية والاستقرار فى القارة ، وبالطبع لم يغفل الكتاب الوسائل التى انتشر عن طريقها الإسلام ، ومعوقات انتشار الدعوة ، والحركات الإصلاحية التى ظهرت فى مختلف مناطق القارة ، وكيف ساهمت الحركات الإصلاحية فى نشر الإسلام بين القبائل الوثنية والنهوض بهذه القبائل فى مختلف المجالات .

كما يهتم الكتاب ببحث المشكلات التى يواجهها المسلمون فى القارة سواء فى الدول التى يمثلون أغلبية فيها أم الدول التى يعتبرون أقلية فيها .

وباختصار فإن الكتاب يعد محاولة جادة من أجل مناقشة وت… أوضاع المسلمين ومشكلاتهم فى القارة بشكل إيجابى وعلمى ي… صورة واضحة لأحوال المسلمين بالقارة الأفريقية ومشكلاتهم .

